مختارات من الأدب الشيطاني

تحرير ماكسيميليان ج. رودوين



ترجمة وتقديم محيي الدين إبراهيم

القاهرة - مصر

قصص الشيطان

مختارات من الأدب الشيطاني

تحرير ماكسيميليان ج. رودوين

تم اختياره وتحريره مع المقدمة والتعليقات النقدية

بقلم ماكسيميليان ج. رودوين

أيها الإنسان، لا تسخر من الشيطان،"
الحياة قصيرة وسوف تفشل قريبا،
"والنار الأبدية"
".ليست مجرد حكاية خرافية فارغة"
. هاينه —

نيويورك
ألفريد ٠ أ ٠ كنوبف
MCMXXI

أسطورة الشيطان
قصص الشيطان
[السلسلة الأولى]

إهداء:
"أيها الإنسان، لا تسخر من الشيطان،
الحياة قصيرة وسوف تفشل قريبا،
"والنار الأبدية"
"ليست مجرد حكاية خرافية فارغة."
النبي ومشاهد الجدل في الدراما الدينية في العصور الوسطى الألمانية.
مشاهد الشيطان في الدراما الدينية في العصور الوسطى الألمانية.
الشيطان في المسرحيات الدينية الألمانية في العصور الوسطى والإصلاح الديني. [هسبيريا: دراسات جونز هوبكنز في فقه اللغة الحديث، العدد.
أصل الكوميديا الكرنفالية الألمانية.
الشيطان في الأدب الفرنسي الحديث.

المقدمة العربية:

حين أمسكت بهذا الكتاب بين يدي لأول مرة، لم أرَه مجرد مجموعة من "قصص الشيطان"، بل رأيته بمثابة خريطة للوعي الإنساني في أكثر مناطقه عتمةً وإغراءً. لم يكن هدفي أن أقدّم للقارئ العربي حكايات عن الشر أو الكائنات الجحيمية كما تُصوَّر في الأساطير، بل أن أفتح نافذة على السؤال الأبدي الذي لازم الإنسان منذ نشأته: لماذا وُجد الشر، وما سرّ جاذبيته في العقل والخيال؟

إن الشيطان، في الوعي الجمعي للبشرية، ليس مجرد شخصية لاهوتية أو رمز ديني، بل هو الكائن الذي جسّد التمرد الأول، والعصيان الأول، والرغبة الأولى في الاستقلال عن سلطة المطلق. ومن هنا، صار الشيطان مرآة للإنسان نفسه، لأنه يعكس ما يضطرب في الداخل من نزوع نحو الحرية، وما ينغلق في الداخل من قيود، وما يتصارع في أعماق النفس بين الإرادة الفردية والخضوع للجماعة، بين الرغبة الجامحة في المعرفة والخوف من عواقبها.

لقد ظلّت صورة الشيطان تتبدّل مع كل عصر. ففي العصور الوسطى الأوروبية كان الشيطان تجسيدًا مرعبًا للشر المطلق، يحاصر الأديرة ويغوي الرهبان ويظهر في هيئة المخيف الغريب الذي يتربّص بالمؤمنين. ومع عصر النهضة، أخذ الشيطان يكتسب أبعادًا أدبية وفلسفية أعمق، فلم يعد مجرد خصم للسماء، بل صار رمزًا للفضول المعرفي، كما رأيناه في "فاوست" حين يمدّ يده إلى الإنسان ليعقد معه صفقة تقوده إلى هاوية، لكنها في الوقت نفسه صفقة تكشف عن عطش الإنسان اللا متناهي للمعرفة. ومع الرومانسيين في القرن التاسع عشر، صار الشيطان حليفًا للمنفي، رفيقًا للمتمرّد، وصورةً للمثقف الثائر الذي يرى العالم مظلمًا ومختلًا ويبحث عن خلاص في التمرّد ذاته.

هذا التحوّل في صورة الشيطان، من وحش جحيمي إلى شاعر تراجيدي، من كائن شيطاني إلى رمز ميتافيزيقي، إنما يعكس التحوّل في عقول البشر

أنفسهم. فما نسقطه على الشيطان ليس إلا انعكاسًا لما نخشى الاعتراف به في داخلنا: رغباتنا المكبوتة، نزواتنا الممنوعة، أحلامنا المحظورة، واندفاعاتنا التي نصارعها بالليل ونخفيها بالنهار.

جوهر هذا الكتاب إذن ليس في أن نقرأ قصصًا للتسلية أو للتشويق، بل أن نتأمل كيف صاغت الإنسانية عبر القرون خطابها مع الشر، وكيف صنعت من الشيطان شخصيةً أدبية لا تقل حضورًا عن القديسين والأنبياء والأبطال. إننا لو حذفنا من تاريخ الأدب حضور الشيطان، لوجدنا أن بنية الحكاية تنهار، لأن الصراع بين الخير والشر هو روح السرد، ولأن الإنسان لا يعرف نفسه إلا في مواجهة نقيضه.

إنني حين أقدّم هذا الكتاب للقارئ العربي، فإنني أضعه أمام تجربة ثقافية وفكرية مختلفة، تجربة الغرب مع فكرة الشيطان كما انعكست في أدبه وأساطيره. نحن في ثقافتنا العربية والإسلامية اعتدنا أن نرى إبليس في صورة العدو المباشر، الذي أغوى آدم ويدفع البشر إلى الضلال. هذه الصورة واضحة ومطلقة وحاسمة. لكن في الأدب الغربي، تتكاثر الصور وتتشظى: إبليس هو مرةً راهبٌ مغوٍ، ومرةً عاشقٌ ملعون، ومرةً فيلسوف ساخر، ومرةً ثائر متمرد، ومرةً كاتب ساخر يضحك من ضعف البشر.

هذه التعددية في تمثيل الشيطان تفتح أمام القارئ العربي مساحة للتأمل: هل نحن بحاجة إلى أن نعيد التفكير في الشر بوصفه مطلقًا جامدًا، أم أن الشر ذاته جزء من عملية النمو الإنساني، لأنه التحدي الذي يصنع الأخلاق، والمقاومة التي تولّد الفضيلة؟

من هنا، فإن الغرض من تقديم هذه المختارات ليس أن نُدخل القارئ في عالم الرعب أو الغرابة، بل أن نمنحه فرصة ليرى كيف تعاملت الإنسانية مع الفكرة الأكثر إثارة للجدل: فكرة الشر. والشر هنا ليس فقط ما نخشاه، بل ما يفتننا أيضًا. إننا نميل إلى الشيطان أحيانًا لا لأنه يهددنا، بل لأنه يعبّر عن توقنا العميق للحرية، حتى لو كانت حريةً مدمّرة.

وأنا أعلم أن القارئ العربي قد يجد نفسه أمام نصوص تبدو غريبة، وربما صادمة أحيانًا، لكنها صدمة تحمل قيمة معرفية. فهي تكشف لنا أن صورة

الشيطان ليست واحدة، وأنه كما يتبدّل في المخيلة، يتبدّل أيضًا في الوظيفة: مرةً هو معلم، مرةً هو ساخر، مرةً هو عاشق، ومرةً هو مجرد ظل يلاحق الإنسان في أحلامه.

ولذلك، فإن هذا الكتاب لا يقتصر على الأدب بوصفه فنًا، بل هو أيضًا وثيقة فكرية، تبيّن كيف أن الإنسانية، في جميع عصورها، لم تستطع أن تنفي الشيطان من قصتها. حتى حين ضعفت العقائد، أو حين ساد العقل العلمي، ظلّ الشيطان حاضرًا. لقد تغيّر وجهه، لكنه لم يختفِ. صار رمزًا للتناقض ذاته، رمزًا للغموض، رمزًا للتوق الذي لا يُشبع.

إن القارئ الذي يغوص في هذه الصفحات سيجد أن لكل عصرٍ شيطانه الخاص، ولكل كاتبٍ إبليسه المفضل، وأن هؤلاء الشياطين ما هم إلا أقنعة متعددة لوجه الإنسان نفسه. ففي قصة "الشيطان وتوم ووكر" نرى الشيطان مرابيًا يستغل الطمع البشري. وفي "رهان الشيطان" يتحول إلى لاعب ماكر يتحدّى البشر في نزواتهم. وفي "صفقة الرسام" يظهر كصوت داخلي يدفع الفنان إلى حافة الجنون. وفي "السيدة لوسيفر" يتجسد في صورة أنثى ساحرة تحمل غواية الجمال القاتل.

هذه القصص، على تنوعها، تشترك في شيء واحد: أنها تجعل الشيطان قريبًا منا، جزءًا من حياتنا اليومية، من طمعنا وأحلامنا وأوهامنا. ومن هنا يأتي سحرها وخطورتها في آن واحد.

الغرض النهائي من تقديم هذا الكتاب إلى القارئ العربي، هو أن نخرج من أسر الرؤية الأحادية للشيطان، ونكتشف أنه ليس كائنًا خارجيًا تمامًا، بل هو مرآة داخلية نواجه بها أنفسنا. إن الشيطان الذي يطارد الإنسان في الأدب هو ذاته الشيطان الذي يطارده في الحياة: صوت الرغبة الذي يوسوس في القلب، صورة الحرية التي تجرّ إلى الهلاك، أو الإغراء الذي يكشف لنا حدود قوتنا وضعفنا.

في النهاية، هذا الكتاب ليس دعوة إلى تمجيد الشر، بل إلى فهمه. لأن الفهم وحده يتيح لنا أن نتجاوزه، أو على الأقل أن نواجهه بوعيٍ أعمق. والوعي، في جوهره، هو النور الوحيد الذي يمكن أن يبدّد العتمة.

من هنا، فإنني أدعو القارئ إلى أن يتعامل مع هذه الصفحات لا كقصص عن الشيطان فقط، بل كرحلة داخل العقل الإنساني في صراعه الطويل مع فكرة الشر. وهي رحلة تبدأ بالخوف، لكنها قد تنتهي بالحكمة. فربما كان الغرض الأكبر من حضور الشيطان في الأدب، ليس أن يرعبنا، بل أن يعلّمنا أن نرى وجوهنا الحقيقية في مرآته، وأن نعرف أن داخل كل إنسان ظلًّا لا يزول، وأن مواجهة هذا الظلّ هي البداية الحقيقية لفهم أنفسنا والعالم.

بهذه الرؤية أضع هذا الكتاب بين أيديكم، وأرجو أن يفتح أمامكم أبوابًا جديدة للتأمل، وأن يذكّركم بأن الشيطان، كما قال دانتي، هو الجرح الذي يجعلنا نبحث عن الخلاص، والظلّ الذي يجعلنا نشتاق إلى النور.

وهكذا، فإن هذه الصفحات ليست إلا مرآة تُريك وجهك الآخر، ذاك الوجه الذي تحاول أن تنكره كلما أطبقت عيناك في صلاتك أو سرحت في عزلتك.

إن الشيطان في جوهره ليس سوى ظلّك الممتدّ على جدار الوجود، فإذا أقبلت إلى النور انكمش، وإذا أدبرت عنه تمدّد وأطبق عليك.

وأنا حين أقدّم هذا الكتاب للقارئ العربي، فإنني لا أضعه أمام حكايات عن الغواية وحسب، بل أمام رحلة إلى تخوم النفس، حيث يلتقي العقل بالأسطورة، واليقين بالهواجس، والروح بامتحانها الأكبر. في تلك المنطقة الرمادية بين النور والظلام، بين الطهر والدنس، يولد الأدب الحقيقي، ويُختبر الإيمان في جوهره.

ولعل الغاية الأعمق من هذه المختارات أن نتعلّم أن لا نُقصي الشر من وعينا، بل أن نفهمه، لأن في الفهم تكمن بداية الحكمة، وفي الحكمة يلوح سرّ الخلاص. فالشيطان، في نهاية الأمر، ليس عدوًا مطلقًا خارجًا عنا، بل هو المعلّم الخفي الذي يرشدنا . عبر الخوف والفتنة . إلى أن نبحث عن الله بنورٍ أوضح، وإلى أن ندرك أن الهاوية نفسها قد تكون جسرًا يقود إلى السماء.

استهلال:

كان إعداد هذا الكتاب مستحيلاً لولا تعاون المؤلفين والناشرين. وقد ورد في الصفحة الأولى من كل مختار شكرٌ خاصٌ للناشرين الذين منحونا الإذن بإعادة طباعته. ونتنهز هذه الفرصة لنعرب مجددًا عن تقديرنا العميق للمجاملات التي قدمتها لنا جميع الأطراف المعنية فيما يتعلق بالمادة بين غلافي هذا الكتاب. ونتقدم بشكر خاص للسيد جون ماسفيلد على إذنه بإعادة نشر قصته، وللسيدين آرثر سيمونز وليو وينر، وللآنسة إيزابيل ف. هابغود على إذنهم باستخدام ترجماتهم للقصص الأجنبية التي اخترناها. وللبروفيسور هنري ألفريد تود والدكتورة دوروثي سكاربورو من جامعة كولومبيا، اللذين تفضلا بقراءة أجزاء من المخطوطة، فإن المحرر مدينٌ بعدد من الاقتراحات المفيدة. ويضيف شكره إلى البروفيسور ريموند ويكس، من جامعة كولومبيا أيضًا، الذي لفت انتباهه إلى قصة دوديت، وإلى زميله السابق، البروفيسور أوتو أ. جرينر، من جامعة بيردو، الذي كان طيبًا بما يكفي لقراءة جزء من الأدلة.

مقدمة الناشر:

من بين جميع الأساطير التي وصلت إلينا من الشرق، ومن بين جميع إبداعات الخيال والمعتقدات الغربية، كانت شخصية الشر هي الأكثر جاذبيةً لعقل الإنسان. الشيطان هو أعظم لغز واجه العقل البشري على الإطلاق. لقد احتل الشيطان مكانةً عظيمةً في مخيلتنا، بل وفي قلوبنا أيضًا، لدرجة أن طرده منها، مهما علّمتنا الفلسفة، سيظل إلى الأبد أمرًا مستحيلًا. كشخصية في الأدب الخيالي، لا مثيل لإبليس في السماء ولا على الأرض. وعلى النقيض من فكرة الخير، التي تتعالى بقدر خلوّها من التجسيم، فإن فكرة الشر تدين بوجود هذا العنصر بقيمتها الرئيسية كموضوع شعري. ربما كان رئيس الملائكة المخلوع أدنى من القديس ميخائيل في التكتيكات العسكرية، لكنه بلا شك يتفوق عليه في الأمور الأدبية. إن الملائكة العادلين - كل الصراحة والخير - هم أبعد من فهمنا، ولكن الملائكة الساقطين، مع كل عيوبهم ومعاناتهم، هم أقرباء لنا.

هناك أسطورة تقول إن الشيطان كان لديه دائمًا طموحات أدبية. يروي الثيوصوفي الألماني جاكوب بوهم أنه عندما طُلب من الشيطان أن يشرح سبب عداوة الله له وسقوطه اللاحق، أجاب: "أردت أن أصبح كاتبًا". سواء كتب الشيطان أي شيء فوق توقيعه أم لا، فمن المؤكد أنه ساعد الآخرين.[الثاني عشر] يؤلفون أعظم أعمالهم. إنها حقيقة مهمة أن أعظم الخيالات قد أدركت جاذبية في ديابولوس. ماذا سيكون الأدب العالمي إذا استبعدنا منه الكوميديا الإلهية لدانتي، والساحر العجيب لكالديرون ، والفردوس المفقود لميلتون ، وفاوست لغوته، وقابيل لبايرون ، وإيلوا لفيني ، وشيطان ليرمونتوف ؟ آسف حقًا كانت ستكون محنة الأدب بدون مزيج حكيم من الشيطان. بدون الشيطان لن يكون هناك أدب ببساطة، لأنه بدون تدخله لن تكون هناك حبكة، وبدون حبكة ستفقد قصة العالم أهميتها. حتى الآن، عندما خرج الإيمان بالشيطان عن الموضة، وعندما

يجلب مجرد ذكر اسمه، بعيدًا عن أن يتسبب في عبور الرجال، ابتسامة على وجوههم، استمر الشيطان في كونه شخصية قوية في عالم الأدب. في واقع الأمر، ربما تلقى بعلزبول أعظم تفصيل له على أيدي كتاب لم يؤمنوا به بنفس القدر الذي آمن به شكسبير في روح والد هاملت.

في تعليقه على رواية "ثورة الملائكة" لأناتول فرانس ، كتب ناقد أمريكي مؤخرًا: "من الصعب رد الاعتبار لبعلزبول، ليس لأن الناس متفقون عليه، بل لأنهم لا يتفقون عليه إطلاقًا". كم ضحك هذا الشيطان عندما قرأ هذه السطور! إنه لا يحتاج إلى رد اعتبار. لم يغب الشيطان قط عن عالم الأدب، كما لم يغب قط عن عالم البشر. منذ أيام أيوب، اهتم الشيطان اهتمامًا بالغًا بشؤون الجنس البشري؛ وبينما يكتفي معظم الكُتّاب...[ثالث عشر] مع تسجيل أنشطته على هذا الكوكب، لم يخلُ العالم من رجالٍ ذوي شجاعةٍ كافيةٍ لاستدعاء أمير الظلام في مملكته ليُقدم لنا، لتعليمنا وتثقيفنا، تقريرًا عن أعماله هناك. يُذكر أن دانتي كان أبرز شاعرٍ استضافه صاحب السمو الجهنمي في بلاطه. كانت علامة نيران الجحيم الحارقة على وجه دانتي دليلًا كافيًا لمعاصريه على صدق قصته.

لطالما كان موضوع الأدب في حالة من التقلب، لكن الشيطان كان حاضرًا في جميع مراحل التطور الأدبي. جميع المدارس الأدبية في جميع العصور وفي جميع اللغات كرّست نفسها، بوعي أو بغير وعي، لتمثيل الشيطان وتفسيره، وتعاملت معه كل مدرسة بطريقتها الخاصة.

الشيطان شخصية عريقة في الأدب. ربما يكون بقدم الأدب نفسه. نجده في قصة رحلة أسلافنا الأوائل إلى الفردوس، ومنذ ذلك الحين، ظهر الشيطان بلا انقطاع، بأشكال ووظائف متنوعة، في جميع أدبيات العالم. استمر تطور شخصيته وقوته وتكاثرهما مع تقدم العصور، حتى امتلأ العالم بالشياطين في العصور الوسطى. من مكانته الثانوية في الكتب المقدسة، نما الشيطان إلى مكانة بالغة الأهمية في أدب العصور الوسطى. وقد حافظت حركة الإصلاح، التي كانت حركة تقدمية في جوانب عديدة، على مكانته. بل إنها زادت من قوته بانسحابها من...[الرابع عشر] من القديسين

حق الشفاعة نيابةً عن الخطاة. لم يستطع نهضة المعارف القديمة ولا مؤسسة العلم الحديث الانتصار على الشيطان. في الواقع، كان نمو الاهتمام بالشيطان على قدم المساواة مع تطور روح البحث الفلسفي. لا شك أن الكلاسيكية الفرنسية قد سببت نكسة لبطلنا. بصفته عضوًا في التسلسل الهرمي المسيحي للشخصيات الخارقة للطبيعة، لم يكن بإمكان الشيطان إلا أن يتأثر بالحظر الذي وضع بوالو تحته ما وراء الطبيعة المسيحية. ولكن حتى القرن الثامن عشر، وهو فترة معادية جدًا لما هو خارق للطبيعة، أنتج شيطانين بارعين في الخيال: أسموديوس للحكيم وبعلزبول لكازوت - عضوان جديران بالتقدير في جماعة الشياطين الأدبية الجليلة.

ولكن كما لو أنها تُعوّض عن تقصيرها الطويل في تقدير إمكانيات الشيطان الأدبية، أحدثت فرنسا، في مطلع القرن التاسع عشر، رد فعلٍ واضحٍ لصالحه. فالتعاطف الذي أبدته تلك الدولة، دولة التقدم الثوري، لجميع الضحايا وجميع المتمردين، أفرادًا كانوا أم طبقات أم أممًا، لا يُمكن إنكاره على الخارج عن القانون السماوي. لم يستطع المناضلون من أجل الحرية السياسية والاجتماعية والفكرية والعاطفية على الأرض، حجب إعجابهم بالملاك الذي طالب بحرية الفكر واستقلالية العمل في السماء. أُشيد بثائر الإمبراطورية كأول شهيد في سبيل الحرية، وطالب المتمردون على الأرض بإعادة تأهيله في السماء. أصبح الشيطان رمزًا للقرن التاسع عشر المضطرب التعيس. عبر فمه، عبّر ذلك العصر عن احتجاجه على...[الخامس عشر] ملوك السماء والأرض. اعتقد الجيل الرومانسي لعام 1830 أن العالم أكثر من أي وقت مضى خارج عن السيطرة، ومن هو الأنسب من الشيطان للتعبير عن استيائهم من الحكومة السماوية للشؤون الأرضية؟ الشيطان هو الساخط الأبدي. بالنسبة لهاملت، بدت الدنمارك كئيبة؛ بالنسبة للشيطان، يبدو العالم كله مظلمًا. كان إعجاب الرومانسيين بالشيطان ممزوجًا بالشفقة والتعاطف - لدرجة أن حزنه جعله محبوبًا لدى تعاطفهم، لدرجة أنه بدا قريبًا من ضعفهم البشري. شعر الرومانسيون

بإعجاب عميق بالعظمة الانفرادية. كان هذا "الفارس ذو الوجه الكئيب"، المثقل باللعنة ويجلب سوء الحظ في أعقابه، هو البطل الرومانسي المثالي. أليس هو بالفعل beau ténébreux الأصلي ؟ وهكذا أصبح الشيطان الشخصية النموذجية لتلك الفترة وشعرها. وقد لوحظ جيدًا أنه لو لم يكن الشيطان موجودًا، لاخترعه الرومانسيون. كان تأثير الشيطان على المدرسة الرومانسية قويًا ومستمرًا لدرجة أنها سُميت باسمه سريعًا. وأصبح مصطلحا "رومانسي" و"شيطاني" مترادفين تقريبًا. علاوة على ذلك، تجاوز اهتمام الرومانسيين الفرنسيين بالشيطان حدود فرنسا وحدود القرن التاسع عشر. فالرمزيون، الذين استحوذت عليهم أسرار إريبس جاذبية قوية، كانوا ببساطة مهووسين بالشيطان. لكن حتى علماء الطبيعة، الذين لم تكن تطاردهم الأشباح بالتأكيد، غالبًا ما استسلموا لسحره. أما الكُتّاب الأجانب الذين لجأوا إلى فرنسا، حيث بلغ أدب القرن الماضي ذروة كماله، فقد وقعوا أيضًا في غرام الشيطان.[السادس عشر]
وغني عن القول أن هذا الشيطان ليس الروح الشريرة لعقيدة العصور الوسطى. الشيطان الرومانسي هو نوع جديد تمامًا من جنس ديابولي . هناك أزياء في الشياطين كما في الملابس، وما هو شيطان في بلد أو قرن قد لا يكون مقبولًا في آخر. يُروى أنه بعد رحيل مجد اليونان، سمع بحار، يسافر على طول ساحلها ليلًا، صرخة من الغابة: "مات بان العظيم!" لكن بان لم يكن ميتًا؛ لقد نام ليستيقظ مرة أخرى كشيطان. وبالمثل، عندما اعتقد القرن الثامن عشر أن الشيطان قد مات، كان في الواقع يستعيد طاقاته فقط من أجل بداية جديدة في شكل جديد. كان تجسيده الجديد هو بروميثيوس. استمر الشيطان في كونه عدوًا لله، لكنه لم يعد عدوًا للإنسان. بدلاً من شيطان الظلام أصبح إله النعمة. لم يكن هذا البطل في القتال السماوي مدفوعًا بكراهية البشر وحسدهم، كما يُعتقد أن المسيحية تُعلّمنا إياه، بل بدافع الحب والشفقة على البشرية. وقد قدّم أوغست ستريندبرغ أقوى تعبير عن فكرة الشيطان في الأدب الحديث، حيث يُمثّل لوسيفر، في روايته، مزيجًا من بروميثيوس وأبولو والمسيح. ومع ذلك، فإن

هذا التفسير للشيطان، مهما كانت قيمته من منظور الأصالة، غير مقبول جماليًا ولاهوتيًا. إن إعادة تقييم قيمة قديمة كهذه تُسيء إلى عقولنا وتُلامس قلوبنا. يجب أن يتوافق أي تناول ناجح للشيطان في الأدب والفن مع المعتقدات الشائعة. ففي الفن، كلنا مُتزمتون، مهما كانت آراؤنا في الدين. سيظهر هذا المفهوم الجديد للشيطان بشكل رئيسي في الشعر، بينما المفهوم الشائع...[السابع عشر] استمر هذا النثر. ولكن حتى هنا، سنلاحظ تطورًا تدريجيًا لفكرة الشيطان. شيطان القرن التاسع عشر هو تحسينٌ لأخيه في القرن الثالث عشر. يختلف عن أخيه الأكبر كزهرةٍ مزروعةٍ عن زهرةٍ برية. الشيطان، كإسقاطٍ بشري، لا بد أن يشارك في تطور الفكر البشري. يقول مفيستوفيليس:

"الثقافة التي يلعقها العالم أجمع،

"وكذلك عصا الشيطان."

يتقدم الشيطان مع تقدم الحضارة، لأنه ما يصنعه البشر. وقد استفاد من نزعة التساوي الحديثة في تصوير الشخصيات. في أيامنا هذه، لم تعد الشخصيات الخارقة للطبيعة، كخالقيها من البشر، تُصوَّر إما بيضاء تمامًا أو سوداء تمامًا، بل بدرجات رمادية متفاوتة. وكما أشار رينان ببراعة، استفاد الشيطان بشكل رئيسي من هذه النظرة النسبية. روح الشر أفضل مما كان عليه، لأن الشر لم يعد بهذا السوء الذي كان عليه. الشيطان، حتى في أذهان العامة، لم يعد شريرًا من الطراز الأول. في أسوأ حالاته، هو مُفسد الكون، مولع بإثارة الفتن في الأرض بمذراته. في الأدب الحديث، تتمثل وظيفة الشيطان الرئيسية في كونه ساخرًا. يوجه هذا الناقد البارع سهام سخريته نحو جميع عيوب البشر ونقائصهم. إنه لا يدخر أي مؤسسة إنسانية. في الدين والفن والمجتمع والزواج - في كل مكان يمكن لعينه الثاقبة أن تكتشف فيه نقاط الضعف. إن أحدث دليل على قدرة الشيطان على السخرية من البشر والأخلاق هو ما قدمه مارك توين في روايته الرومانسية التي صدرت بعد وفاته بعنوان الغريب الغامض .[الثامن عشر]

سلسلة "حكايات الشيطان"، التي تُفتتح بهذا الكتاب من "قصص الشيطان"، تُعدّ دليلاً وثائقياً على اهتمام الإنسان الراسخ بالشيطان. ستكون بمثابة معرضٍ لصورٍ أدبيةٍ تُصوّر الشيطان. وأثق بأنه يُمكن النظر في مختارات الأدب الشيطاني دون أي خطرٍ من الإساءة إلى أيِّ تحيزٍ لاهوتيٍّ أو فلسفي. لكلٍّ من يُقرُّ أو يرفض الاعتقاد بوجود كيانٍ روحيٍّ للشيطان، سواءٌ أكان بشرياً أم لا، لا بدَّ أن يكون هناك فائدةٌ ومتعةٌ في التأمُّل في تجسُّداته الأدبية. أما فيما يتعلق بأهلية الشيطان كشخصيةٍ أدبية، فيمكن افتراض أن جميع الأذكياء، رجالاً ونساءً، مؤمنين وغير مؤمنين، لديهم رأيٌ واحدٌ فقط.

هذه السلسلة مُكرَّسة بالكامل للشيطان المسيحي، متجاهلةً تمامًا أبناء عمومته في الديانات الأخرى. مع ذلك، سنجد عنصرًا يهوديًا قويًا في علم الشياطين المسيحي. يجب أن نضع في اعتبارنا أن أدبنا قد أصبح مُشبَّعًا، عبر القنوات المسيحية، بتقاليد العقيدة الأم.

اقتصرت هذه المجموعة على عشرين حكاية. وضمن هذا الإطار، بُذل جهدٌ لجعل هذا الكتاب مُمثلاً قدر الإمكان للمفاهيم الوطنية والفردية عن الشيطان. استُقيت الحكايات من عصورٍ وألسنةٍ عديدة. ولم يقتصر الاختيار على الكُتّاب فحسب، بل امتد إلى قصص كلٍّ منهم. ومع ذلك، في حالتين، لم يكن الاختيار فيهما سهلاً، مُثّل الكاتب بعينتين من قلمه.

رُتِّبت القصص ترتيبًا زمنيًا لإظهار جاذبية الشيطان الدائمة والمستمرة لكتاب قصصنا. على الرغم من أن القصة التي تعود إلى العصور الوسطى[التاسع عشر] نُشرت آخرًا، ووُضعت أولاً. ولأسباب واضحة، لم تُقدَّم هذه القصة في شكلها الأصلي، ولكن في نسختها الحديثة. وبينما لا يُقصد أن تكون كتابًا للأطفال، فقد جُعلت عذراءً ، ولهذا السبب، لم تتمكن مختارات من بوكاتشيو ورابيليه وبلزاك من العثور على طريقها إلى هذه الصفحات. وعلاوة على ذلك، نظرًا لأن هذا المجلد كان يقتصر على السرد النثري، فلا يمكن اعتبار حكايات الشيطان الشعرية التي كتبها تشوسر وهانز ساكس ولافونتين أيضًا. ومع ذلك، فإن هذه المجموعة شاملة بما

يكفي لإرضاء جميع الأذواق في الشياطين. سيجد القارئ بين غلافي هذا الكتاب الشياطين رائعة ومخيفة، والشياطين قوية وخلابة، والشياطين جادة ومرحة، والشياطين مثيرة للشفقة وكوميدية، والشياطين خيالية وساخرة، والشياطين مروعة وغريبة. لقد حاولت، مع ذلك، أن أبقيهم جميعًا في مزاج جيد طوال الكتاب، وبالتالي أستطيع أن أؤكد للقارئ أنه لا داعي للخوف من أي ضرر من معرفة وثيقة بالشركة الشيطانية التي يتم تقديمه إليها هنا.

ماكسيميليان ج. رودوين .

1- الشيطان في دير الراهبات

بقلم فرانسيس أوسكار مان

باكنغهام مقاطعةٌ رائعةٌ كأي مقاطعةٍ أخرى، كما قد يراها المرء في رحلةٍ تستغرق سبعة أيام. ولم تكن أقلَّ روعةً في عهد سيدنا الملك إدوارد، الثالث من أبناء ذلك الملك، الذي حارب الفرنسيين وهزمهم هزيمةً نكراء في كريسي وبواتييه وفي معاركَ أخرى كثيرةٍ شهدت قتالاً عنيفًا. رحمه الله، فهو الآن يرقد في كنيسة وستمنستر العظيمة.

باكينجهامشير مليئة بتلالها المستديرة الناعمة وغابات الزعرور والزان، وهي بلد مشهور بجداولها ومجاريها المائية المظللة التي تجري عبر مروج القش المنخفضة. على تلالها ترعى آلاف الأغنام، متناثرة كبقايا ثلوج الربيع، ومن هذه الأغنام جمع التجار أموالاً طائلة، فأرسلوا الصوف إلى فلاندرز مقابل تيجان فضية. كانت هناك أيضاً العديد من القلاع الحصينة والأديرة الثرية، وكان طريق الملك يمر بها من الشمال إلى الجنوب، حيث كان الحجاج يأتون أفواجاً للعبادة في ضريح القديس ألبان المبارك. وعلى هذا الطريق أيضاً امتطى الفرسان النبلاء والجنود الأشداء، وكان بإمكانك تتبعهم بالعين من خلال دروعهم اللامعة، وهم يشقون التلال والوديان، ميلاً بعد ميل، برماح لامعة و... [2]دروعٌ وأعلامٌ ترفرف، وفجأةً يُسمع بوقٌ أو اثنان يُدوّيان بنفس النغمة الحادة التي تُدوّي بشكلٍ مُرعبٍ في تلك الحقول الفرنسية المُدمية. كانت الفتيات يأتين إلى أبواب الأكواخ أو يركضن للاختباء في الغابات على جانب الطريق ليشاهدنهن يدوسن؛ ففتيات باكينجهامشير يُحببن الجندي أكثر من أي رجل. ولا أضمن لك أن الرهبان المرحين كانوا يفتقرون إلى الطرق السريعة والطرق الفرعية وتحت الأسوار، رجال دين صالحين، مُرتاحين في التوبة وحياةٍ هانئة، يستطيعون أن يُغمزوا لربة منزل، ويشربوا ويتبادلوا النكات مع الرجل الصالح، سائرين في طرقهم المختلفة ببطونٍ مُنتفخة، وجلودٍ مليئة بالجعة وتحيةٍ مرحةٍ للجميع. كانت باكينجهامشير أرضًا دسمةً ولطيفة؛ فيها دائمًا ما يكفي من الطعام والشراب، وفتياتٌ جميلاتٌ ورجالٌ شهوانيون؛ والله أعلم ما الذي

يمكن أن يتوقعه المرء أكثر من ذلك في عالمٍ كل شيء فيه باطل، كما يقول الواعظ حقًا.

كان هناك دير للراهبات في ميدز مورتون، على بُعد ميلين من مقاطعة باكنغهام، على الطريق المؤدي إلى ستوني ستراتفورد، وسُمي المكان ميدز مورتون نسبةً إلى الدير. كانت الراهبات متدينات للغاية، وهنّ سيدات قديسات من عائلات عريقة. كنّ يُنفّذن جميع أوامر المؤسِّسة التقية بدقة وحرفية، تمامًا كما كُتبت على رقّ كبير يُدعى "ريجولا"، كانت السيدة الأم تحتفظ به على طاولة القراءة في زنزانتها الصغيرة. إذا ما ارتكبت أيّ من الراهبات، بمحض الصدفة أو بتدبيرٍ خفيّ من الشيطان، أدنى انحراف عن السلوك الذي يليق بهن، فإنهن كنّ يُقرّنَ بذلك اعترافًا كاملًا وورعًا للأب الأقدس الذي زارهنّ لهذا الغرض. كان هذا الرجل الصالح يُحبّ سوان.[3] وكان يقدم له اللحوم والأعشاب، وكانت الراهبات الخيريات لا يترددن أبدًا في تقديم أفضل ما لديهن له في أيام زيارته؛ وكانوا يؤدون كل التكفيرات التي فرضها عليهم بكل ندم، وبكل ندم في قلوبهم.

من صلاة الفجر إلى صلاة النوم، كانوا يؤدون خدمات الكنيسة المقدسة بانتظام ولباقة. بعد العشاء، تُقرأ لهم قراءة من القانون، ثم تُقرأ بعد العشاء من حياة قديسة أو عذارى بارزات، ليتخذوا بذلك قدوة لهم في رحلتهم الأرضية. أما البقية، فقد اعتنوا بحديقة أعشابهم، وربوا دجاجهم، الذي اشتهر لأميال حولهم، وراقبوا بدقة مزارع التبن ورعاة الخنازير. وإذا لم يكن لديهم وقت أكثر أهمية، فقد شرعوا في صنع أجمل ضمادات الدم التي يمكن تخيلها للأسقف، وقسيس الأسقف، ورئيس الشمامسة، ورئيس الدير المجاور، وغيرهم من رجال الدين الأتقياء من حولهم، الذين اضطروا في كثير من الأحيان إلى نزف أنفسهم من أجل صحتهم وخلاصهم الأبدي، حتى أصبح هؤلاء الرجال الجليلون مع مرور الوقت يمتلكون صناديق كبيرة مليئة بهذه الأشياء المفيدة. إذا كانت ألسنة الصغار تتبادل الحديث بين الحين والآخر بينما تجلس الأخوات في خياطتهن في القاعة الكبرى، فمن يلومهن يا إيفا بيكاتريس ؟ لا أنا؛ علاوة على ذلك، كان بعضهن متقدمات

في السن، والنساء المسنات ثرثارات، ويصعب منعهن من الثرثرة والنميمة. لكن لكونهن نساءً متدينات، لم يكن بإمكانهن التكلم بسوء.
في إحدى الأمسيات، بعد صلاة الغروب، جلست جميع الراهبات الطيبات لتناول العشاء، وكانت رئيسة الدير على منصتها العالية، بينما كانت الراهبات يصطففن في القاعة على الطاولات الطويلة ذات الدعامات.[4]
كانت رئيسة الدير قد قالت للتو " شكرًا " وكانت الأخوات قد غنت " من يحيا ويحكم كل شيء حسب إرادة الله، آمين "، عندما دخل المرشد بطريقة غامضة، ومع العديد من الانحناءات المهينة ومد اليدين، تسلل إلى المنصة، وبعد أن سُمح له، تحدث إلى السيدة الأم على النحو التالي:
سيدتي، هناك حاجٌّ عند البوابة يطلبُ بعضَ المرطباتِ والمبيتَ. صحيحٌ أنه تكلمَ بهدوء، لكنَّ آذانَه الورديةَ الصغيرةَ حادةُ السمع، والراهباتُ، من نمطِ حياتهنَّ المنعزل، يُحببنَ سماعَ أخبارِ العالمِ الواسع.
قالت رئيسة الدير: «أبعدوه، لا يليق برجل أن يرقد في هذا البيت».
"سيدتي، إنه يطلب الطعام وسريرًا من القش حتى لا يموت من الجوع والإرهاق في طريقه إلى التوبة والعبادة في الضريح المقدس للقديس ألبان."
"ما هو نوع الحاج هذا؟"
سيدتي، بصراحة، لا أعرفه؛ لكنه يبدو مهيبًا وكريمًا، شابًا فصيح اللسان وحسن الخلق. سيدتي تعلم أن الوقت متأخر، وأن الطرق مظلمة وقذرة. لا أريد لشابٍّ مُنهمكٍ في الحجّ والأعمال الصالحة أن يُصاب بالإغماء ويموت جوعًا على قارعة الطريق. فلينام مع أكوام القش.
"لكن يا سيدتي، فهو شاب حسن المظهر وذو أسلوب حسن؛ ولحفظ احترامك، لا أرغب في أن أطلب منه أن يأكل وينام مع الأغبياء."
يجب أن ينام في الخارج. لكن دعه يدخل ويأكل من مائدتنا الفقيرة.[5]"
سيدتي، سأُلزمه بما تأمرين به بشدة. ومع ذلك، لديه آلة موسيقية، ويرغب في إسعادكِ بالأغاني الروحية.

سرت رعشة خفيفة من الترقب على مقاعد القاعة الكبرى، وسقطت الراهبات في الهمس.
يا سيدي مانسيبِل، انتبه ألا يكون مُشعوذًا خفيفًا، أو مُغنّيًا عبثيًا، أو ساخرًا. لا أريد أن تُزعج هذه القاعات الهادئة بالموسيقى المُبتذلة والكلمات المُنكرة. حاشا لله. ورسمت علامة الصليب على نفسها.
"سيدتي، سأجيب على ذلك."
انحنى المرشد من المنصة وسار في منتصف القاعة، ومفاتيحه تُصدر صوت خشخشة على حزامه. ارتفع همسٌ خفيف من حديث الأخوات، وصعد إلى أشجار البلوط، كغناء النحل. ألقت رئيسة الدير سبحاتها.
فُتح باب القاعة ودخل الحاج. يعلم الله أي نوع من الرجال كان؛ لا أستطيع الجزم. كان نحيفًا ورشيقًا كقط، وعيناه ترقصان في رأسه كشيطان، لكن وجنتيه وفكيهما كانتا عاريتين من اللحم كأي ناسك يعيش على الجذور ومياه المجاري. كانت ساقاه المصفرتان تتمايلان كأغنية لعبة مايو، وكان يلفّ ويلوي جسده القرمزي في تناغم معها. كان يحمل في يده اليسرى قرعًا، ينقر عليه بيمينه، محدثًا صوتًا ماكرًا دغدغ عظام من سمعه، وداعب كل عصب رقيق في جسده. لحن كهذا كان ليداعب ضلوع الموت نفسه.
رجل غريب الأطوار يذهب للحج بالتأكيد، ولكن لماذا، عندما رآه، ضحكت جميع الراهبات الشابات وابتسمت الراهبات المسنات حتى أظهرت لثتهن الحمراء، من الصعب الجزم. حتى...[6] ابتسمت السيدة الأم على المنصة، على الرغم من أنها حاولت أن تعبس بعد لحظة.
صعد الحاج بخفة إلى المنصة، وكان الشيطان الجهنمي في ساقيه يجعل الراهبات يفكرن في الألعاب التي يلعبها أهل القرية طوال الليل في ساحة الكنيسة في عشية القديس يوحنا.
"يا أمنا الكريمة"، صرخ وهو ينحني بعمق وبطريقة حكيمة، "اسمحي لحاج فقير في طريقه أن يعترف ويتوب عند ضريح القديس ألبان ليتناول الطعام في قاعتك، وأن يستريح مع الحطب هذه الليلة، ودعني أكافئك

ببعض الأرقام المقدسة، مثل تلك التي لم يكن مؤسسك التقي ليتردد في سماعها".
يا فتى، ردّت الرئيسة، «سررتُ جدًا بسماع أن الله قد وجّه قلبك إلى الأعمال الصالحة والحج، وأتمنى حقًا أن يكون ذلك لصحتك النفسية ولراحة بالك من آلامك في المستقبل. أنا مستعدٌ تمامًا أن تنعش نفسك بالطعام وترتاح في هذا المكان المقدس».
"سيدتي، أشكرك من كل قلبي، ولكن كنوع من الامتنان لمثل هذه الخدمة الكبيرة، اسمحي لي، أرجوك، أن أغني واحدة أو اثنتين من أغانيي الإلهية، لرفع قلوب هؤلاء الأخوات القديسات."
دوى صوتٌ آخر، أعلى من ذي قبل، من مقاعد القاعة. صفقت إحدى الراهبات الصغيرات بأيديهن البيضاء الممتلئة وصرخن: "يا إلهي!". رفعت رئيسة الدير يدها طالبةً الصمت.
"حقًا، سأكون سعيدًا بسماع بعض الأغاني الدينية العذبة، وأعتقد أنها ستُبهج قلوب هؤلاء الأخوات. لكن يا فتى، احذر من غناء أي ترانيم طائشة من خيال فارغ،[7] مثل تلك التي يستخدمها السفهاء على الطرق السريعة، والمتسكعون ورواد الحانات. لقد سمعتها في شبابي، مع أن رنينًا يتردد في أذني الآن، وأرى أنه من العار أن تتردد مثل هذه الكلمات الخفيفة بين هذه العوارض المقدسة أو أن تُقلق نوم مؤسسنا التقي، الذي يرقد الآن في المسيح. دعوني أذكركم بما يقوله القديس جيريمي، " حمّار البرية الوحيد، في رغبة قلبه ، يخنق ريح الحب"؛ حيث يُشير هذا الرجل المقدس إلى ذلك الحب الأرضي الباطل، الذي ليس سوى ريح وهواء، ولن يُجدي نفعًا على الإطلاق، عندما يُسلخ هذا الجسد الضعيف النجس.
"سيدتي، إن مثل هذه الأغاني التي سأغنيها، تعلمتها على لسان كاهن رعيّتنا المقدس، السير توماس، وهو رجل يتمتع بعلم جيد ونقاء قلب."
"في هذه الحالة،" قالت الرئيسة، "غنِّ باسم الله، ولكن قف في نهاية القاعة، لأنه لا يتناسب مع كرامة منصبي أن يقف رجل بالقرب من هذه المنصة."

ثم انحنى الحاج ساجدًا، ثم مضى إلى نهاية القاعة، فرقصت عيون الراهبات جميعهن خلف ساقيه الراقصتين، وتعلقت آذانهن بالنغمات العذبة الصافية التي عزفها من قيثارته أثناء سيره. جلس وظهره إلى باب القاعة الكبرى، بتلك الوضعية التي يعزف بها الرجال على القيثارة. ارتجفت الراهبات قليلًا، فنهض بعضهن من مقاعدهن وجثين على المقاعد، متكئات على الطاولة، ليسمعنه ويرينه بشكل أفضل. لمعت عيونهن كقطرات الندى على عبير المروج في صباح جميل.

بالتأكيد كانت أصابعه مسحورة أو أن الشيطان كان في قيثارته، لأن مثل هذه الأصوات الحلوة لم تكن موجودة من قبل[8] سمعت في القاعة منذ اليوم الذي تم بناؤه وتكريسه لخدمة خدام الله. سقطت النغمات الحادة مثل المطر الرنان من السطح العالي في زقزقة مجنونة وخيالية وسقوط محتضر جلبت كل روح المرء إلى شفتيه لامتصاصها. ما غنى عنه، يعلمه الله وحده؛ لم تستطع أي من الراهبات أو حتى القديسة نفسها أن تخبرك، على الرغم من أنك قدمت لها قطعة من الصليب الحقيقي أو شعرة من العذراء المباركة مقابل كلمة واحدة. لكن شوقًا إلهيًا ملأ قلوبهم جميعًا؛ بدا أنهم يسمعون عشرة آلاف ملاك يغنون في جوقات، هللويا، هللويا، هللويا؛ طافوا على سحب غير ملموسة من اللازوردي والفضي، عبر الفردوس السعيد للسماء العليا؛ امتلأت أنوفهم برائحة التوابل والأعشاب الرائعة ودخان البخور؛ أذهلت عيونهم بالروعة والأضواء والأمجاد؛ امتلأت آذانهن بتناغمات بديعة، وتناغمت جميعها في تناغم عذب؛ انحلت خيوط الوجود فيهن، كما لو أن أرواحهن ستقفز من أجسادهن في انحلال بديع.

استدارت عيون الراهبات الأصغر سنًا، وكبر حجمها، وكادت أنفاسهن أن تجف على شفاههن المخملية. أما الراهبات المسنات، فانهمرت دموعهن المالحة الغزيرة على خدودهن الذابلة، وسقطت كالمطر على أيديهن المتعبة. جلست رئيسة الدير على منصتها، شفتاها مفتوحتان، تنظر إلى الفضاء، على بُعد عشرة آلاف ميل. لكن لم يرها أحد، ولم تر هي أحدًا؛ فقد نسي الجميع بعضهم البعض في تلك النشوة اللذيذة.

ثم مع صرخة حادة، مليئة بالتطلعات والرغبات الإنسانية، توقف المغني فجأة:

"الريح الغربية، عندما تهب،
و المطر الصغير سوف يهطل مطرا ؟
يا المسيح لو كان حبي بين ذراعي،
"وأنا في سريري مرة أخرى."

الصمت! - لم تتحدث أي من الأخوات القديسات، لكن بعضهن تنهدت؛ وضعت بعضهن أيديهن على قلوبهن، ووضعت إحداهن يدها في غطاء رأسها، ولكن عندما شعرت بشعرها مقصوصًا بالقرب من فروة رأسها، سحبته مرة أخرى بحدة، كما لو كانت قد لمست حديدًا ساخنًا، وصرخت، "يا يسوع".

بدأت الأخت بيرونيل، عجوزٌ بلا أسنان، تتحدث بصوتٍ عالٍ متقطع، بسرعةٍ ورتابة، كما لو كانت تتحدث في حلم. كانت عيناها دامعتين حمراوين، وشفتاها الرقيقتان ترتجفان. قالت: "يعلم الله، لقد أحببته؛ يعلم الله ذلك. لكنني أدعو جميع الخادمات هنا أن يحرصن على الغابات. فهي خضراء، لكنها عميقة ومظلمة، والربيع جميلٌ مع العشب الكثيف في الأسفل والأغصان الطيبة في الأعلى، وحيداتٍ مع حبيب قلبكِ - وحيداتٍ في الغابة الخضراء. لكن الله يعينني، لن يبقى أكثر من الثلج في عيد الفصح. ظننتُ للتو أنني عدتُ إليه في الغابة. الله يحفظ جميع الخادمات من الغابة الخضراء."

كانت الأخت أورسولا الجميلة، التي انتهت لتوها من فترة الرهبنة، شاحبة كالشحوب. كان تنفسها كثيفًا وسريعًا كما لو كانت تحمل عبئًا ثقيلًا على تلة. تنهدت تنهيدة عميقة جعلت كتفيها الجميلين يرتفعان وينخفضان. صرخت: "يا عذراء مباركة! آه، لقد طلبتِ الكثير؛ لم أكن أعرف؛ يا إلهي، لم أكن أعرف!" وامتلأت عيناها الرماديتان بالدموع فجأة، و...[10] أسقطت رأسها على ذراعيها على الطاولة، وبدأت بالبكاء بصوت عالٍ.

ثم صرخت الأخت كاثرين، التي بدت عجوزًا ميتة كغصن سقط من شجرة في الخريف الماضي، فسخرت منها الأخوات الأصغر سنًا سرًا: "إنها الحروب، الحروب، الحروب الملعونة. لقد أمسكت برأسه في حضني، أقول لكِ؛ لقد قبلت روحه في روحي. لكنه الآن ميت، وأطرافه الجميلة سقطت في التراب. يا أمنا القديسة، ارحميني. لن أقبل شفتيه الحلوتين مرة أخرى أو أنظر في عينيه البهيتين. لقد تحطم قلبي منذ زمن طويل. يا أمنا القديسة! يا أمنا القديسة!"

قالت راهبةٌ ممتلئةٌ في الثلاثين من عمرها، أنفها صغيرٌ مرفوعٌ من نهايته، وعيناها سوداوان كالبرقوق وشفتاها مستديرتان كالبرقوق: "يجب أن يأتي كثيرًا. أذهب إلى البستان يومًا بعد يوم، وأجمع تفاحًا في حضني. إنه حبيبي. لماذا لا يأتي؟ أبحث عنه كلما جمعتُ التفاح الناضج. كان يأتي؛ لكن ذلك كان في الربيع، والسيدة العذراء تعلم أن ذلك قد مضى عليه زمنٌ طويل. ألن يأتي الربيع قريبًا؟ لقد جمعتُ الكثير من التفاح الناضج."

كانت الأخت مارغريتا تتمايل في مقعدها، وتضع ذراعيها على صدرها. كانت تغني لنفسها بهدوء.

"لولا، لوللا، أيها الطفل الصغير،
لولا، لولاي، لولاي؛
امتص صدري الذي أنا فيه مخدوع،
لولا، لولاي، لولاي."

تذمرت لنفسها، "لقد رأيت نساء القرية يذهبن إلى البئر، يحملن أطفالهن معهن، وهن[11] يضحكون وهم يمرون في الطريق. يحتضنهم أطفالهم بقوة حول أعناقهم، وتعزيهم أمهاتهم قائلات: "مهلاً، مهلاً، يا بنيّ الصغير؛ مهلاً، مهلاً، يا حبيبي". يعلم المسيح والقديسون المباركون أنني لم أشعر قط بيد طفل صغير في صدري، والآن سأموت بدونها، فقد كبرتُ وتجاوزتُ سن الإنجاب.

"لولا، لوللا، أيها الصبي الصغير،
لولا، لولاي، لولاي؛

إن الشعور بك يهدئ من انزعاجي الكبير،
لولا، لولاي، لولاي."

سمعتهم في صباح أحد أيام مايو، بأصوات مزاميرهم وآلاتهم الموسيقية المرحة، صرخت الأخت هيلين؛ رأيتهم أيضًا، ورافقهم قلبي ليعيدوا الزعرور الأبيض من الغابة. "رجل وفتاة لغصن زعرور"، كما تقول الأغنية. يغنون خارج نافذتي طوال ليلة القديس يوحنا حتى لا أستطيع أن أدعو لهم بالخير من الأفكار الجامحة التي يزرعونها في ذهني، وهم يرقصون جيئة وذهابًا في فناء الكنيسة؛ لا أستطيع أن أنسى الكلمات الجميلة التي يقولونها لبعضهم البعض: "حبيبي، قبلة"؛ "قبلني يا حبيبي، ولا تدعني أذهب"؛ "وأنا أمرّ عبر بوابة الحديقة"؛ "فارس أسود جميل، فارس أسود جميل، وماذا ستعطيني؟ قبلة، وقبلة، لا أكثر من قبلة، تحت شجرة الورد البري". يا مريم الأم، ارحمي قلب الفتاة الفقيرة، سأموت، إذا لم يحبني أحد، سأموت.

"في الإيمان، أنا آسفة حقًا، ويليام"، قالت الأخت أغنيس، التي كانت هزيلة وعيناها غائرتان بسبب السهر الطويل والصيام المفرط، والذي وبخه الأب الصالح[12] مرة تلو الأخرى، قائلةً إنها أثقلت كاهل الجسد الضعيف المسكين. "أنا آسفة حقًا لأنني لم أستطع الانتظار. لكن الجيران أحدثوا ضجة كبيرة، وضربني أبي وأمي بشدة. إنه تحت شجرة البلوط، لا يزيد عمقه عن قدم، ومغطى بأوراق حمراء وبنية. كان منظرًا جميلًا رؤية الدم الأحمر على رقبته، أبيض كعظم الحوت، ولم يبكِ ولم ينتحب، لذلك وضعته بين الأوراق، الدمية الجميلة؛ وكان مثلك يا ويليام، كان مثلك. أنا آسفة لأنني لم أنتظر، والآن أنا منهك وضعيف من أجلك، هذه السنوات الطويلة، وكل ذلك عبثًا، لأنك لم تأتِ أبدًا. أنا امرأة عجوز الآن، وسأهدأ قريبًا ولن أتذمر بعد الآن."

كانت بعض الأخوات يبكين كما لو أن قلوبهن على وشك الانهيار؛ وجلست بعضهن في هدوء وسكينة، وتركن الدموع تنهمر من عيونهن دون رادع؛ وابتسم بعضهن وبكين معًا؛ وتنهدت بعضهن قليلاً وارتجفت كأوراق الحور

الرجراج في ريح جنوبية. كانت الشموع الكبيرة في القاعة تحترق حتى مآخذها. انطفأت واحدة تلو الأخرى. وسقط ضوء شبحي متذبذب على الأسطورة فوق المنصة العريضة: " الزواج يجدد العالم، لكن العذرية جنة". "دونغ، دونغ، دونغ." فجأةً، بدأ جرس الدير الكبير يدق. صرخت رئيسة الدير، وقفزت على قدميها، وكانت دموعها على خديها الشاحبين، ويدها ترتجف وهي تشير بعنف إلى الباب.

"ابتعد أيها الحاج الكاذب"، صرخت. "اصمت أيها الكافر الحقير! ارجعني إلى الوراء أيها الشيطان. " رسمت علامة الصليب مرارًا وتكرارًا، قائلةً "أبانا". صرخت الراهبات وارتجفن رعبًا. ارتفعت سحابة صغيرة من الدخان الأزرق من حيث وقف المنشد. كان هناك لهب صغير، ثم اختفى. كان الظلام يخيم على القاعة. كسرت بضع شهقات الصمت. سقط ضوء شمعة واحدة خافتة على جسد السيدة الأم.
قالت: " غدًا، سنصوم وننشد بلاسيبو وديريج والمزامير السبعة التوبة . فليرحمنا الله القدوس على كل ما فعلناه وقلناه وفكرنا فيه خطأً هذه الليلة. آمين."

<u>الحواشي:</u>

[1]مأخوذ بإذن من كتاب الشيطان في الدير وحكايات العصور الوسطى الأخرى ، بقلم فرانسيس أوسكار مان، ونشرته شركة P. Dutton & Company، نيويورك، 1914.

2- بيلفاغور

بقلم نيكولو مكيافيلي

نقرأ في أرشيفات فلورنسا القديمة الرواية التالية، كما وردت من شفاه رجلٍ قديسٍ، كان يحظى باحترام الجميع لقداسة أخلاقه في عصره. إذ صادف أن انغمس ذات مرة في صلواته، فكانت فعاليتها عظيمة، حتى إنه رأى عددًا لا يُحصى من النفوس المدانة، التي تنتمي إلى أولئك البشر البائسين الذين ماتوا في خطاياهم، يرزحون تحت وطأة العقاب المستحق لذنوبهم في الدنيا. ولاحظ أن معظمهم لم يرثوا شيئًا أشد مرارة من حماقتهم في الزواج، ونسبوا إليهن كل مصائبهم. دُهش مينوس ورادامانثوس من هذا، مع بقية القضاة الجهنميين، رافضين تحميل النساء كل الإساءة، ومتعبين من تكرارها يومًا بعد يوم، فوافقوا على عرض الأمر على بلوتو. ثم تقرر أن يُشكل مجلس أمراء الجحيم لجنة تحقيق، وأن يتخذ ما تراه المحكمة الأنسب من إجراءات لكشف حقيقة أو زيف الافتراءات التي سمعوها. وبعد أن اجتمع الجميع في مجلس، خاطبهم بلوتو قائلاً: "أيها الشياطين الأعزاء! مع أن هذا، بحكم التدبير السماوي وقضاء القدر الذي لا رجعة فيه،[15] لقد ورثتُ المملكة، وقد أعفيتُ تمامًا من أي مسؤولية سماوية أو دنيوية، ولكن بما أن من الحكمة والاحترام مراجعة القوانين والاستماع إلى آراء الآخرين، فقد قررتُ الاسترشاد بنصيحتكم، لا سيما في حالة قد تُلقي باللوم على حكومتنا. لأن أرواح جميع الرجال الوافدين يوميًا إلى مملكتنا لا تزال تُلقي باللوم كله على زوجاتهم، وبما أن هذا يبدو لنا مستحيلًا، فعلينا أن نكون حذرين في اتخاذ القرارات في مثل هذا الأمر، لئلا نُصاب نحن أيضًا بنصيب من إساءتهم، بسبب قسوتنا المفرطة؛ ومع ذلك، يجب النطق بالحكم، لئلا نُحاسب على الإهمال وعدم الاكتراث بمصالح العدالة. "والآن، بما أن الأخير هو خطأ شخص مهمل، والأول خطأ قاضٍ غير عادل، فإننا، راغبين في تجنب المتاعب واللوم الذي قد يترتب على كليهما، ولكننا لا نرى كيف نتخلص منه، فمن الطبيعي أن نلجأ إليك طلباً للمساعدة،

حتى تتمكن من النظر إليها، والتخطيط بطريقة ما بحيث، كما حكمنا حتى الآن دون أدنى اتهام لشخصيتنا، يمكننا الاستمرار في القيام بذلك في المستقبل."

لما بدا الأمر بالغ الأهمية لجميع الأمراء الحاضرين، قرروا أولاً ضرورة التأكد من الحقيقة، مع اختلافهم في أفضل السبل لتحقيق ذلك. رأى بعضهم أنه ينبغي اختيار واحد أو أكثر من بينهم، ليُكلَّفوا بزيارة العالم، وليبذلوا جهدهم الشخصي، بروحٍ إنسانية، للتأكد من مدى صحة هذه التقارير. أما بالنسبة للكثيرين، فقد بدا لهم أن...[16] كان من الممكن القيام بذلك دون الكثير من المتاعب بمجرد إجبار بعض النفوس البائسة على الاعتراف بالحقيقة من خلال تطبيق مجموعة متنوعة من التعذيب. ولكن الأغلبية كانت لصالح رحلة إلى العالم، فقد التزموا بالاقتراح السابق. ومع ذلك، لم يكن أحد يطمح إلى القيام بمثل هذه المهمة، فقد تقرر ترك الأمر للصدفة. وقعت القرعة على الشيطان الأكبر بيلفاغور، الذي كان يتمتع، قبل السقوط، برتبة رئيس الملائكة في عالم أعلى. وعلى الرغم من أنه تلقى مهمته بنعمة سيئة للغاية، إلا أنه شعر بأنه مقيد بأمر بلوتو الإمبراطوري، واستعد لتنفيذ أي شيء تم تحديده في المجلس. وفي الوقت نفسه، أقسم على مراعاة فحوى تعليماته، حيث تم وضعها بكل جدية واحتفالية مناسبة لغرض مهمته. وكانت هذه على النحو التالي: - إمبريميس ، أنه من أجل تعزيز الهدف المنشود بشكل أفضل، يجب تزويده بمائة ألف دوقية ذهبية؛ ثانيًا، أن يبذل أقصى جهده في الحياة الدنيا؛ ثالثًا، أن يدخل في حالة الزواج بعد أن يتخذ هيئة بشرية؛ وأخيرًا، أن يعيش مع زوجته عشر سنوات. عند انقضاء هذه المدة، كان عليه أن يتظاهر بالموت ويعود إلى منزله، ليُطلع أصحاب العمل، من خلال تجاربه، على ما هي حقًا مزايا الزواج ومساوئه. كما تضمنت الشروط أن يكون خلال السنوات العشر المذكورة عرضة لجميع أنواع البؤس والكوارث، مثل بقية البشر، كالفقر والسجون والأمراض التي قد يقع فيها البشر.[17] إلا إذا استطاع، في الواقع، أن يتدبر أمره بحنكته وذكائه لتجنبها. بعد أن وقّع بيلفاغور المسكين هذه الشروط

واستلم المال، وُلد على الفور، وبعد أن جهّز عربته، مع عدد كبير من الخدم، دخل فلورنسا دخولاً باهراً. اختار هذه المدينة على غيرها، لأنها الأنسب للحصول على فائدة ربوية من ماله؛ واتخذ اسم رودريغو، وهو من مواليد قشتالة، واتخذ منزلاً في ضواحي أوغنيسانتي. ولأنه لم يستطع شرح التعليمات التي يتصرف بموجبها، أعلن أنه تاجر، وأن حظوظه في إسبانيا كانت ضئيلة، فذهب إلى سوريا، ونجح في تكوين ثروته في حلب، ومنها انطلق أخيراً إلى إيطاليا، بنية الزواج والاستقرار هناك، كونها من أرقى وأروع البلدان التي عرفها.
كان رودريجو رجلاً وسيمًا للغاية، ويبدو أنه كان في الثلاثين من عمره تقريبًا، وعاش حياةً أظهرت أنه كان يعيش في ظروف ميسورة، إن لم يكن يمتلك ثروةً طائلة. علاوةً على ذلك، ولأنه كان ودودًا وسخيًا للغاية، سرعان ما لفت انتباه العديد من المواطنين النبلاء المحظوظين بعائلات كبيرة من البنات ودخل محدود. سرعان ما عُرضت عليه هذه العائلات، فاختار من بينها فتاةً جميلةً جدًا تُدعى أونيستا، ابنة أميريغو دوناتي، التي كان لديها أيضًا ثلاثة أبناء، جميعهم بالغون، وثلاث بنات أخريات، يكادن الزواج أيضًا. على الرغم من أنه من عائلة نبيلة ويتمتع بسمعة طيبة في فلورنسا، إلا أن والد زوجته كان فقيرًا للغاية، وكان يُعامل على أنه فقير و[18] لذلك، أقام رودريغو حفل زفافٍ باهر، ولم يُغفل شيئًا يُضفي شرفًا على هذا الاحتفال، إذ كان عُرضةً، بموجب القانون الذي تلقاه عند مغادرته مسكنه الجهنمي، أن يُعاني من شتى أنواع الأهواء الدنيوية الباطلة. لذا سرعان ما بدأ ينخرط في كل مظاهر الفخامة والتفاخر، ويسعى إلى الشهرة والاعتبار بين البشر، مما كلفه الكثير. بل أكثر من ذلك، لم يمضِ وقت طويل على صحبة حبيبته أونيستا، حتى تعلق بها تعلقًا شديدًا، ولم يستطع أن يراها تُعاني أدنى قلق أو انزعاج. والآن، إلى جانب مواهبها الأخرى من الجمال والنبل، جلبت هذه السيدة إلى منزل رودريغو قدرًا لا يُطاق من الكبرياء، لدرجة أن لوسيفر نفسه لم يستطع مُضاهاتها في هذا الشأن؛ لأن زوجها، الذي عانى من آثار كليهما، لم يكن في حيرة من أمره ليُحدد أيهما أشد وطأة. لكن الأمر ازداد

سوءًا عندما اكتشفت مدى تعلق رودريغو بها، والذي انتهزته للسيطرة عليه وحكمه بقضيب من حديد. لم تكتفِ بذلك، بل عندما وجدته يحتمل، واصلت إزعاجه بشتى أنواع الإهانات والسخرية، بطريقة سببت له ألمًا وقلقًا لا يوصفان. فبفضل تأثير والدها وإخوتها وأصدقائها وأقاربها، وواجب نير الزواج، والحب الذي كان يحمله لها، تحمل كل ذلك لفترة من الوقت بصبر القديسين. لا جدوى من سرد الحماقات والإسراف الذي وقع فيه لإرضاء ذوقها في الملابس، وكل قطعة من أحدث صيحات الموضة.[19] حيث مدينتنا، المتغيرة بطبيعتها، وفقًا لعاداتها المعتادة، تزخر بالكثير. ومع ذلك، للعيش في وفاق معها، اضطر إلى فعل أكثر من ذلك؛ كان عليه مساعدة حميه في توزيع بناته الأخريات؛ ثم طلبت منه بعد ذلك أن يزود أحد إخوتها بالبضائع للإبحار إلى بلاد الشام، وآخر بالحرير إلى الغرب، بينما كان من المقرر أن يجهز ثالث في منشأة لصائغ الذهب في فلورنسا. في مثل هذه الأشياء، سرعان ما استهلك الجزء الأكبر من ثروته. وأخيرًا، اقترب موسم الكرنفال؛ وكان من المقرر الاحتفال بمهرجان القديس يوحنا، وكانت المدينة بأكملها، كالمعتاد، في حالة هياج. كانت أعداد من أرقى العائلات على وشك التنافس مع بعضها البعض في روعة حفلاتهم، وكانت السيدة أونيستا، مصممة على ألا يتفوق عليها معارفها، أصرت على أن يتفوق عليهم جميعًا في ثراء أعيادهم. للأسباب المذكورة أعلاه، خضع لإرادتها؛ ولا، في الواقع، ما كان ليتردد في فعل المزيد، مهما كان ذلك صعبًا، لو كان بإمكانه أن يخدع نفسه بأمل الحفاظ على سلام وراحة أسرته، وانتظار اكتمال دماره بهدوء. لكن لم يكن الأمر كذلك، فقد بلغ طبع زوجته المتغطرس حدًا من القسوة بسبب التساهل الطويل، لدرجة أنه كان في حيرة من أمره فيما يتصرف به. لن يبقى خدمه، ذكورًا وإناثًا، في المنزل بعد الآن، لعدم قدرتهم على إعالة حياتهم القاسية التي يعيشونها لفترة طويلة. من المستحيل التعبير عن الإزعاج الذي عانى منه نتيجة عدم وجود من يأتمنه على شؤونه. حتى أهله[20] كان الشياطين الذين أحضرهم معه قد هجروه، مفضلين العودة إلى الدنيا على

الخضوع لطغيان زوجته. وإذ تُرك وحيدًا في هذه الحياة المضطربة التعيسة، وبدّد كل ما يملك من مال، اضطر إلى العيش على أمل العوائد المتوقعة من مشاريعه في الشرق والغرب. ولأنه لا يزال يتمتع بسمعة طيبة، لجأ إلى الكمبيالات لدعم وضعه الاجتماعي؛ ولم يمضِ وقت طويل، إذ تراكمت عليه الديون، حتى وجد نفسه في نفس موقف العديد من المضاربين التعساء في تلك السوق. وبينما أصبحت قضيته بالغة الحساسية، وصلته أنباء مفاجئة من الشرق والغرب تفيد بأن أحد أشقاء زوجته قد بدّد كل أرباح رودريجو في التداول، وأنه بينما كان الآخر عائدًا بحمولة غنية غير مؤمّن عليها، غرقت سفينته، ولقي هو حتفه. ما كادت هذه القضية أن تنتهي حتى اجتمع دائنوه، وظنّوا أن قضيته قد انتهت، مع أن فواتيرهم لم تُستحق بعد، فقرروا مراقبته بصرامة خوفًا من فراره. أما رودريغو، فقد ظنّ أنه لا سبيل آخر، وشعر بمدى خضوعه لقانون ستيجيا، فقرر الهرب مهما كلف الأمر. لذا، ركب حصانه في صباح باكر، لحسن حظه، لأنه كان يسكن قرب بوابة براتو، وانطلق في ذلك الاتجاه. سرعان ما عُلم رحيله؛ كان الدائنون جميعًا في حالة هياج؛ وطُلب من القضاة، وأُرسل ضباط العدل، إلى جانب عدد كبير من العامة، لمطاردته. لم يكد رودريغو يقطع ميلًا واحدًا حتى...[21] سمع هذا الضجيج والصراخ، وسرعان ما اقترب المطاردون من أعقابه لدرجة أن الحل الوحيد المتبقي له هو التخلي عن الطريق الرئيسي والتوجه إلى الريف المفتوح، على أمل إخفاء نفسه في الحقول. ولكن وجد نفسه غير قادر على شق طريقه عبر التحوطات والخنادق، فترك حصانه وركض على أعقابه، عابرًا حقول الكروم والقصب، حتى وصل إلى بيريتولا، حيث دخل منزل ماتيو ديل بريكا، عامل جيوفانا ديل بيني. ووجده في المنزل، لأنه كان مشغولاً بتوفير العلف لماشيته، فتوسل إليه بطلنا بإخلاص لإنقاذه من أيدي خصومه القريبين من خلفه، الذين سيموتون جوعًا في زنزانة حتمًا، متعهدًا بأنه إذا منحه ماتيو ملجأ، فسيجعله واحدًا من أغنى الرجال على قيد الحياة، وسيقدم له مثل هذه الأدلة على ذلك قبل أن يرحل والتي ستقنعه بصحة

ما قاله؛ وإذا فشل في القيام بذلك، فقد كان سعيدًا تمامًا بأن يسلمه ماتيو بنفسه إلى أيدي أعدائه.

كان ماتيو، رغم كونه ريفيًا، شجاعًا، وخلص إلى أنه لن يخسر شيئًا بهذه المضاربة، فمد يده إليه ووافق على إنقاذه. ثم ألقى بطلنا تحت كومة من القمامة، ولفّه بالأعشاب الضارة؛ فعندما وصل مطاردوه، وجدوا أنفسهم في حيرة من أمرهم، ولم يتمكنوا من استخراج أي معلومات من ماتيو عن مظهره. في هذه المعضلة، لم يبقَ لهم سوى مواصلة المطاردة، التي استمروا فيها ليومين، ثم عادوا إلى فلورنسا منهكين وخائبي الأمل. في هذه الأثناء، أخرج ماتيو بطلنا من مخبئه، و[22] توسل إليه أن يفي بخطبته. فأجابه صديقه رودريغو: "أعترف يا أخي أنني ملزمٌ لك بواجبات عظيمة، وأنوي ردّها إليك. ولكي لا أدع مجالاً للشك فيك، سأخبرك من أنا". ثم شرع في إطلاعه على كل تفاصيل الأمر: كيف جاء إلى الدنيا، وتزوج، وهرب. ثم وصف لوصيه كيف يغني، وكانت بإيجاز كما يلي: ما إن يسمع ماتيو عن سيدة في الجوار يُقال إنها ممسوسة، حتى يستنتج أن رودريغو نفسه هو من استحوذ عليها؛ وأعطاه وعداً في الوقت نفسه بأنه لن يتركها حتى يأتي ماتيو ويستدرجه للرحيل. وبهذه الطريقة، يمكنه الحصول على المبلغ الذي يرضيه من أصدقاء السيدة مقابل طرد الأرواح الشريرة منها؛ وبعد أن اتفقا على هذه الخطة، اختفى رودريغو.

لم تمضِ أيامٌ كثيرة حتى أُفيد في فلورنسا أن ابنة السيد أمبروجيو أميدي، المتزوجة من بوناجوتو تيبالدوتشي، قد سُلبت من الشيطان. ولم يتردد أقاربها في استخدام كل الوسائل المعتادة في مثل هذه المناسبات لطرده، مثل جعلها ترتدي على رأسها قبعة القديس زانوبي، وعباءة القديس يوحنا من غوالبرتو؛ لكن هذه لم تُفضِ إلا إلى إضحاك رودريغو. ولإقناعهم بأن ما سُلب منها كان روحًا، وأنه ليس ضربًا من الخيال، جعل الشابة تتحدث اللاتينية، وتُجري نقاشًا فلسفيًا، وتُظهر نقاط ضعف العديد من معارفها. واتهم راهبًا معينًا على وجه الخصوص بأنه أدخل...[23] سيدةٌ دخلت ديره بزيّ رجال، مما أثار فضيحةً كبيرةً لدى كل من سمعه، ودهشةَ الأخوية. لم

يستطع السيد أمبروجيو إسكاته، وبدأ ييأس من شفاء ابنته. لكن ما إن وصل الخبر إلى ماتيو حتى سارع إلى انتظار أمبروجيو، مؤكدًا له شفاء ابنته بشرط أن يدفع له خمسمائة فلورين، ليشتري بها مزرعةً في بيريتولا. وافق السيد أمبروجيو على ذلك؛ وأمر ماتيو على الفور بإقامة عددٍ من القداديس، وبعدها شرع في بعض المراسم غير المبررة التي رُصدت لإضفاء الجدية على مهمته. ثم اقترب من الشابة، وهمس في أذنها: "رودريجو، لقد جاء ماتيو. فافعل ما اتفقنا عليه، واخرج." أجاب رودريغو: "لا بأس، لكنك لم تطلب ما يكفي لتصبح رجلاً ثريًا. لذا عندما أغادر، سأستولي على ابنة تشارلز، ملك نابولي، ولن أتركها حتى تعود. يمكنك حينها أن تطلب ما تشاء كمكافأة لك، واحرص على ألا تُزعجني مرة أخرى." وبعد أن قال هذا، غادر السيدة، مما أثار دهشة وبهجة مدينة فلورنسا بأكملها.
لم يمضِ وقت طويل حتى انتشر خبر حادثة ابنة ملك نابولي في البلاد، وبعد أن ثبت فشل جميع العلاجات الرهبانية، سمع الملك بأمر ماتيو، فأرسل في طلبه من فلورنسا. وعند وصوله إلى نابولي، أجرى ماتيو، بعد بضعة مراسم، العلاج. لكن قبل أن يغادر الأميرة، قال رودريجو: "كما ترى يا ماتيو، لقد وفيتُ بوعدي...[24] لقد جعلتك غنيًا، ولا أدين لك بشيء الآن. لذا، من الآن فصاعدًا، احرص على الابتعاد عن طريقي، لئلا يحدث لك العكس في المستقبل كما فعلت لك من قبل. عندها، رأى ماتيو أن من الأفضل العودة إلى فلورنسا، بعد أن تسلّم خمسين ألف دوقية من جلالته، ليستمتع بثرواته بسلام، ولم يخطر بباله قط أن رودريجو سيعترض طريقه مرة أخرى. لكنه خُدع في هذا؛ إذ سرعان ما سمع أن ابنة لويس، ملك فرنسا، ممسوسة بروح شريرة، مما أزعج صديقنا ماتيو كثيرًا، وهو يفكر في نفوذ جلالته العظيم وما قاله رودريجو. ولما سمع الملك بمهارة ماتيو العظيمة، ولم يجد حلاً آخر، أرسل إليه رسولًا، فدبّر ماتيو إعادته بأعذار متنوعة. لكن هذا لم يُجدِ نفعًا طويلًا؛ فلجأ الملك إلى مجلس فلورنسا، واضطر بطلنا للحضور. ولما وصل إلى باريس دون أي شعور بالراحة، قُدّم إلى الملك، حيث أكد لجلالته أنه على الرغم من شهرته الحقيقية في سياق

ممارسته للسحر، إلا أنه لا يستطيع التباهي دائمًا بالنجاح، و أن بعض الشياطين يائسون لدرجة أنهم لا يكترثون للتهديدات أو السحر أو حتى لطرد الأرواح الشريرة من الدين نفسه. مع ذلك، سيُرضِي جلالته، متوسلاً في الوقت نفسه أن يُعفى من العقاب إذا ثبتت إصراره على القضية. أجاب الملك: مهما يكن، فإنه سيشنقه بالتأكيد إذا لم ينجح. من المستحيل وصف رعب ماتيو المسكين.[25] والحيرة عند سماع هذه الكلمات؛ ولكن في النهاية استجمع شجاعته، وأمر بإحضار الأميرة الممسوسة إلى حضوره. اقترب كعادته بالقرب من أذنها، واستحضر رودريجو بأكثر العبارات تواضعًا، بكل ما فعله من أجله، ألا يتخلى عنه في مثل هذه المعضلة، ولكن أن يُظهر بعض الشعور بالامتنان للخدمات السابقة وأن يترك الأميرة. "آه! أيها الشرير الخائن!" صرخ رودريجو، "هل تجرأت بالفعل على التدخل في هذا الأمر؟ هل تفتخر بأنك رجل ثري على حسابي؟ سأقنع العالم وإياك الآن بمدى قوتي، سواء في العطاء أو الأخذ. سيكون من دواعي سروري رؤيتك مشنوقًا قبل أن تغادر هذا المكان." وجد ماتيو المسكين أنه لا يوجد علاج، ولم يقل شيئًا أكثر من ذلك، ولكن مثل رجل حكيم، وضع رأسه للعمل من أجل اكتشاف وسيلة أخرى لطرد الروح؛ ولهذا الغرض قال للملك: "سيدي، الأمر كما كنت أخشى: هناك أرواح شريرة للغاية لدرجة أنه لا يمكن الحفاظ على أي اتفاق معهم، وهذا واحد منهم. ومع ذلك، سأبذل محاولة أخيرة، وأنا على ثقة من أنها ستنجح وفقًا لرغباتنا. وإلا، فأنا تحت سلطة جلالتك، وآمل أن ترحم براءتي. في المقام الأول، يجب أن أتوسل إلى جلالتك أن تأمر بإقامة مسرح كبير في وسط الساحة الكبرى، بحيث يسمح بدخول النبلاء ورجال الدين في المدينة بأكملها. يجب تزيين المسرح بجميع أنواع الحرير وقماش الذهب، مع رفع مذبح في المنتصف. غدًا صباحًا أود أن أجعل جلالتك، مع كامل حاشيتك من اللوردات ورجال الدين، يجلسون في[26] في تناغمٍ رائع، كمشاهدين للمشهد في المكان المذكور. هناك، بعد الاحتفال بالقداس المهيب، يجب أن تظهر الأميرة المسكونة؛ ولكن عليّ أن أتوسل تحديدًا أن يتمركز على

جانبٍ من الساحة فرقةٌ من الرجال يحملون الطبول والأبواق والطبول والطبول الصغيرة ومزامير القربة والصنج والطبول الصغيرة، وجميع أنواع الآلات الأخرى التي تُصدر ضجيجًا جهنميًا. الآن، عندما أخلع قبعتي، دع الفرقة بأكملها تُعزف، وتتقدم بأعلى صوتٍ مُرعبٍ نحو المسرح. هذا، إلى جانب بعض العلاجات السرية الأخرى التي سأستخدمها، سيُجبر الروح على الرحيل بالتأكيد.

تم اتخاذ هذه الاستعدادات وفقًا للأمر الملكي؛ وعندما حلّ اليوم، وهو صباح الأحد، شوهد المسرح مزدحمًا بالناس ذوي المكانة والساحة بالناس. أُقيم القداس، وقادت الأميرة الممسوسة بين أسقفين، مع موكب من النبلاء، إلى المكان. والآن، عندما رأى رودريجو هذا الحشد الهائل من الناس، إلى جانب كل هذا الاستعداد الرهيب، كاد أن يُصاب بالخرس من الدهشة، وقال في نفسه، "أتساءل عما يفكر فيه هذا الجبان الوغد الآن؟ هل يتخيل أنني لم أرَ قط أشياءً أجمل من هذه في المناطق العليا - آه! وأشياء أكثر فظاعة في الأسفل؟ ومع ذلك، سأجعله يندم على ذلك قريبًا، على أي حال." ثم اقترب منه ماتيو، وتوسل إليه أن يخرج؛ لكن رودريغو ردّ: "أوه، تظنّ أنك فعلتَ شيئًا رائعًا الآن! ماذا تنوي أن تفعل بكل هذه الخدعة؟ هل يمكنكَ الهروب من سلطتي، كما تعتقد، بهذه الطريقة، أو التملص من انتقام الملك؟ أيها الوغد الأحمق، سأفعل..."[27] لقد شُنقتَ لهذا السبب!" وبينما استمر ماتيو في التوسل إليه أكثر، استمر خصمه في شتمه بنفس النبرة. لذلك ماتيو، معتقدًا أنه لا يوجد وقت لإضاعته، صنع الإشارة بقبعته، عندما أثار جميع الموسيقيين الذين كانوا متمركزين هناك لهذا الغرض ضجة بشعة، ودقّوا ألف رنة، واقتربوا من المكان. نصب رودريجو أذنيه عند الصوت، في حيرة من أمره تمامًا عما يفكر فيه، وبصوت مضطرب نوعًا ما سأل ماتيو عما يعنيه. رد الأخير على هذا، ويبدو أنه كان في حالة من الذعر الشديد: "يا للأسف! عزيزي رودريجو، إنها زوجتك؛ إنها قادمة إليك!" يستحيل تصور مدى حزن رودريغو والتغيير الغريب الذي طرأ على مشاعره عند سماعه هذا الاسم. فما إن نُطق اسم

"زوجة"، حتى فقد وعيه ليُفكر في احتمالية أن تكون هي. ودون أن يُجيب بكلمة واحدة، قفز هارباً في رعبٍ شديد، تاركاً السيدة وشأنها، مُفضّلاً العودة إلى مسكنه الجهنمي وسرد مغامراته على تحمّل المزيد من المعاناة والضيق تحت نير الزواج. وهكذا ظهر بيلفاغور مجدداً في العوالم الجهنمية، مُقدّماً شهادةً وافرةً على الشرور التي جلبتها زوجته على بيته؛ بينما عاد ماتيو، الذي كان أعلم بالأمر من الشيطان، إلى بيته منتصراً، فخوراً جداً بالنصر الذي حققه.

3- الشيطان وتوم ووكر

بقلم واشنطن إيرفينغ

على بعد أميال قليلة من بوسطن في ماساتشوستس، يوجد مدخل عميق، متعرج لعدة أميال في داخل البلاد من خليج تشارلز، وينتهي في مستنقع أو مستنقع كثيف الأشجار. يوجد على أحد جانبي هذا المدخل بستان مظلم جميل؛ وعلى الجانب الآخر ترتفع الأرض فجأة من حافة المياه إلى سلسلة من التلال العالية، تنمو عليها بعض أشجار البلوط المتناثرة ذات العمر الكبير والحجم الهائل. تحت إحدى هذه الأشجار العملاقة، وفقًا للقصص القديمة، كان هناك قدر كبير من الكنز الذي دفنه كيد القرصان. سمح المدخل بوجود منشأة لإحضار الأموال في قارب سرًا وفي الليل إلى سفح التل تمامًا؛ سمح ارتفاع المكان بالحفاظ على مراقبة جيدة بحيث لا يكون هناك أحد في متناول اليد؛ بينما شكلت الأشجار الرائعة معالم جيدة يمكن من خلالها العثور على المكان بسهولة مرة أخرى. وتضيف القصص القديمة، علاوة على ذلك، أن الشيطان كان يشرف على إخفاء الأموال، وأخذها تحت وصايته؛ لكن من المعروف أنه يفعل هذا دائمًا مع الكنوز المدفونة، خاصةً إذا كانت مكتسبة بطرق غير مشروعة. على أي حال، لم يعد كيد لاستعادة ثروته؛ إذ أُلقي القبض عليه بعد ذلك بوقت قصير في بوسطن، وأُرسل إلى إنجلترا، وهناك أُعدم شنقًا بتهمة القرصنة.

حوالي عام ١٧٢٧، في الوقت الذي كانت فيه الزلازل منتشرة في نيو إنجلاند، وتهزّ العديد من الخطاة طوال القامة، كان يسكن بالقرب من هذا المكان رجلٌ هزيلٌ بخيل يُدعى توم ووكر. كانت لديه زوجةٌ بخيلةً مثله: بل كانا بخلين لدرجة أنهما تآمرا على خداع بعضهما البعض. كانت المرأة تخفي كل ما تصل إليه يدها؛ ولم تكن الدجاجة تضحك، لكنها كانت متأهبةً لتأمين البيضة الجديدة. كان زوجها يتجسس باستمرار ليكشف عن كنوزها السرية، وكانت النزاعات كثيرةً وشرسةً حول ما كان ينبغي أن يكون ملكيةً مشتركة. كانوا يعيشون في منزلٍ مهجورٍ قائمٍ بذاته، يسوده جوٌّ من

المجاعة. نمت بالقرب منه بعض أشجار السافين المتناثرة، رمزًا للعقم؛ لم يكن الدخان يتصاعد من مدخنته قط؛ ولم يتوقف مسافرٌ عند بابه. كان حصان بائس، أضلاعه مفصلية مثل قضبان ملعب كرة قدم، يتجول في حقل، حيث كانت سجادة رقيقة من الطحالب، بالكاد تغطي أسرة حجر الحلوى الممزقة، تثير جوعه وتمنعه من الجوع؛ وفي بعض الأحيان كان يميل رأسه فوق السياج، وينظر إلى المارة بشفقة، ويبدو وكأنه يطلب الخلاص من هذه الأرض المجاعة.

كان للمنزل ونزلائه سمعة سيئة للغاية. كانت زوجة توم شرسة طويلة القامة، حادة الطباع، ثرثارة اللسان، وقوية الذراع. كان صوتها يُسمع غالبًا في صراعها الكلامي مع زوجها؛ وكان وجهه يُظهر أحيانًا علامات على أن خلافاتهما لم تكن تقتصر على الكلمات. مع ذلك، لم يجرؤ أحد على التدخل بينهما. انكمش المسافر الوحيد في نفسه من شدة الصخب والصراخ؛ ونظر إلى...[30] وكر الخلاف منحرفًا؛ وأسرع في طريقه، فرحًا، حتى لو كان عازبًا، في عزوبته.

في أحد الأيام، كان توم ووكر في منطقة بعيدة من الحي، فسلك ما اعتبره طريقًا مختصرًا للعودة إلى المنزل، عبر المستنقع. ومثل معظم الطرق المختصرة، كان طريقًا غير مختار. كان المستنقع كثيفًا بأشجار الصنوبر والشوكران الكئيبة الكبيرة، بعضها يصل ارتفاعه إلى تسعين قدمًا، مما جعله مظلمًا في الظهيرة، وملجأً لجميع بوم الحي. كان مليئًا بالحفر والمستنقعات، مغطاة جزئيًا بالأعشاب والطحالب، حيث غالبًا ما يكشف السطح الأخضر المسافر عن خليج من الطين الأسود الخانق: كانت هناك أيضًا برك مظلمة وراكدة، مساكن الشرغوف والضفدع الثور وثعبان الماء؛ حيث كانت جذوع الصنوبر والشوكران نصف غارقة ونصف متعفنة، تبدو وكأنها تماسيح نائمة في الوحل.

كان توم يشق طريقه بحذر عبر هذه الغابة الغادرة منذ زمن طويل؛ يخطو من خصلة إلى خصلة من القصب والجذور، التي وفرت له موطئ قدم هشًا بين المستنقعات العميقة؛ أو يذرع بحذر، كقط، على طول جذوع الأشجار

المنهكة؛ يندهش بين الحين والآخر من صراخ طائر الواق المفاجئ، أو نقيق بطة برية تحلق من بركة منعزلة. أخيرًا، وصل إلى قطعة أرض صلبة، تمتد كشبه جزيرة إلى حضن المستنقع العميق. كانت إحدى معاقل الهنود خلال حروبهم مع المستعمرين الأوائل. هنا أقاموا نوعًا من الحصن، الذي اعتبروه منيعًا تقريبًا، واستخدموه ملجأً لنساءهم و...[31] لم يبقَ من الحصن الهندي القديم سوى بضعة سدود، تغرق تدريجيًا إلى مستوى الأرض المحيطة، وقد غطتها جزئيًا أشجار البلوط وأشجار الغابات الأخرى، التي شكّلت أوراقها تباينًا مع أشجار الصنوبر الداكنة وأشجار الشوكران في المستنقع.

كان الوقت متأخرًا في شفق المساء عندما وصل توم ووكر إلى الحصن القديم، فتوقف هناك قليلًا ليستريح. أي شخص سواه كان سيشعر بعدم الرغبة في البقاء في هذا المكان الكئيب الموحش، إذ كانت لدى عامة الناس نظرة سلبية عنه، استنادًا إلى القصص المتناقلة من زمن حروب الهنود الحمر؛ إذ زُعم أن المتوحشين كانوا يُلقون تعاويذ هنا، ويقدمون قرابين للروح الشريرة.

مع ذلك، لم يكن توم ووكر رجلاً يُقلقه هذا النوع من المخاوف. استلقى لبعض الوقت على جذع شجرة شوكران ساقطة، يستمع إلى صرخة ضفدع الشجر المزعجة، ويغوص بعصاه في كومة من العفن الأسود عند قدميه. وبينما كان يقلّب التربة دون وعي، اصطدمت عصاه بشيء صلب. انتزعها من العفن النباتي، فإذا بجمجمة مشقوقة، مدفونة في أعماقها فأس حرب هندي، أمامه. أظهر الصدأ على السلاح الوقت الذي انقضى منذ توجيه هذه الضربة القاضية. كان تذكارًا كئيبًا للصراع العنيف الذي دار في آخر موطئ قدم للمحاربين الهنود.

"همف!" قال توم ووكر، وهو يركله ليتخلص من التراب.

"دع هذه الجمجمة وشأنها!" قال صوت أجش. رفع توم عينيه، فرأى رجلاً أسود ضخمًا جالسًا[32] كان واقفًا أمامه مباشرةً، على جذع شجرة. دهش بشدة، إذ لم يسمع أو يرَ أحدًا يقترب؛ وازداد حيرةً حين لاحظ، على قدر

ما تسمح به الظلمة المتصاعدة، أن الغريب ليس زنجيًا ولا هنديًا. صحيحٌ أنه كان يرتدي زيًا هنديًا بحتًا، وكان يلفّ حول جسده حزامًا أحمر أو وشاحًا؛ لكن وجهه لم يكن أسود ولا نحاسيًا، بل كان داكنًا وباهتًا، ملطخًا بالسخام، كما لو كان معتادًا على العمل بين النيران والمداخن. كان شعره أسود خشنًا كثيفًا، يبرز من رأسه في كل اتجاه، ويحمل فأسًا على كتفه.

عبس للحظة في وجه توم الذي كان لديه زوج من العيون الحمراء الكبيرة.

"ماذا تفعل في أرضي؟" قال الرجل الأسود بصوت أجش.

قال توم بسخرية: "إن أراضيك ليست ملكك أكثر من ملكي؛ فهي ملك للشماس بيبودي".

قال الغريب: "ليُقتل الشماس بيبودي، كما أُغرِّر نفسي، إن لم يُكثِر النظر إلى خطاياه ويُقلِّل من خطايا جيرانه. انظر إلى هناك، وانظر كيف حال الشماس بيبودي."

نظر توم في الاتجاه الذي أشار إليه الغريب، فرأى إحدى الأشجار العظيمة، جميلة ومزدهرة من الخارج، لكنها متعفنة من الداخل، فرأى أنها قد قُطعت تقريبًا، مما يُرجّح أن تُسقطها أول ريح عاتية. نُقش على لحاء الشجرة اسم الشماس بيبودي، وهو رجلٌ بارز، ثريٌّ بفضل صفقاتٍ بارعةٍ مع...[33] الهنود. نظر حوله، فوجد معظم الأشجار العالية تحمل اسم أحد رجال المستعمرة العظماء، وكلها عليها علامات الفأس تقريبًا. الشجرة التي كان يجلس عليها، والتي يبدو أنها قُطعت للتو، كانت تحمل اسم كراونينشيلد؛ وتذكر رجلاً ثريًا جبارًا يحمل هذا الاسم، كان يتظاهر بثروة فادحة، قيل إنه اكتسبها عن طريق القرصنة.

قال الرجل الأسود بنبرة انتصار: "إنه جاهز للاحتراق! كما ترى، من المرجح أن يكون لديّ مخزون جيد من الحطب للشتاء."

"ولكن ما هو الحق الذي لديك،" قال توم، "لقطع أخشاب الشماس بيبودي؟"

قال الآخر: «حقّ المطالبة السابقة. هذه الغابة ملكي منذ زمن طويل قبل أن تطأها قدم أحد منكم ذوي البشرة البيضاء».

"ومن فضلك، من أنت، إذا سمحت لي أن أكون جريئًا؟" قال توم.
أوه، أُطلق عليّ أسماءً مختلفة. أنا الصياد البري في بعض البلدان، وعامل المناجم الأسود في بلدان أخرى. في هذا الحي، يُعرفني الناس باسم الحطاب الأسود. أنا الذي كرّس له الرجال الحمر هذه البقعة، والذي كانوا يُشوون له بين الحين والآخر رجلاً أبيض، كذبيحةٍ عطرة. منذ أن أبادتم الرجال الحمر على يدكم أيها المتوحشون البيض، أتسلى برئاسة اضطهاد الكويكرز والمعمدانيين؛ أنا الراعي الأكبر لتجار العبيد والمُرشد الأكبر لساحرات سالم.
"والخلاصة من كل ذلك هي أنه إذا لم أخطئ،" قال توم بقوة، "فأنت هو الذي يُطلق عليك عادةً اسم أولد سكراتش."
"وأنا أيضًا في خدمتك!" أجاب الرجل الأسود بإيماءة نصف مدنية.
هكذا كانت بداية هذه المقابلة، كما تُروى في الرواية القديمة؛ وإن كانت تبدو مألوفة جدًا لدرجة يصعب تصديقها. قد يظن المرء أن لقاء شخصية فريدة كهذه، في هذا المكان المنعزل، كان ليُثير أعصاب أي رجل؛ لكن توم كان رجلًا صلبًا، لا يُقهر بسهولة، وقد عاش طويلًا مع زوجة شرسة، لدرجة أنه لم يخشَ حتى الشيطان.
يُقال إنه بعد هذه البداية، دار بينهما حديث طويل وجاد، بينما كان توم عائدًا إلى منزله. أخبره الرجل الأسود عن مبالغ طائلة من المال دفنها القرصان كيد تحت أشجار البلوط على التلال العالية، غير بعيد عن المستنقع. كانت جميعها تحت إمرته، وتحميها سلطته، فلا يجدها إلا من يرضيه. عرض أن يضعها في متناول توم ووكر، إذ كان يكنّ له لطفًا خاصًا؛ لكن لم يكن الحصول عليها ممكنًا إلا بشروط معينة. يمكن تخمين ماهية هذه الشروط بسهولة، مع أن توم لم يُفصح عنها علنًا. لا بد أنها كانت صعبة للغاية، لأنه كان يحتاج إلى وقت للتفكير فيها، ولم يكن من النوع الذي يُصرّ على التفاهات عندما يكون المال نصب عينيه. عندما وصلا إلى حافة المستنقع، توقف الغريب. قال توم: "ما دليلي على صحة كل ما أخبرتني به؟" قال الرجل الأسود، ضاغطًا بإصبعه: "هذا توقيعي".[35]

جبين توم. قال ذلك، ثم انعطف بين أجمات المستنقع، وبدا، كما قال توم، وكأنه يغوص، يغوص، يغوص، في الأرض، حتى اختفى كل شيء سوى رأسه وكتفيه، وهكذا دواليك، حتى اختفى تمامًا.

عندما وصل توم إلى المنزل، وجد بصمة إصبع سوداء محروقة، كما كانت، على جبهته، ولم يتمكن أي شيء من محوها.

كان أول خبرٍ أبلغته به زوجته هو الموت المفاجئ لأبشالوم كراونينشيلد، القرصان الغني. أُعلن الخبر في الصحف بحماسٍ مُعتاد: "سقط رجلٌ عظيمٌ في إسرائيل".

تذكر توم الشجرة التي قطعها صديقه الأسود للتو، والتي كانت جاهزة للحرق. قال توم: "فليُشوى اللص، من يبالي!". شعر الآن بأنه مقتنع بأن كل ما سمعه ورأه لم يكن وهمًا.

لم يكن يميل إلى إفشاء سر زوجته؛ ولكن بما أن هذا سرٌّ مُقلق، فقد شاركه معها طواعيةً. استيقظ جشعها عند ذكر الذهب المُخبأ، وحثّت زوجها على الامتثال لشروط الرجل الأسود، وتأمين ما يُغنيهما مدى الحياة. مهما كان توم مُستعدًا لبيع نفسه للشيطان، فقد كان مُصممًا على عدم فعل ذلك لإرضاء زوجته؛ لذلك رفض رفضًا قاطعًا، لمجرد التناقض. كانت خلافاتهما حول هذا الموضوع مُرّة وشديدة؛ ولكن كلما تحدثت أكثر، كان توم أكثر إصرارًا على عدم إرضائها.

في النهاية قررت أن تبرم الصفقة على حسابها الخاص، وإذا نجحت، فستحتفظ بكل المكاسب[36] لنفسها. ولأنها كانت بنفس طبع زوجها الجريء، انطلقت إلى الحصن الهندي القديم مع نهاية يوم صيفي. غابت ساعات طويلة. وعندما عادت، كانت متحفظة وكئيبة في إجاباتها. تحدثت عن رجل أسود التقت به عند الغسق وهو يقطع جذر شجرة عالية. لكنه كان عابسًا، ولم يتقبل الأمر: كان عليها أن تعود بقربان ترضية، لكنها امتنعت عن ذكره.

في المساء التالي، انطلقت مجددًا إلى المستنقع، ومئزرها مثقل. انتظرها توم طويلًا، لكن دون جدوى؛ حلَّ منتصف الليل، لكنها لم تظهر. عاد

الصباح، والظهيرة، والليل، لكنها لم تأتِ. شعر توم بالقلق على سلامتها، لا سيما بعد أن وجد أنها قد حملت في مئزرها إبريق الشاي الفضي والملاعق، وكل ما يمكن حمله من أدوات ثمينة. انقضت ليلة أخرى، وجاء صباح آخر؛ لكن دون زوجة. باختصار، لم يُسمع عنها أي خبر بعد ذلك.

ما هو مصيرها الحقيقي الذي لا أحد يعلمه، نتيجة تظاهر الكثيرين بمعرفته. إنها إحدى تلك الحقائق التي حيرت مؤرخين مختلفين. زعم البعض أنها ضلت طريقها بين متاهات المستنقع المتشابكة، وغرقت في حفرة أو مستنقع؛ وألمح آخرون، أكثر تسامحًا، إلى أنها هربت بغنيمة المنزل، واختفت إلى مقاطعة أخرى؛ بينما خمّن آخرون أن المُغوي قد استدرجها إلى مستنقع كئيب، وُجدت قبعتها فوقه. وتأكيدًا على ذلك، قيل إن رجلاً أسود ضخمًا، يحمل فأسًا على كتفه، شوهد في وقت متأخر من ذلك المساء نفسه قادمًا من...[37] المستنقع، يحمل حزمة مربوطة في مئزر مربع، مع جو من الانتصار العابس.

ومع ذلك، تُشير القصة الأكثر شيوعًا إلى أن توم ووكر شعر بقلق بالغ على مصير زوجته وممتلكاته، فشرع أخيرًا في البحث عنهما في الحصن الهندي. وفي ظهيرة صيف طويلة، بحث في أرجاء المكان الكئيب، لكن لم يرَ زوجة. نادى باسمها مرارًا، لكنها لم تكن تُسمع في أي مكان. لم يستجيب لصوته سوى طائر الواق، وهو يطير صارخًا؛ أو نعب ضفدع الثور حزينًا من بركة مجاورة. وفي النهاية، كما يُقال، في ساعة الشفق البنية، عندما بدأت البوم تنعق، والخفافيش ترفرف، جذب انتباهه ضجيج غربان الجيف التي تحوم حول شجرة سرو. رفع رأسه، فرأى حزمة مربوطة في مئزر مربع الشكل، ومعلقة في أغصان الشجرة، ونسرًا كبيرًا يقف بالقرب منها، كما لو كان يراقبها. قفز فرحًا. لأنه تعرف على مئزر زوجته، وظن أنه يحتوي على الأشياء الثمينة في المنزل.

"دعنا نستولي على الممتلكات"، قال وهو يعزي نفسه، "وسنحاول الاستغناء عن المرأة".

بينما كان يتسلق الشجرة، بسط النسر جناحيه، وانطلق يصرخ في ظلال الغابة العميقة. أمسك توم بالمئزر المربّع، لكن يا للأسف! لم يجد فيه سوى قلب وكبد!

هذا، وفقًا لهذه القصة القديمة الأكثر موثوقية، كان كل ما عُثر عليه عن زوجة توم. ربما حاولت التعامل مع الرجل الأسود كما فعلت.[38] اعتادت التعامل مع زوجها؛ ومع أن المرأة العنيدة تُعتبر عادةً ندًا للشيطان، إلا أنها في هذه الحالة يبدو أنها عانت الأمرّين. لا بد أنها ماتت طريدة؛ إذ يُقال إن توم لاحظ آثار أقدام مشقوقة عميقة على الشجرة، ووجد حفنة من الشعر، بدت وكأنها مُنتزعة من جلد الحطاب الأسود الخشن. عرف توم براعة زوجته بالتجربة. هز كتفيه وهو ينظر إلى آثار مخالب التصفيق العنيفة. قال في نفسه: "يا إلهي، لا بد أن العجوز سكراتش قد عانى من هذا الأمر!" عزّى توم نفسه على فقدان ممتلكاته، بفقد زوجته، فقد كان رجلاً ذا عزيمة. حتى أنه شعر بشيء من الامتنان تجاه الحطاب الأسود، الذي اعتبره معروفًا له. لذلك، سعى إلى تعزيز معرفته به، لكن دون جدوى لبعض الوقت؛ إذ كان العجوز ذو الأرجل السوداء يتصرف بخجل، فمهما ظن الناس، فإنه ليس دائمًا متاحًا لمن يطلبه: فهو يعرف كيف يلعب أوراقه وهو واثق تمامًا من نفسه.

يُقال إنه في النهاية، بعد أن أثار التأخير حماس توم، وهيأه للموافقة على أي شيء بدلًا من عدم الحصول على الكنز الموعود، التقى بالرجل الأسود ذات مساء بزيه المعتاد كحطاب، حاملًا فأسه على كتفه، يتجول في المستنقع، وهو يُدندن بلحن. تظاهر توم بتجاهل عروضه، فأجاب بإيجاز، وظل يُدندن بلحنه.

ومع ذلك، تدريجيًا، أحضره توم إلى العمل، وبدأوا في المساومة حول الشروط التي يجب أن يتم بموجبها تسليمه.[39] كان الشرط الأول هو الحصول على كنز القرصان. كان هناك شرط واحد لا داعي لذكره، وهو مفهومٌ عادةً في جميع الحالات التي يمنح فيها الشيطان امتيازات؛ ولكن كانت هناك شروط أخرى، وإن كانت أقل أهمية، كان مُصرًا عليها بعنادٍ

شديد. أصرّ على أن يُوظّف المال الذي يحصل عليه من خلال موارده في خدمته. لذلك، اقترح أن يستخدمه توم في تجارة الرقيق؛ أي أن يُجهّز سفينةً للعبيد. إلا أن توم رفض ذلك رفضًا قاطعًا: كان ضميره سيئًا بما يكفي؛ لكن الشيطان نفسه لم يستطع إغرائه بالتحول إلى تاجر رقيق.

ولما وجد توم متضايقًا للغاية بشأن هذه النقطة، لم يصر عليها، بل اقترح بدلاً من ذلك أن يتحول إلى مرابي؛ وكان الشيطان قلقًا للغاية بشأن زيادة عدد المرابين، وكان ينظر إليهم على أنهم شعبه الخاص.

لم يكن هناك أي اعتراض على هذا، لأنه كان فقط حسب ذوق توم.

"سوف تفتح متجرًا للوساطة في بوسطن الشهر المقبل"، قال الرجل الأسود.

"سأفعل ذلك غدًا، إذا كنت ترغب في ذلك"، قال توم ووكر.

"يجب عليك إقراض المال بنسبة اثنين في المائة شهريًا."

"يا إلهي، سأطلب أربعة!" أجاب توم ووكر.

"سوف تقومون بابتزاز السندات، وحجز الرهن العقاري، ودفع التجار إلى الإفلاس" -

"سأقودهم إلى الا—d"، صرخ توم ووكر.

"أنت المُرابي على مالي!" قال ذو الأرجل السوداء بفرح. "متى تريد وحيد القرن؟"

"في هذه الليلة بالذات."

"تم!" قال الشيطان.

"تم!" قال توم ووكر. - لذلك تصافحا وعقدا صفقة.

وبعد أيام قليلة، كان توم ووكر جالساً خلف مكتبه في إحدى مكاتب المحاسبة في بوسطن.

سرعان ما ذاع صيته كرجلٍ مُقترضٍ، يُقرض المال بمقابلٍ جيد. يتذكر الجميع عهد الحاكم بيلشر، حين كان المال نادرًا للغاية. كان زمنًا للائتمان الورقي. غمرت البلاد بأوراق الدين الحكومية، وتأسس بنك الأراضي الشهير؛ وسادت موجةٌ من المضاربة؛ وجن جنون الناس بمخططات بناء

مستوطنات جديدة؛ لبناء مدن في البراري؛ وجاب سماسرة الأراضي خرائط المنح والبلدات ومواقع إلدورادو، التي لا يعرف أحدٌ مكانها، والتي كان الجميع على استعدادٍ لشرائها. باختصار، استعرت حمى المضاربة الشديدة التي تندلع بين الحين والآخر في البلاد، بشكلٍ مُقلق، وكان الجميع يحلم بتكوين ثرواتٍ طائلة من لا شيء. وكالعادة، خفتت الحمى؛ واندثر الحلم، ومعه الثروات الخيالية؛ وتُرك المرضى في محنةٍ مُزرية، ودوّت البلاد بأكملها صرخة "الأوقات العصيبة".

في هذه الفترة المواتية من الضيق العام، أسس توم ووكر مرابيًا في بوسطن. وسرعان ما ازدحم بابه بالزبائن. هرع إليه المحتاجون والمغامرون، والمضاربون المقامرون، وتجار الأراضي الحالمين، والتجار المفلسين، والتجار ذوي السجل الائتماني المتداعي؛ باختصار، كل من سعى لجمع المال بوسائل يائسة وتضحيات جسيمة.

وهكذا كان توم الصديق العالمي للمحتاجين،[41] كان يتصرف كـ"صديق وقت الضيق"؛ أي أنه كان يطالب دائمًا بأجر جيد وأمان جيد. كانت صرامة شروطه تتناسب مع معاناة طالب الخدمة. كان يجمع السندات والرهون العقارية؛ ويضغط على زبائنه تدريجيًا ليقترب منهم أكثر فأكثر: وفي النهاية طردهم جافين كالإسفنجة من بابه.

بهذه الطريقة، جمع ثروة طائلة، وأصبح رجلاً ثريًا ذا نفوذ، واعتلى قمة المجد في عالم المال. بنى لنفسه، كعادته، منزلًا واسعًا بدافع التفاخر، لكنه ترك معظمه دون تشطيب أو أثاث، بدافع البخل. حتى أنه ركب عربة في غمرة غروره، مع أنه كاد يُميت الخيول التي تجرها جوعًا؛ وبينما كانت عجلاتها غير المشحمة تئن وتصرخ على محاورها، لظننت أنك تسمع أرواح المدينين الفقراء الذين كان يعصرهم.

مع تقدم توم في السن، ازداد تفكيره. بعد أن نال خيرات الدنيا، بدأ يشعر بالقلق حيال خيرات الآخرة. فكّر نادمًا في الصفقة التي عقدها مع صديقه الأسود، وبذل جهدًا كبيرًا لخداعه. فأصبح فجأةً مولعًا بالكنيسة. كان يصلي بصوت عالٍ وبجهد، كما لو أن الجنة ستُنتزع منه بقوة الرئتين. في الواقع،

كان المرء يعرف دائمًا متى كان أكثر خطاياه خلال الأسبوع، من خلال صخب عبادته يوم الأحد. أما المسيحيون الهادئون الذين كانوا يسافرون بتواضع وثبات نحو صهيون، فقد أصيبوا بلوم الذات لرؤية أنفسهم يتفوق عليهم هذا المتحول حديثًا فجأةً في مسيرتهم المهنية. كان توم صارمًا في أمور الدين كما في أمور المال؛ كان صارمًا[42] كان مشرفًا على جيرانه ومُراقِبًا لهم، ويبدو أنه كان يعتقد أن كل خطيئة تُرتكب في حقهم تُصبح رصيدًا في حسابه. حتى أنه تحدث عن جدوى إحياء اضطهاد الكويكرز والمعمدانيين. باختصار، أصبحت حماسة توم مشهورة كشهرة ثروته.

مع ذلك، ورغم كل هذا الاهتمام المُضني بالنماذج، كان توم يخشى أن يأخذ الشيطان حقه. وحتى لا يُفاجأ، يُقال إنه كان يحمل دائمًا إنجيلًا صغيرًا في جيب معطفه. وكان لديه أيضًا إنجيل كبير مطوية على مكتبه في مكتب المحاسبة، وكثيرًا ما كان يُرى وهو يقرأه عند زيارة الناس للعمل؛ في مثل هذه المناسبات، كان يضع نظارته الخضراء في الإنجيل ليُحدد مكانه، بينما كان يستدير ليُبرم صفقة ربا.

يقول البعض إن توم أصيب بجنون العظمة في شيخوخته، وأنه ظنّاً منه أن نهايته قد اقتربت، فأمر بتجهيز حصانه، وربطه بسرج ولجام، ودفنه وقدميه في الأعلى؛ ظناً منه أنه في اليوم الأخير سينقلب العالم رأساً على عقب؛ وفي هذه الحالة سيجد حصانه واقفاً مستعداً للركوب، وكان مصمماً، في أسوأ الأحوال، على منافسة صديقه القديم. لكن هذه، على الأرجح، مجرد خرافة. إذا كان قد اتخذ مثل هذا الاحتياط فعلاً، فقد كان بلا داعٍ؛ على الأقل هذا ما تقوله الأسطورة القديمة الأصيلة؛ التي تختتم قصته على النحو التالي.

في إحدى بعد ظهرات الصيف الحارة، وبينما كانت عاصفة رعدية سوداء رهيبة تقترب، جلس توم في مكتبه، مرتديًا قبعته الكتانية البيضاء وقميصه الهندي.[43] كان على وشك حجز رهن عقاري، ليُكمل بذلك خراب مضارب أراضي تعيس الحظ، كان يُكنّ له أعظم صداقة. توسل إليه

مضارب الأراضي المسكين أن يمنحه مهلة بضعة أشهر. ازداد توم غضبًا وضيقًا، ورفض يومًا آخر.
قال تاجر الأراضي: «ستُدمر عائلتي، وستُجلب على الرعية». أجاب توم: «الصدقة تبدأ من المنزل؛ عليّ أن أعتني بنفسي في هذه الأوقات العصيبة».
"لقد كسبت مني الكثير من المال"، قال المضارب.
فقد توم صبره وتقواه. قال: "فليأخذني الشيطان إن ربحت فلسا واحدا!"
في تلك اللحظة، سُمعت ثلاث طرقات قوية على باب الشارع. خرج ليرى من هناك. كان رجل أسود يمسك حصانًا أسود، كان يصهل ويدوس بعنف. قال الرجل الأسود بصوت أجش: "توم، لقد أتيتَ من أجلي". تراجع توم، ولكن بعد فوات الأوان. لقد ترك كتابه المقدس الصغير في أسفل جيب معطفه، وكتابه المقدس الكبير على المكتب مدفونًا تحت الرهن العقاري الذي كان على وشك حجزه: لم يسبق أن أُخذ الخاطئ على حين غرة أكثر من هذا! ركض الرجل الأسود به كطفل صغير إلى السرج، وضرب الحصان بالسوط، وانطلق راكضًا، وتوم على ظهره، وسط عاصفة رعدية. وضع الموظفون أقلامهم خلف آذانهم، وحدقوا به من النوافذ. انطلق توم ووكر، يندفع في الشارع؛ قبعته البيضاء تتمايل لأعلى ولأسفل؛ وثوبه الصباحي يرفرف في الريح، وحصانه يُشعل النار من الرصيف.[44] في كل مرة. وعندما التفت الموظفون للبحث عن الرجل الأسود، كان قد اختفى.
لم يعد توم ووكر لحجز الرهن العقاري. أفاد أحد سكان الريف، الذي كان يسكن على حافة المستنقع، أنه في ذروة عاصفة الرعد سمع قعقعة حوافر وعواءً على طول الطريق، فركض إلى النافذة فرأى شخصًا، كما وصفته، على حصان يركض بجنون عبر الحقول، فوق التلال، ثم ينحدر إلى مستنقع الشوكران الأسود باتجاه الحصن الهندي القديم؛ وبعد قليل، سقطت صاعقة رعدية في ذلك الاتجاه، وكأنها أشعلت الغابة بأكملها.
هزّ أهل بوسطن الطيبون رؤوسهم وأكتافهم، لكنهم اعتادوا السحرة والعفاريت وخدع الشيطان، بمختلف أشكالها، منذ أول استيطان

للمستعمرة، فلم يُصابوا بالرعب كما كان متوقعًا. عُيّن أمناء لتولي شؤون ممتلكات توم. مع ذلك، لم يكن هناك ما يُدار عليه. عند تفتيش خزائنه، وُجدت جميع سنداته ورهونه العقارية مُحترقة. وبدلًا من الذهب والفضة، امتلأ صندوقه الحديدي بالرقائق والبرادات؛ ورُقد هيكلان عظميان في إسطبله بدلًا من خيوله شبه الجائعة، وفي اليوم التالي مباشرةً، احترق منزله الكبير تمامًا.

هكذا كانت نهاية توم ووكر وثروته غير المشروعة. فليُصدّق جميع سماسرة المال المتذمرين هذه القصة. فحقيقتها لا شك فيها. فالحفرة تحت أشجار البلوط، التي حفر منها أموال كيد، لا تزال قائمة حتى يومنا هذا؛ وكثيرًا ما تُطارد الأشباح المستنقع المجاور وحصن الهنود الحمر العتيق في عواصف...[45] ليالٍ على يد شخصٍ يمتطي جوادًا، يرتدي ثوبًا صباحيًا وقبعةً بيضاء، وهو بلا شكّ روح المُرابي المُضطربة. في الواقع، تحوّلت القصة إلى مثلٍ شعبي، وهو أصل المثل الشعبي السائد في جميع أنحاء نيو إنجلاند، "الشيطان وتوم ووكر".

4- من مذكرات الشيطان

بقلم فيلهلم هوف

بهذه الطريقة، أبقى الغريب البشوش نفسي، واثني عشر أو خمسة عشر رجلاً وامرأة آخرين (ضيوفنا)، في دوامة من البهجة الدائمة. لم يكن لدى أيٍّ منهم أي عمل خاص يؤخرهم في الفندق، ومع ذلك لم يجرؤ أحد على التفكير في مجرد المغادرة، حتى في يوم بعيد. من ناحية أخرى، بعد أن نمنا لوقت متأخر في الصباح، وجلسنا طويلًا على العشاء، وغنينا ولعبنا طوال الأمسيات، وشربنا وتجاذبنا أطراف الحديث وضحكنا طوال الليالي، بدا أن الرابط السحري الذي يربطنا بهذا الفندق قد نسج حولنا سلاسل جديدة.

لكن سرعان ما انتهى هذا النشوة، ربما لخيرنا. في اليوم السابع من فرحنا، يوم أحد، اختفى صديقنا فون ناتاس. اعتذر النُدُل عنه برحلة قصيرة؛ لن يتمكن من العودة قبل غروب الشمس، لكنه سيصل بالتأكيد في الوقت المناسب لتناول الشاي والعشاء.

لقد أصبح الاستمتاع بصحبته ضرورة بالفعل، لدرجة أن هذه المعلومة جعلتنا عاجزين وغير مرتاحين.

دار الحديث بشكل طبيعي حول صديقنا الغائب وظهوره الباهر والملفت بيننا. كان الأمر غريبًا، لكنني لم أستطع أن أنسى أنني التقيت به في حياتي، ولكن...[47] بشكل مختلف؛ ورغم عبثية الفكرة، إلا أنها كانت لا تزال تطاردني بلا هوادة مرارًا وتكرارًا. تذكرتُ، من سنوات مضت، رجلًا كان يشبهه في كل سلوكه، وخاصةً في نظراته. كان من أتحدث عنه الآن طبيبًا أجنبيًا، كان يزور مدينتي من حين لآخر، وهناك عاش في البداية في عزلة كبيرة، لكنه سرعان ما وجد حشدًا من المصلين يتجمعون حوله. لطالما كانت فكرة هذا الرجل كئيبة، إذ كان يُقال إن مصيبة خطيرة كانت تتبع زياراته دائمًا؛ ومع ذلك لم أستطع التخلص من فكرة أن ناتاس يشبهه بشكل لافت، بل إنه كان الشخص نفسه.

لقد ذكرت لجاري التالي على الطاولة الفكرة التي كانت تطاردني باستمرار، وكم كان من غير الممتع أن أتعرف على مثل هذا الكائن الرهيب باعتباره الغريب الذي أزعج مدينتي، مع صديقنا المشترك الذي اكتسب تقديري ومودتي بالكامل؛ ولكن سيبدو الأمر أكثر إثارة للدهشة عندما أؤكد لقرائي أن جميع جيراني كانوا مليئين بنفس الفكرة تمامًا، وأن الجميع تخيلوا أنهم رأوا رفيقنا اللطيف في شكل مختلف تمامًا.

قالت البارونة فون ثينجن، التي كانت تجلس بالقرب مني: "أنت كافية لجعل المرء يشعر بالحزن الشديد؛ أنت تجعل صديقتنا ناتاس تبدو وكأنها اليهودي التائه، أو الله أعلم ماذا أيضًا!"

كان رجل عجوز صغير، أستاذ في تيبسينجن، انضم إلى دائرتنا قبل بضعة أيام، وقضى وقته في متعة هادئة وصامتة، منتعشًا بمؤتمر عميق عرضي مع نبيذ الراين، وكان يظل مبتسمًا[48] كان يتحدث إلى نفسه أثناء ما أسماه "تشريحنا المقارن"، وكان يدير صندوق السعوط الضخم بين أصابعه بسرعة ماهرة، حتى أنه كان يدور مثل عجلة عربة.

لم أعد أستطيع الامتناع عن ملاحظة أردتُ الإدلاء بها، هتف أخيرًا. "بفضلكِ، سيدتي الكريمة، لا أعتبره بالضبط اليهودي التائه، بل إنسانًا غريبًا جدًا. طالما كان حاضرًا، كانت الفكرة، في الواقع، تخطر ببالي بين الحين والآخر: "لقد رأيتَ هذا الرجل من قبل، ولكن أين كان؟" لكن هذه الذكريات تبددت كما لو كان سحرًا كلما حدّق بي بعينيه الداكنتين المتجوِّلتين."

"لقد كان الأمر كذلك معي - ومعي - ومعي"، هكذا صرخنا جميعًا في دهشة.

هم! هم! ابتسم البروفيسور. حتى الآن، أشعر وكأن الغشاوة تتساقط من عيني، وأرى أنه هو نفس الشخص الذي رأيته في شتوتغارت قبل اثني عشر عامًا.

"ماذا، لقد رأيته إذن، وفي أي ظروف؟" سألت السيدة فون ثينجن بلهفة، وكادت أن تحمر خجلاً من الحماس الذي أظهرته.

أخذ الأستاذ رشفة من السعوط، ونفض الحبوب الزائدة عن صدريته، وأجاب: "ربما مرّ الآن حوالي اثني عشر عامًا منذ أن أجبرتني دعوى قضائية على قضاء بضعة أشهر في شتوتغارت. كنت أسكن في أحد أرقى الفنادق، وعادةً ما كنت أتناول العشاء مع حشد كبير على طاولة الضيافة. في إحدى المرات، حضرتُ لأول مرة إلى الطاولة بعد غياب دام عدة أيام، اضطررت خلالها إلى الاحتفاظ بغرفتي.[49] كان الحضور يتحدثون بشغف عن رجل يُدعى السيد باريغي، الذي لطالما أسعد الزوار بذكائه المرح وطلاقته في جميع اللغات. أجمع الجميع على مدحه، لكنهم لم يتفقوا تمامًا على مهنته؛ فبعضهم اعتبره دبلوماسيًا، وآخرون مدرس لغات، وثالثًا منفيًا سياسيًا بارزًا، ورابعًا جاسوسًا للشرطة. فُتح الباب، وبدا الجميع صامتين، بل مرتبكين، لخوضهم هذا الجدال بصوت عالٍ. ظننتُ أن الشخص المذكور بيننا، ورأيتُ...

"من، من فضلك؟"

يا صاحب السعادة، نفس الشخص الذي أمتعنا كثيرًا لأيام مضت. لم يكن في هذا أي شيء خارق للطبيعة، بالتأكيد، ولكن استمعوا للحظة؛ لقد أضفى السيد باريغي، كما كان يُدعى الغريب، نكهة جديدة على وجباتنا بحديثه العذب، عندما قاطعنا مضيفنا فجأةً قائلًا: "أيها السادة، استعدوا لضيافة فريدة ستُقدم لكم غدًا".

سألنا عن معنى هذا، فأخبرنا قبطانٌ أشيب، كان يرأس طاولة الفندق لسنواتٍ طويلة، بالنكتة التالية: في الجهة المقابلة لهذه الغرفة، يعيش عازبٌ عجوزٌ وحيدًا في منزلٍ مهجورٍ كبير؛ وهو مستشارٌ متقاعدٌ للدولة، ويعيش على قسطٍ كبيرٍ من المال، ولديه ثروةٌ طائلة. ومع ذلك، فهو أحمقٌ تمامًا، ويتمتع ببعضٍ من أغرب الصفات؛ فعلى سبيل المثال، غالبًا ما يُقيم حفلاتٍ ترفيهيةً على نطاقٍ من الترف المُبذّر. يأمر...[50] يُحضر أغطيةً لاثني عشر شخصًا من الفندق، ولديه نبيذٌ فاخرٌ في قبوه، ويشرف أحدُ نُدُلنا على حضور المائدة. ربما تظنون أنه في هذه الولائم يُطعم الجائع ويُسقي العطشان - لا شيء من هذا القبيل؛ على الكراسي أوراقٌ صفراء

قديمة من الرق، من سجل العائلة، والرجل العجوز في غاية البهجة كما لو كان حوله أروع الأصدقاء؛ يتحدث ويضحك معهم، ويُقال إن الأمر برمته مُرعبٌ للغاية، لدرجة أن أصغر النُدُل يُرسلون دائمًا، لأن من حضر عشاءً كهذا لن يدخل المنزل المهجور بعد الآن.

تناول عشاءً قبل أمس، وكان فرانك، النادل الجديد، هناك، يشهد السماء والأرض بأنه لن يُقنعه أحدٌ بالذهاب إلى هناك مرةً أخرى. في اليوم التالي، بعد انتهاء الحفل، تأتي نزوة المستشار الثانية. يغادر المدينة باكرًا، ويعود في الصباح التالي؛ ولكن ليس إلى منزله، الذي كان مغلقًا بإحكام خلال هذه الفترة، بل إلى هذا الفندق. هناك يعامل من اعتاد رؤيته منذ عامٍ كاملٍ كغرباء؛ يتناول العشاء، ثم يقف عند إحدى النوافذ، ويتفحّص منزله المقابل من أعلى إلى أسفل.

"ثم يسأل المضيف: لمن هذا البيت المقابل؟

"ينحني الآخر بانتظام ويجيب، "إنه ينتمي إلى مستشار الدولة، هاسينتريفر، في خدمة معاليكم.""

"لكن يا أستاذ،" لاحظت هنا، "ما علاقة هذا هاسنتريفير السخيف الخاص بك بـ ناتاس لدينا؟[51]"

أجاب الأستاذ: "لحظة صبر يا دكتور، سيُشرق عليك النور قريبًا". ثم فحص هاسنتريفر المنزل، وعلم أنه ملك له. سأل: "يا إلهي! هو نفسه الذي كان طالبًا معي في تيبسينجن". ثم فتح النافذة، ومد رأسه المغطى بالبودرة، ونادى: "ها-أسينتريفر، ها-أسينتريفر!".

"بالطبع لا أحد يجيب، لكنه يلاحظ: 'الرجل العجوز لن يسامحني أبدًا إذا لم أنظر إليه للحظة واحدة،' ثم يأخذ قبعته وعصاه، ويفتح باب منزله، ويدخل، وكل شيء يمضي بعد ذلك كما كان من قبل.

تابع الأستاذ سرد قصته قائلًا: "لقد دهشنا جميعًا من هذه القصة الفريدة، وسعدنا كثيرًا بفكرة فرحة اليوم التالي. إلا أن السيد باريغي ألزمنا بالوعد بأننا لن نخونه، إذ قال إنه يُحضّر مزحة دنيئة ليُلقيها على المستشار.

اجتمعنا جميعًا على طاولة الفندق أبكر من المعتاد، وحاصرنا النوافذ. زحفت عربة قديمة متداعية، يجرها حصانان أعمى، في الشارع؛ وتوقفت أمام الفندق. ها هو ذا هاسنتريفر، ها هو ذا هاسنتريفر، ترددت أصداؤها في كل فم؛ وغمرنا فرحٌ غامر عندما رأينا الرجل الصغير يخرج، وقد وضع عليه بودرة أنيقة، ويرتدي رداءً رماديًا حديديًا، وفي يده مِرشوم ضخم. تبعه إلى الداخل حراسةٌ تضم عشرة خدم على الأقل، ودخل غرفة الطعام بهذه الهيئة.

جلسنا على الفور. نادرًا ما ضحكتُ كما ضحكتُ حينها؛ إذ أصرّ الرجل العجوز، ببرودٍ شديد، على أنه جاء مباشرةً من كاريل،[52] أنه قبل ستة أيام استمتع بضيافة رائعة في فندق سوان في فرانكفورت. لا بد أن باريغي اختفى قبل الحلوى، فعندما غادر المستشار الطاولة، وبادر الضيوف الآخرون، بفضول، بتقليده، لم يكن باريغي موجودًا.

جلس المستشار عند النافذة، وتبعناه جميعًا وراقبنا تحركاته. بدا المنزل المقابل مهجورًا ومهجورًا. نبت العشب على العتبة، وأغلقت المصاريع، وبدا أن الطيور قد بنت أعشاشها على بعضها.

قال الرجل العجوز لمضيفنا الذي ظل واقفا خلفه في المركز الثالث: «بيت جميل، مقابله. لمن هذا المنزل؟»

"إلى مستشار الدولة، هاسينتريفر، في خدمة معاليكم."

"آه، حقًا! لا بد أنه نفس الشخص الذي كان زميلي في الدراسة،" هتف؛ "لن يسامحني أبدًا إن لم أخبره بوجودي هنا." فتح النافذة - "ها-أسينتريفر - هاسينتريفرا!" صرخ بصوت أجش. ولكن من يستطيع أن يصور رعبنا، عندما نرى في الجهة المقابلة، في المنزل الفارغ، الذي كنا نعلم أنه مغلق بإحكام، مصراع نافذة يُرفع ببطء، نافذة مفتوحة، ويطل منها مستشار الدولة، هاسينتريفر، بفستانه الصباحي المصنوع من قماش قطني وقبعة نوم بيضاء، تظهر تحتها بعض خصل الشعر الرمادية الرقيقة؛ هذا، بالضبط، زيه الصباحي المعتاد. حتى أدق تجعد على وجهه الشاحب، كان الشخص الواقف في الجهة المقابلة من الشارع هو نفسه تمامًا الشخص

الذي كان يقف بجانبنا.[53] لكنّ الذعر انتابنا حين صاح فينا من الجانب الآخر من الشارع، بنفس الصوت الأجشّ: "ماذا تريد؟ بمن تنادي؟"
"هل أنت مستشار الدولة، هاسنتريفر؟" قال ذلك الجالس على جانبنا من الطريق، شاحبًا كالموت، بصوت مرتجف، ويرتجف وهو يستند إلى النافذة طلبًا للدعم.
"أنا الرجل،" صرخ الآخر، وأومأ برأسه بطريقة ودية، "هل لديك أي أوامر لي؟"
"ولكن أنا الرجل أيضًا،" قال صديقنا بحزن، "كيف يمكن أن يكون هذا ممكنًا؟"
"أنت مخطئ يا صديقي العزيز،" أجاب من الجانب الآخر من الطريق، "أنت الثالث عشر، كن لطيفًا بما يكفي لتخطو عبر الشارع إلى منزلي، ودعني ألوي رقبتك من أجلك! إنه ليس مؤلمًا على الإطلاق."
«أيها النادل! قبعتي وعصاي»، قال المستشار، شاحبًا كالموت، وقد خرج صوته بنبرة حزينة من صدره الأجوف. «الشيطان في بيتي ويبحث عن روحي؛ أمسية سعيدة لكم أيها السادة»، أضاف، والتفت إلينا بانحناءة مهذبة، ثم غادر الغرفة.
"ماذا يعني هذا؟ سألنا بعضنا البعض، هل نحن جميعا خارج نطاق أنفسنا؟"
ظلّ الرجل ذو الثوب الصباحي ينظر بهدوء من النافذة، بينما كان صديقنا القديم الطيب الساذج يعبر الشارع بخطواته الرسمية المعتادة. عند الباب الأمامي، أخرج مجموعة كبيرة من المفاتيح من جيبه، وفتح الباب الثقيل الذي كان يُصدر صريرًا - وهو ينظر بإهمال إلى الثوب الصباحي - ودخل.[54]
"انسحب الأخير الآن من النافذة، ورأيناه يتقدم لمقابلة صديقنا عند باب الغرفة.
كان مضيفنا والنُدُل العشرة شاحبين من الخوف، ويرتعدون. قال الأول: "أيها السادة، رحم الله هاسنتريفر المسكين، فلا بد أن أحد هذين الاثنين

هو الشيطان في هيئة بشرية". ضحكنا من مضيفنا، وحاولنا إقناع أنفسنا بأنها مزحة من باريغي؛ لكن مضيفنا أكد لنا أنه لا يمكن لأحد دخول المنزل إلا إذا كان بحوزته مفاتيح المستشار المصطنعة للغاية؛ وأن باريغي كان جالسًا على الطاولة قبل أقل من عشر دقائق من وقوع المعجزة؛ فكيف إذن استطاع أن يتنكر بهذه الدرجة في وقت قصير، حتى لو افترضنا أنه يعرف كيفية فتح منزل غريب؟ وأضاف أن الاثنين كانا متشابهين لدرجة أنه، وهو الذي عاش في الحي لعشرين عامًا، لم يستطع التمييز بين الحقيقي والمزيف. "ولكن، بالله عليكم، أيها السادة، ألا تسمعون الصرخات المروعة في الجهة المقابلة؟"

هرعنا إلى النافذة - دوّت أصواتٌ مُرعبةٌ ومُرعبةٌ من المنزل الخالي؛ ظننا أننا رأينا المستشار العجوز، تلاحقه صورته في ثوب الصباح، يمرّ مُسرعًا عبر النافذة مرارًا وتكرارًا. وفجأةً ساد الصمت.

تبادلنا النظرات؛ اقترح أجرأنا العبور إلى المنزل - وافقنا جميعًا. عبرنا الشارع - رُنّ الجرس الضخم على باب الرجل العجوز ثلاث مرات، لكن لم يُسمع أي رد؛ أرسلنا إلى الشرطة وإلى حداد -[55] انفتح الباب فجأة، وتدفق الزوار القلقون على الدرج العريض الصامت - جميع الأبواب كانت مغلقة؛ وفُتح باب واحد أخيرًا. في شقة فخمة، كان المستشار، وقد تمزق معطفه الرمادي الحديدي، وشعره المصفّف بعناية في حالة فوضى عارمة، ملقىً ميتًا مخنوقًا على الأريكة.

"ومنذ ذلك الوقت لم يتم العثور على أي أثر لباريجي، لا في شتوتغارت ولا في أي مكان آخر."

5- عشية القديس يوحنا

بقلم نيكولاي فاسيليفيتش جوجول

كان لدى توما غريغوروفيتش غرابة غريبة: حتى يوم وفاته، لم يكن يتردد في سرد نفس القصة مرتين. كانت هناك أوقات، إذا طلبت منه أن يروي شيئًا جديدًا، كان يُدخل عليه مواد جديدة أو يُغيرها بحيث يستحيل تمييزها. في إحدى المرات، قام أحد هؤلاء السادة (يصعب علينا نحن البسطاء تسميتهم، أو أن نقول ما إذا كانوا كتّابًا أم لا: لكن الأمر أشبه بالمرابين في معارضنا السنوية؛ يتشبثون ويتسولون ويسرقون كل أنواع التفاهات، ويصدرون مجلدات صغيرة حقيرة، لا يزيد سمكها عن كتاب أبجدي، كل شهر، أو حتى كل أسبوع)، بسرد هذه القصة نفسها على توما غريغوروفيتش، فنسيها تمامًا. لكن ذلك الشاب نفسه، ذو القفطان الأخضر البازيلي، الذي ذكرته، والذي قرأتَ إحدى حكاياته، على ما أعتقد، جاء من بولتافا، ومعه كتاب صغير، وفتحه من المنتصف وأرانا إياه. كان توما غريغوروفيتش على وشك وضع نظارته على أنفه، لكنه تذكر أنه نسي لفّ الخيط. [57]حولهما، وألصقهما بالشمع، فناولني إياه. ولأنني أفهم شيئًا عن القراءة والكتابة، ولا أرتدي نظارات، تعهدتُ بقراءته. لم أكن قد قلبتُ صفحتين حتى أمسكني بيدي فجأةً وأوقفني.

"توقف! أخبرني أولاً ماذا تقرأ."

أعترف أنني شعرت بالذهول قليلاً بسبب مثل هذا السؤال.

ماذا! ماذا أقرأ يا توما غريغوروفيتش؟ هذه كلماتك.

"من قال لك أن هذه كلماتي؟"

ماذا تريد أكثر من ذلك؟ ها هو مكتوب: رواه فلانٌ من قساوسة الكهنة .

بصق على رأس من طبع هذا! إنه يكذب، كلب بائع متجول في موسكو! هل قلتُ ذلك؟ كان الأمر كما لو أن المرء لا يملك عقله! اسمع، سأخبرك به فورًا.

انتقلنا إلى الطاولة، وبدأ.

جدي (ملكوت السماوات له! فليأكل فقط خبز القمح والماكوفنيكي)[4] مع العسل في العالم الآخر!) كان يروي قصةً رائعة. عندما كان يبدأ بسرد حكاية، كنت لا تتحرك من مكانك طوال اليوم، بل تستمر في الاستماع. لم يكن نداً لراوي القصص في يومنا هذا، عندما يبدأ بالكذب، بلسانٍ كأنه لم يأكل شيئًا لثلاثة أيام، حتى أنك تخطف قبعتك وتفر من المنزل. كما أتذكر الآن، كانت والدتي العجوز على قيد الحياة آنذاك، في أمسيات الشتاء الطويلة عندما كان الصقيع يتسلل إلى الخارج، وقد أغلقت [58]كانت تجلس أمام مشط التمشيط، وتسحب خيطًا طويلًا في يدها، وتهز المهد بقدمها، وتهتف بأغنية، يبدو أنني أسمعها حتى الآن.

أضاء المصباح السمين، وهو يرتجف ويشتعل كما لو كان خائفًا من شيء ما، كوخنا؛ طنين المغزل؛ واستمعنا جميعًا، الأطفال، مجتمعين في مجموعة، إلى الجد، الذي لم يزحف من الفرن لأكثر من خمس سنوات، نظرًا لكبر سنه. لكن الحكايات العجيبة عن غارات القوزاق الزابوروجيين والبولنديين وأعمال بودكوفا الجريئة وبولتور-كوزوخ وساجيداتشني، لم تهمنا كثيرًا بقدر القصص عن بعض الأعمال القديمة التي كانت ترسل قشعريرة دائمًا عبر أجسامنا وتجعل شعرنا يقف على رؤوسنا. في بعض الأحيان تملكنا مثل هذا الرعب نتيجة لها، لدرجة أنه منذ ذلك المساء فصاعدًا، يعلم الله كم بدا كل شيء لنا عجيبًا. إذا صادف أنك خرجت من الكوخ بعد حلول الليل لأي شيء، تتخيل أن زائرًا من العالم الآخر قد استلقى لينام في سريرك؛ وما كنت لأستطيع أن أروي هذا مرة أخرى لولا أنني كنتُ أُلقي ثوبي من بعيد، وهو على رأس السرير، لأن الشيطان كان مُلتفًا! لكن أهم ما في قصص جدي أنه لم يكذب قط في حياته؛ ومهما قال فهو كذلك.

سأروي لكم الآن إحدى حكاياته العجيبة. أعلم أن هناك عددًا كبيرًا من الحكماء الذين ينسخون في المحاكم، بل ويستطيعون قراءة الوثائق المدنية، ولو وضعت في أيديهم كتاب صلاة بسيطًا،[59] لم يتمكنوا من تمييز الحرف الأول فيه، وكانوا يظهرون جميع أسنانهم في سخرية - وهذه حكمة. هؤلاء الناس يضحكون على كل ما تخبرهم به. لقد انتشر هذا

الاستهزاء في جميع أنحاء العالم! ماذا بعد؟ (لماذا، فليتوقف الله والعذراء المقدسة عن حبي إذا كان من غير الممكن ألا تصدقني حتى أنت!) قال ذات مرة شيئًا عن السحرة؛ ... ماذا بعد؟ يأتي أحد هؤلاء كاسري الرؤوس - ولا يؤمن بالسحرة! نعم، المجد لله أنني عشت طويلاً في العالم! لقد رأيت زنادقة، سيكون من الأسهل عليهم الكذب في الاعتراف من أن يتعاطى إخواننا وأقراننا السعوط، وهؤلاء الناس سينكرون وجود السحرة! ولكن دعهم يحلمون فقط بشيء ما، ولن يخبروا حتى ما هو! لا فائدة من الحديث عنهم!

لم يكن أحد ليتعرف على قريتنا هذه قبل ما يزيد قليلاً عن مئة عام: كانت قرية صغيرة، أفقر أنواع القرى. كانت عشرات البيوت البائسة، غير المطلية، ذات السقف القشي السيء، متناثرة هنا وهناك في الحقول. لم يكن هناك حظيرة أو سقيفة لائقة لإيواء الحيوانات أو العربات. هكذا عاش الأغنياء: ولو بحثتَ عن إخواننا الفقراء - يا إلهي، عن حفرة في الأرض - لوجدتَ فيها كوخًا لك! فقط من خلال الدخان يمكنك أن تعرف أن رجلاً من خلق الله يعيش هناك. تسأل، لماذا عاشوا هكذا؟ لم يكن ذلك بسبب الفقر تمامًا: فقد عاش كل واحد منهم تقريبًا حياة قوزاقية متجولة، وجمعوا غنائم كثيرة في بلاد أجنبية؛[60] كان ذلك بالأحرى لأنه لم يكن هناك سبب لإنشاء خطّة منظمة جيدًا[5] . كم من الناس كانوا يجوبون البلاد، من القرم والبولنديين والليتوانيين! كان من الممكن أن ينزل مواطنوهم وينهبوا كل شيء. كل شيء كان ممكنًا.

في هذه القرية، كان رجل، أو بالأحرى شيطان في هيئة بشر، يظهر كثيرًا. لم يكن أحد يعلم سبب مجيئه ومن أين. كان يتجول، ويسكر، ثم يختفي فجأة كما لو كان في الهواء، ولا أثر لوجوده. ثم، مرة أخرى، بدا وكأنه هبط من السماء، وطار في شوارع القرية، التي لم يبقَ لها أثر الآن، والتي لا تبعد أكثر من مئة خطوة عن ديكانكا. كان يجمع كل القوزاق الذين يصادفهم؛ ثم كانت هناك أغاني وضحكات، وأموال وفيرة، وفودكا تتدفق كالماء... كان يخاطب الفتيات الجميلات، ويعطيهن أشرطة وأقراطًا وسلاسل خرز - أكثر

مما يعرفن ماذا يفعلن به. صحيح أن الفتيات الجميلات ترددن في قبول هداياه: يعلم الله، ربما مرت بأيدٍ قذرة. قالت عمة جدي، التي كانت تملك حانة آنذاك، وكان باسافريوك (كما كانوا يُطلقون على ذلك الرجل الشيطاني) يُقيم فيها حفلاته بكثرة، إنه ما من اعتبار على وجه الأرض كان ليدفعها لقبول هدية منه. ثم، كيف تتجنب القبول؟ سيطر الخوف على الجميع عندما عقد حاجبيه المُتجعدين، وألقى نظرة جانبية قد تُرسل قدميك، الله أعلم إلى أين: ولكن إذا قبلت، فالخطوة التالية... [61]في الليل، يأتي شيطان من المستنقع، بقرون على رأسه، ويبدأ بعصر رقبتك إذا كان عليها خيط من الخرز؛ أو يعض إصبعك إذا كان عليها خاتم؛ أو يسحبك من شعرك إذا كان مضفرًا بشرائط. رحم الله أصحاب هذه الهدايا! لكن هنا تكمن الصعوبة: كان من المستحيل التخلص منها؛ إذا رميتها في الماء، سينزلق الخاتم أو العقد الشيطاني على السطح ويصل إلى يدك.

كانت في القرية كنيسة، تُدعى القديس بانتيلي، إن لم تخني الذاكرة. كان يسكنها كاهن، الأب أثناسيوس ذو الذكر الطيب. لاحظ أن باسافريوك لا يحضر الكنيسة حتى في عيد الفصح، فقرر توبيخه وفرض عليه الكفارة. لكنه نجا بحياته بصعوبة بالغة. "استمع يا بانتلي!"[6] رد بصوت عالٍ، "تعلم أن تهتم بشؤونك الخاصة بدلاً من التدخل في شؤون الآخرين، إذا كنت لا تريد أن يلتصق حلق هذا الماعز الخاص بك بالكوتيا المغلية."[٧] ماذا كان يُفعل بهذا الرجل غير التائب؟ اكتفى الأب أثناسيوس بإعلان أن كل من يتعرف على باسافريوك سيُعتبر كاثوليكيًا، عدوًا لكنيسة المسيح، لا عضوًا في الجنس البشري.

كان في هذه القرية رجل قوزاقي يُدعى كورزه، وكان لديه عامل يُطلق عليه الناس اسم بطرس اليتيم، ربما لأن أحدًا لم يتذكر أباه أو أمه.[8] صحيح، قال [62]أنهم ماتوا بسبب الطاعون في سنته الثانية؛ لكن عمة جدي لم تستمع لذلك، وحاولت بكل قوتها أن تزوده بوالدين، مع أن بيتر المسكين كان بحاجة إليهما بقدر حاجتنا لثلوج العام الماضي. قالت إن والده كان في زابوروجي، وأسره الأتراك، وتعرض لتعذيب لا يعلمه إلا الله، وبمعجزة ما،

تنكر في زي خصي، ونجا. لم يكترث الشباب والفتيات ذوو الحواجب السوداء لوالديه. اكتفوا بالقول إنه لو كان لديه معطف جديد، وحزام أحمر، وقبعة سوداء من جلد الحمل، بتاج أزرق أنيق، وسيف تركي معلق على جانبه، وسوط في يد، وغليون بزخارف أنيقة في الأخرى، لتفوق على جميع الشباب. لكن المؤسف أن الشيء الوحيد الذي كان لدى بيتر المسكين هو سيف رمادي به ثقوب أكثر من القطع الذهبية في جيب يهودي. ولم يكن هذا أسوأ ما في الأمر، بل هذا: أن لكورز ابنة، بجمالٍ لا أظن أنكم رأيتموه. كانت عمة جدي الراحل تقول - وأنتم تعلمون أن تقبيل الشيطان أسهل على المرأة من وصف أي شخص بالجميل، دون قصد، إن صح التعبير - إن خدود هذه الفتاة القوزاقية كانت ممتلئة ونضرة كزهرة الخشخاش الوردية عندما استحمت للتو بندى الله، وهي تتوهج، وتنشر بتلاتها، وتدلل مع شروق الشمس؛ إن حاجبيها كانا كحبال سوداء، مثل تلك التي تشتريها فتياتنا هذه الأيام، مقابل صلبانهن ودوقاتهن، من باعة موسكو المتجولين الذين يزورون القرى بسلالهم، وكانا مقوسين بشكل متساوٍ كما لو كانا يختلسان النظر في عينيها الصافيتين؛ إن فمها الصغير، الذي كان الشباب يلعقون شفتيهم عند رؤيته،[63] بدت وكأنها مصنوعة لإصدار أغاني البلبل؛ حتى أن شعرها الأسود كجناح الغراب، والناعم ككتان صغير (لم تكن فتياتنا آنذاك يضفن شعرهن في هراوات متشابكة بشرائط جميلة زاهية الألوان)، كان يتساقط في تجعيدات فوق كتفيها.[٩] آه! ليت لي أن أنشد هللويا أخرى في الجوقة، لو لم أقبّلها، رغم الشيب الذي يتسلل عبر الصوف القديم الذي يغطي رأسي، وشيختي بجانبي، كشوكة في خاصرتي! حسنًا، أنتَ تعلم ما يحدث عندما يعيش الشباب والشابات جنبًا إلى جنب. في الغسق، كانت كعوب الأحذية الحمراء ظاهرة دائمًا في المكان الذي كانت بيدوركا تدردش فيه مع بيتروس. لكن كورزه ما كان ليشك في أي شيء غريب، إلا في يوم واحد - من الواضح أن لا أحد سوى الشرير كان بإمكانه إلهامه - قرر بيتروس أن يقبّل شفتي الفتاة القوزاقية الورديتين بكل قلبه في الممر، دون أن ينظر حوله أولًا؛ وهذا الشرير نفسه - ليحلم

ابن الكلب بالصليب المقدس! - جعل العجوز ذو اللحية الرمادية، كالأحمق، يفتح باب الكوخ في تلك اللحظة نفسها. ارتجف كورزه، وسقط فكه، وتمسك بالباب طلبًا للدعم. لقد أذهلته تلك القبلات التعيسة تمامًا. لقد فاجأته أكثر من دقّة المدقة على الحائط، التي يستخدمها الفلاح في أيامنا عادةً لإخراج سكره لنقص الفوهات والبارود.

وبعد أن استعاد وعيه، أخذ سوط الصيد الخاص بجده من الحائط، وكان على وشك أن يضرب ظهر بيتر به، عندما اندفع شقيق بيدوركا الصغير البالغ من العمر ست سنوات، إيفاس، من مكان ما أو آخر، [64]أمسك بساقي والده بيديه الصغيرتين، وصرخ قائلًا: "بابا، بابا! لا تضرب بيتروس!" ماذا كان يجب فعله؟ قلب الأب ليس من حجر. علق السوط مرة أخرى على الحائط، وقاده بهدوء من المنزل. "إذا ظهرت مرة أخرى في كوخي، أو حتى تحت النوافذ، فاحذر يا بيتروس! يا إلهي، سيختفي شاربك الأسود؛ وخصلات شعرك السوداء، وإن كانت ملفوفة مرتين حول أذنيك، ستودع رأسك، وإلا فلن يكون اسمي تيرينتي كورزه." قال هذا، وتذوق قليلاً من قبضته في مؤخرة رقبته، حتى أظلم كل شيء أمام بيتروس، وطار بتهور. وهكذا انتهت قبلاتهم. استولى الحزن على حماماتنا؛ وانتشرت شائعة في القرية مفادها أن بولنديًا، مُطرّزًا بالذهب، بشوارب وسيف ومهاميز وجيوب تُصدر صوتًا كأجراس الحقيبة التي يجوب بها خادمنا تاراس الكنيسة يوميًا، قد بدأ يتردد على منزل كورزه. والآن، من المعروف جيدًا سبب زيارة الأب عندما تكون ابنته شاحبة. لذا، في أحد الأيام، انفجرت بيدوركا بالبكاء، وأمسكت بيد ابنها إيواس. يا إيفاس يا حبيبي! يا إيفاس يا حبيبي! انطلق إلى بيتروس، ابني الذهبي، كالسهم من القوس. أخبره بكل شيء: كنت سأحب عينيه البنيتين، وسأقبّل وجهه الأبيض، لكن قدري لم يشأ ذلك. بللت أكثر من منشفة بدموع حارقة. أنا حزين، وقلبي ثقيل. وأبي عدوي. لن أتزوج ذلك البولندي الذي لا أحبه. أخبره أنهم يُحضرون حفل زفاف، لكن لن تكون هناك موسيقى في حفل زفافنا: سيُغني رجال الدين بدلاً من...[65] الأنابيب والكوبزا.[10] لن أرقص مع عريسي، سيُخرَجوني.

سيكون مسكني مظلمًا مظلمًا، من خشب القيقب، وبدلًا من المداخن، سيُنتصب صليب على السطح.
وقف بيترو متجمدًا، دون أن يتحرك من مكانه، عندما تلفظ الطفل البريء بكلمات بيدوركا له. "وأنا، الرجل التعيس، فكرت في الذهاب إلى شبه جزيرة القرم وتركيا، للفوز بالذهب والعودة إليك يا جميلتي! لكن قد لا يكون الأمر كذلك. لقد رأتنا العين الشريرة. سأقيم حفل زفاف أيضًا، يا سمكتي الصغيرة العزيزة، أنا أيضًا؛ لكن لن يحضر ذلك الزفاف أي رجال دين. سينعق الغراب الأسود، بدلاً من البابا، فوقي؛ سيكون الحقل الأملس مسكني؛ وستُغطي السحب الزرقاء الداكنة شجرة سقفي. سيقتلع النسر عينيّ البنيتين: سيغسل المطر عظام القوزاق، وستجففها الزوابع. لكن ما أنا؟ ممن، ولمن، أشكو؟ من الواضح أن الله شاء ذلك. إذا كان عليّ أن أضيع، فليكن!"
وانطلق مباشرة إلى الحانة.
دهشت عمة جدي الراحل بعض الشيء لرؤية بيتروس في الحانة، وفي ساعة يذهب فيها الرجال الصالحون إلى قداس الصباح؛ وحدقت فيه كما لو كانت في حلم، عندما طلب إبريق براندي، حوالي نصف دلو. لكن المسكين حاول عبثًا أن يخفف من حزنه. لسعته الفودكا كقراص القراص، وكان طعمها أشد مرارة من الشيح. رمى الإبريق عنه على الأرض. "لقد حزنت بما فيه الكفاية، أيها القوزاقي"، زمجر صوت جهير من خلفه. نظر حوله - باسافريوك! آه، يا له من وجه! كان شعره كالفرشاة، وعيناه كعيني ثور. "أنا [66]اعرف ما ينقصك: ها هي. ثم رنّت محفظة جلدية معلقة بحزامه، وابتسم ابتسامة شيطانية. ارتجف بيترو. "هـ ...
لا أعتقد أن الدجاج ينتظر الساعة التي تحضر فيها المرأة حبوبها، بنفس القلق الذي انتظره بطرس المساء. بل إنه نظر ليرى إن كانت ظلال الأشجار تطول، وإن كانت الشمس تحمرّ عند الغروب؛ وكلما طال مراقبته، زاد نفاد صبره. كم طال! من الواضح أن يوم الله قد انتهى في مكان ما. والآن غابت الشمس. السماء حمراء من جانب واحد فقط، والظلام يزداد سوءًا. يزداد الجو برودة في الحقول. يصبح الجو مظلمًا، ويزداد ظلمة، وأخيرًا مظلمًا

تمامًا. أخيرًا! انطلق في طريقه، وقد كاد قلبه ينفجر من صدره، ونزل بحذر عبر الغابات الكثيفة إلى الوادي العميق المسمى وادي الدب. كان باسافريوك ينتظر هناك بالفعل. كان الظلام دامسًا لدرجة أنك لا تستطيع أن ترى ياردة واحدة أمامك. تسللوا متشابكي الأيدي عبر المستنقعات الرقيقة، متشبثين بشجيرات الأشواك الوارفة، يتعثرون في كل خطوة تقريبًا. وأخيرًا وصلوا إلى مكان مفتوح. نظر بيترو حوله:[67] لم يسبق له أن وصل إلى هناك. هنا توقف باسافريوك.

هل ترى أمامك ثلاثة تلال؟ عليها أنواعٌ كثيرةٌ من الزهور. ولكن لعلّ قوةً تمنعك من قطف ولو واحدةٍ منها. ولكن ما إن يزهر السرخس، فاغتنمْه، ولا تنظر حولك، مهما بدا لك ما يحدث خلفك.

أراد بيترو أن يسأل - وإذ به يختفي. اقترب من التلال الثلاثة - أين الزهور؟ لم يرَ شيئًا. أظلمت عشبة السهوب البرية حوله، وخنقت كل شيء بجمالها. لكن البرق لمع؛ وأمامه امتدت أزهارٌ رائعةٌ، غريبةٌ في آنٍ واحد: وكانت هناك أيضًا أوراق سرخس بسيطة. شك بيترو في صوابه، ووقف أمامها متأملًا، واضعًا يديه على جنبيه.

ما هذه المعجزة؟ يمكن للمرء أن يرى هذه الأعشاب الضارة عشر مرات في اليوم: ما هذه العجائب؟ ألم يكن وجه الشيطان يضحك عليّ؟

انظر! برعم الزهرة الصغير يحمرّ، ويتحرك كأنه حيّ. إنه لأمرٌ عجيبٌ حقًا. يتحرك، ويكبر أكثر فأكثر، ويومض كالجمر المشتعل. يلمع النجم الصغير، وينفجر شيءٌ ما بهدوء، وتنفتح الزهرة أمام عينيه كشعلة، تُضيء ما حولها. "الآن هو الوقت"، فكّر بيترو، ومدّ يده. رأى مئات الأيدي الأشعثاء تمتد من خلفه، أيضًا نحو الزهرة؛ وهناك ركضٌ من مكانٍ إلى آخر، في الخلف. أغمض عينيه نصفَ انحناء، وقطعَ الساقَ بحدّة، وبقيت الزهرة في يده. ساد الصمت.[68] جلس باسافريوك على جذع شجرة، أزرق كالجثة. لم يحرك ساكنًا. كانت عيناه ثابتتين على شيء لا يراه إلا هو: فمه نصف مفتوح صامت. في كل مكان، لا شيء يتحرك. آه! كان الأمر مروعًا! - ولكن بعد ذلك سُمعت صفارة، جعلت قلب بيترو يرتجف؛ وبدا له أن العشب

يهمس، وبدأت الزهور تتحدث فيما بينها بأصوات رقيقة، كأجراس فضية صغيرة؛ وحفيف الأشجار في صراع متموج؛ - امتلأ وجه باسافريوك فجأة بالحياة ولمعت عيناه. "لقد عادت الساحرة للتو"، تمتم من بين أسنانه. "انظر هنا يا بيترو: ستقف أمامك جميلة في لحظة؛ افعل ما تأمرك به؛ وإلا - ستضيع إلى الأبد." ثم شق شجيرة الشوك بعصا معقودة، وأمامه وقفت كوخ صغير، على أرجل دجاجة، كما يقولون. ضربها باسافريوك بقبضته، فاهتز الجدار. ركض كلب أسود ضخم للقائهم، وبأنين، تحول إلى قطة، انقضّ على عينيه مباشرة. قال باسافريوك، مستخدمًا كلماتٍ تُصمّ أذني رجلٍ صالح: "لا تغضب، لا تغضب، أيها الشيطان العجوز!". ها هي، بدلًا من قطة، امرأةٌ عجوزٌ بوجهٍ مُتجعدٍ كتفاحةٍ مخبوزة، ومنحنيةً كالقوس: كان أنفها وذقنها ككسارة جوز. "جمالٌ بديع!" فكّر بيترو؛ وسرت قشعريرةٌ باردةٌ على ظهره. انتزعت الساحرة الزهرة من يده، وانحنت، وتمتمت عليها طويلًا، وهي ترشّها بنوعٍ من الماء. تطايرت شراراتٌ من فمها، وظهرت رغوةٌ على شفتيها.

"ارميها بعيدًا"، قالت، وأعادتها إلى بيترو.[69]

رماها بيترو، وما أغرب هذا؟ لم تسقط الزهرة مباشرة على الأرض، بل تألقت طويلًا ككرة نارية في الظلام، وسبحت في الهواء كقارب. أخيرًا بدأت تغوص أكثر، وسقطت بعيدًا جدًا، حتى أن النجمة الصغيرة، التي بالكاد يزيد حجمها عن بذرة خشخاش، كادت أن تُرى. "هنا!" نطقت العجوز بصوت أجش. وأعطاه باسافريوك مجرفة وقال: "احفر هنا يا بيترو: هنا ستجد ذهبًا أكثر مما حلمت أنت أو كورزه به."

بصق بيترو على يديه، وأمسك المجرفة، ووضع قدمه، وقلب الأرض، مرة ثانية، وثالثة، ورابعة... كان هناك شيء صلب: رنّت المجرفة، ولم تذهب أبعد من ذلك. ثم بدأت عيناه تميز صندوقًا صغيرًا مغلّفًا بالحديد. حاول الاستيلاء عليه؛ لكن الصندوق بدأ يغرق في الأرض، أعمق وأبعد وأعمق: وخلفه سمع ضحكة، أشبه بهسيس ثعبان. قالت الساحرة: "لا، لن ترى الذهب حتى تحصل على دم بشري"، وقادت إليه طفلًا في السادسة من

عمره، مغطى بملاءة بيضاء، تشير بعلامة إلى أنه سيقطع رأسه. أصيب بيترو بالذهول. يا له من أمر تافه، في الواقع، أن يقطع رأس رجل أو حتى طفل بريء بدون سبب على الإطلاق! في غضب مزق الملاءة التي كانت تغلف رأسه، وها! أمامه وقف إيفاس. ووضع الطفل المسكين يديه الصغيرتين متقاطعتين، وأرخى رأسه... انقض بيترو على الساحرة بالسكين كالمجنون، وكان على وشك وضع يديه عليها...

"ماذا وعدت الفتاة؟" ... صرخ باسافريوك؛ وكان مثل رصاصة على ظهره.[70] داسَت الساحرةُ بقدمها: انبعثَ لهبٌ أزرقٌ من الأرض؛ أضاءَ كلَّ ما في الداخل، وكان كما لو كان مصبوبًا من الكريستال؛ وأصبح كلُّ ما في باطن الأرض مرئيًا، كما لو كان في راحة اليد. كانت الدوقات، والأحجار الكريمة في الصناديق والأباريق، مكدسةً في أكوامٍ تحت نفس المكان الذي وقفوا عليه. احترقت عيناه، ... ازداد عقله اضطرابًا... أمسك السكين كالمجنون، واندفع الدم البريء في عينيه. دوى ضحكٌ شيطانيٌّ من كل جانب. طارت وحوشٌ مشوهةٌ أمامه في قطعان. ربطت الساحرة يديها في الجذع المقطوع الرأس، مثل ذئب، وشربت دمه... دار كل شيء في رأسه. استجمع كل قوته، وانطلق للركض. تحول كل شيء إلى اللون الأحمر أمامه. بدت الأشجار غارقةً في الدم، واحترقت وتأوهت. أضاءت السماء وتوهجت... ومضَت نقطة الاحتراق، كالبرق، أمام عينيه. منهكًا تمامًا، اندفع إلى كوخه البائس، وسقط أرضًا كجذع شجرة. غلبه نومٌ أشبه بالموت.

نام بيترو يومين وليلتين دون أن يستيقظ ولو لمرة واحدة. وعندما أفاق في اليوم الثالث، نظر طويلًا في جميع أركان كوخه؛ لكن دون جدوى حاول أن يتذكر؛ كانت ذاكرته كجيب بخيل، لا يُغرى منه ربع كوبيك. تمدد، فسمع صوت ارتطام عند قدميه. نظر - كيسين من الذهب. ثم تذكر، كما لو كان في حلم، أنه كان يبحث عن كنز، وأن شيئًا ما أخافته في الغابة... لكن بأي ثمن حصل عليه، وكيف، لم يستطع أن يفهم على الإطلاق.

رأى كورزه الأكياس، فهدأ من روعه. "يا له من بيتروس، غريبٌ جدًا! أجل، ألم أكن أحبه؟ ألم يكن لي كابني؟" وواصل الرجل العجوز سرد حكاياته حتى أجهش بالبكاء. بدأ بيدوركا يخبره أن بعض الغجر العابرين سرقوا إيفاس؛ لكن بيترو لم يستطع حتى تذكره - لدرجة أن تأثير الشيطان أظلم عقله! لم يكن هناك سبب للتأخير. طُرد البولندي، وأُعدّت وليمة العرس؛ خُبزت اللفائف، وطُرِّزت المناشف والمناديل؛ جلس الشباب على المائدة؛ قُطِّع رغيف العرس؛ دُقّت الباندورات والصنج والمزامير والكوبزي، وعمّت المتعة...

لم يكن حفل الزفاف في العصور القديمة مثل حفل الزفاف في الوقت الحاضر. اعتادت عمة جدي أن تحكي - ما يفعلون! - كيف كانت الفتيات - في أغطية رأس احتفالية من شرائط صفراء وزرقاء ووردية، وفوقها ضفائر ذهبية؛ في قمصان رقيقة مطرزة على جميع اللحامات بالحرير الأحمر، ومتناثرة بأزهار فضية صغيرة؛ في أحذية مغربية، ذات كعوب حديدية عالية - يرقصن الغورليتزا بشكل رائع مثل الطاووس، وبجنون مثل الإعصار؛ كيف كان الشباب - بقبعاتهم على شكل سفينة على رؤوسهم، وأكاليل من الديباج الذهبي، مع شق صغير في مؤخرة العنق حيث تظهر شبكة الشعر، وقرنان بارزان، واحد في الأمام وآخر من الخلف، من أجود أنواع جلد الحمل الأسود؛ في كونتوشا من أجود أنواع الحرير الأزرق مع حواف حمراء - يتقدمون إلى الأمام واحدة تلو الأخرى، وأذرعهم على شكل أكمبو في شكل مهيب، ويؤدون غوباك؛ كيف كان الشباب - الذين يرتدون قبعات القوزاق الطويلة، والسفيتكا المصنوعة من القماش الخفيف، والمشدودين بأحزمة مطرزة بالفضة، وأنابيبهم القصيرة بين أسنانهم - يقفزون أمامهم،[72] وتحدث هراء. حتى كورزه لم يستطع أن يمنع نفسه، وهو يحدق في الشباب، من أن يصبح مرحًا في شيخوخته. باندورا في يده، ينفخ غليونه ويغني بالتناوب، وكأس براندي على رأسه، بدأ الرقص الوطني وسط صيحات عالية من المحتفلين. ماذا لن يبتكر الناس في مزاج مرح! حتى أنهم بدأوا في إخفاء وجوههم. لم يكونوا يشبهون البشر. لا يمكن مقارنتهم

بالتنكر الذي لدينا في حفلات الزفاف لدينا هذه الأيام. ماذا يفعلون الآن؟ لماذا، يقلدون الغجر وباعة موسكو المتجولين. لا! ثم كان أحدهم يرتدي زي يهودي، وآخر زي الشيطان: كانوا يبدأون بتقبيل بعضهم البعض، وينتهون بالإمساك ببعضهم البعض من الشعر... الله معهم! ضحكت حتى أمسكت جانبيك. كانوا يرتدون ملابس تركية وتتارية. لقد أضاءوا كل شيء فوقهم مثل حريق هائل ... ثم بدأوا في المزاح واللعب بالمقالب .... حسنًا، إذًا بعيدًا عن القديسين!

حدث أمرٌ طريفٌ لعمة جدي، التي حضرت هذا العرس. كانت ترتدي ثوبًا تارتاريًا ضخمًا، وكأسًا في يدها تُسلي الحضور. حرّض الشيطان رجلًا على سكب الفودكا عليها من الخلف. وفي اللحظة نفسها، ومن الواضح أنه ليس صدفة، أشعل آخر شعلة ولمسها؛ ... فانبعثت الشعلة؛ فقامت العمة المسكينة، في رعب، بخلع ثوبها عنها أمام الجميع... صرخاتٌ وضحكاتٌ ونكاتٌ، كما لو كانوا في معرض. باختصار، لا يتذكر كبار السن حفل زفافٍ بهذه البهجة.

بدأ بيدوركا وبيتروس في العيش كرجل نبيل وسيدتي. كان هناك الكثير من كل شيء، وكان كل شيء وسيمًا.... لكن الناس الشرفاء هزوا رؤوسهم عندما نظروا إلى طريقة معيشتهم. "لا يمكن أن يأتي أي خير من الشيطان"، اتفقوا بالإجماع. "من أين جاءت هذه الثروة، إلا من مغويّ الناس الأرثوذكس؟ من أين يمكنه الحصول على كل هذا الذهب؟ لماذا، في نفس اليوم الذي أصبح فيه ثريًا، اختفى باسافريوك كما لو كان في الهواء؟" قل، إن استطعت، أن الناس يتخيلون الأشياء! في الواقع، لم يمر شهر، ولم يتعرف أحد على بطرس. لماذا، ماذا حدث له؟ الله أعلم. يجلس في مكان واحد، ولا يقول كلمة لأحد: إنه يفكر باستمرار، ويبدو أنه يحاول تذكر شيء ما. عندما ينجح بيدوركا في جعله يتحدث، يبدو أنه ينسى نفسه، ويواصل محادثة، بل ويصبح مبتهجًا؛ لكن إذا نظر إلى الأكياس سهوًا، صرخ قائلًا: "قف، توقف! لقد نسيت"، ثم غرق في أحلام اليقظة، وحاول جاهدًا تذكر شيء ما. أحيانًا، عندما يجلس طويلًا في مكان ما، يبدو له وكأنه قادم، يعود

إلى ذهنه، ... ثم يتلاشى كل شيء. يبدو كما لو أنه يجلس في حانة: يُحضرون له فودكا؛ تلسعه الفودكا؛ الفودكا تُثير اشمئزازه. يأتي أحدهم ويضربه على كتفه؛ ... لكن خلف ذلك، كل شيء مُغطى بالظلام أمامه. يتصبب العرق على وجهه، ويجلس منهكًا في نفس المكان.

ماذا لم تفعل بيدوركا؟ استشارت الساحرة؛ فسكبوا عليها الخوف، وأخمدوا وجع المعدة، —ولكن دون جدوى. وهكذا انقضى الصيف.

حصدَ كثيرٌ من القوزاق، وانطلق كثيرٌ منهم، أكثرَ جرأةً من غيرهم، في رحلاتٍ استكشافية. كانت أسراب البطّ تزدحمُ في مستنقعاتنا، لكن لم يكن هناك أيّ بصيصِ أملٍ في التحسن.

كانت السهوب حمراء. أكوام من الحبوب، كقبعات القوزاق، منتشرة في الحقول هنا وهناك. على الطريق السريع، كانت هناك عربات محملة بالأغصان والجذوع. أصبحت الأرض أكثر صلابة، وفي بعض الأماكن لامسها الصقيع. بدأ الثلج ينثر السماء، وغطت أغصان الأشجار الصقيع كجلد الأرنب. في الأيام الباردة، كان الحسون أحمر الصدر يقفز على أكوام الثلج كنبيل بولندي أنيق، ويلتقط حبوب الذرة؛ وكان الأطفال، بعصي ضخمة، يطاردون القمم الخشبية على الجليد؛ بينما كان آباؤهم مستلقين بهدوء على الموقد، يخرجون على فترات وأنابيب مضاءة في شفاههم، ليهدروا، بانتظام، على الصقيع التقليدي، أو ليأخذوا الهواء، ويدرسوا الحبوب المنتشرة في الحظيرة. أخيرًا بدأ الثلج يذوب، وانزلقت قشرة الجليد: لكن بيترو بقي على حاله؛ وكلما طال، ازداد كآبته. جلس في منتصف الكوخ كما لو كان مسمرًا في مكانه، وأكياس الذهب عند قدميه. شعر بالخجل، وطال شعره، [75]أصبح مُريعًا؛ وما زال يفكر في شيء واحد، وما زال يحاول تذكر شيء ما، فيغضب ويغضب لأنه لم يستطع تذكره. غالبًا ما ينهض من مقعده بعنف، ويشير بعنف، ويحدّق في شيء ما كأنه يرغب في التقاطه: تتحرك شفتاه كأنه يرغب في نطق كلمة منسية منذ زمن طويل - ويبقى صامتًا. يتملكه الغضب: يقضم يديه كرجل نصف مجنون، وفي غيظه ينتزع شعره بقبضته، حتى يهدأ، ويسقط في النسيان،

كما لو كان، ويبدأ في التذكر مرة أخرى، فيُصاب مرة أخرى بالغضب وعذابات جديدة... أي زيارة لله هذه؟
لم تكن بيدوركا ميتة ولا حية. في البداية، كان من المروع لها البقاء وحيدة في الكوخ؛ لكن مع مرور الوقت، اعتادت المسكينة حزنها. لكن كان من المستحيل التعرف على بيدوركا من الأيام الخوالي. لا احمرار، ولا ابتسامة: كانت نحيفة، منهكة من الحزن، وقد بكت عيناها اللامعتان. ذات مرة، نصحها شخصٌ، بدا واضحًا أنه أشفق عليها، بالذهاب إلى الساحرة التي كانت تسكن وادي الدب، وتتمتع بسمعة قدرتها على شفاء كل داء في العالم. عزمت على تجربة هذا العلاج الأخير: كلمةً بكلمة، أقنعت العجوز بالمجيء إليها. كانت هذه، كما تصادف، ليلة القديس يوحنا. استلقى بيترو فاقدًا للوعي على المقعد، ولم يلحظ الوافد الجديد. نهض شيئًا فشيئًا، ونظر حوله. فجأة ارتجف في كل أطرافه، كما لو كان على السقالة: ارتفع شعره على رأسه، ... وضحك ضحكة اخترقت[76] ارتجف قلب بيدوركا خوفًا. صرخ بفرحٍ غامر: "لقد تذكرت، تذكرت!"، ثم لوّح بفأسٍ حول رأسه، وقذفه على العجوز بكل قوته. اخترقت الفأس الباب البلوطي على بُعد خطوات.[١٢] اختفت العجوز؛ ووقف طفل في السابعة من عمره يرتدي بلوزة بيضاء، ورأسه مغطى، في منتصف الكوخ.... طار الملاءة. "إيفاس!" صرخت بيدوركا، وركضت إليه؛ لكن الشبح أصبح مغطى من الرأس إلى القدمين بالدماء، وأضاء الغرفة بأكملها بضوء أحمر.... ركضت إلى الممر في رعبها، ولكن عندما استعادت نفسها قليلاً، أرادت مساعدته؛ عبثًا! كان الباب قد انغلق خلفها بإحكام لدرجة أنها لم تستطع فتحه. ركض الناس، وبدأوا في الطرق: كسروا الباب، كما لو كان هناك عقل واحد بينهم. كان الكوخ بأكمله مليئًا بالدخان؛ وفي المنتصف تمامًا، حيث وقف بيتروس، كانت هناك كومة من الرماد، وكان الدخان لا يزال يتصاعد منها. ألقوا بأنفسهم على الأكياس: لم يكن هناك سوى قطع فخار مكسورة بدلاً من الدوقات. وقف القوزاق بعيون تحدق وأفواه مفتوحة، لا يجرؤون على

تحريك شعرة، وكأنهم متجذرون في الأرض، لقد ألهمتهم هذه المعجزة مثل هذا الرعب.
لا أتذكر ما حدث بعد ذلك. نذرت بيدوركا الحج، وجمعت ما تركه لها والدها، وفي غضون أيام قليلة، كأنها لم تكن في القرية قط. إلى أين ذهبت، لا أحد يعلم. كانت النساء العجائز المتطفلات سيرسلنها إلى نفس المكان الذي ذهب إليه بيترو؛ لكن قوزاقيًا من كييف أفاد بأنه رأى، في... [77]كانت هناك راهبة ذبلت حتى أصبحت مجرد هيكل عظمي، تصلي بلا انقطاع؛ وتعرف عليها زملاؤها القرويون على أنها بيدوركا، من خلال جميع العلامات، حيث لم يسمعها أحد قط وهي تنطق بكلمة واحدة؛ وأنها جاءت سيرًا على الأقدام، وأحضرت إطارًا لأيقونة والدة الإله، مرصعًا بمثل هذه الأحجار اللامعة التي أذهلت الجميع عند رؤيتها.
لكن لم تكن هذه هي النهاية، لو سمحت. ففي اليوم نفسه الذي فر فيه الشرير ببيتروس، ظهر باسافريوك مرة أخرى؛ لكن الجميع هربوا منه. كانوا يعرفون أي نوع من الطيور كان، ليس إلا الشيطان، الذي اتخذ هيئة بشرية ليكشف عن الكنوز؛ ولأن الكنوز لا تخضع للأيدي النجسة، فقد أغوى الشباب. في ذلك العام نفسه، هجر الجميع أكواخهم الطينية، وتجمعوا في قرية؛ ولكن حتى هناك، لم يعم السلام بسبب باسافريوك الملعون. قالت عمة جدي الراحل إنه كان غاضبًا منها بشدة، لأنها تركت حانتها السابقة، وحاولت بكل قوته الانتقام منها. في إحدى المرات، اجتمع شيوخ القرية في الحانة، وكما يُقال، كانوا يرتبون ترتيبات المائدة، التي وُضع في وسطها خروف مشوي صغير، يا للعار! تجاذبوا أطراف الحديث حول هذا وذاك، وحول ما تبقى من عجائب وغرائب. حسناً، لقد رأوا شيئاً؛ كان ليكون لا شيء لو رآه شخص واحد فقط، لكن الجميع رأوه؛ وكان هذا: رفع الخروف رأسه؛ وأصبحت عيناه الجاحظتان نابضتين بالحياة ومتألقتين؛ وشاربه الأسود الأشعث، الذي ظهر للحظة، أثار انتباه الحاضرين. تعرّف الجميع، في لحظة، على وجه باسافريوك في رأس الخروف: عمة

جدي[78] اعتقدوا أنهم على وشك طلب الفودكا.... استولى الشيوخ الجديرون على قبعاتهم وأسرعوا إلى منازلهم.

في مرة أخرى، لم ينجح كاهن الكنيسة نفسه، الذي كان مولعًا بمقابلة خاصة بين الحين والآخر مع كأس براندي جدي، في الوصول إلى القاع مرتين، عندما رأى الكأس تنحني له بشدة. "يا شيطان، لنرسم إشارة الصليب عليك!" ... وحدثت نفس المفاجأة لشريكته. كانت قد بدأت للتو في عجن العجين في معجن ضخم، عندما انبثق المعجن فجأة. "توقف، توقف! إلى أين أنت ذاهب؟" وضع ذراعيه على خصره، بوقار، وقفز في جميع أنحاء الكوخ... قد تضحك، لكن الأمر لم يكن مضحكًا لأجدادك. وعبثًا طاف الأب أثناسيوس في جميع أنحاء القرية بالماء المقدس، وطارد الشيطان في الشوارع بفرشاته؛ وكانت عمة جدي الراحل تشكو طويلًا من أنه بمجرد حلول الظلام، جاء أحدهم يطرق بابها ويخدش الجدار.

حسناً! يبدو أن كل شيء هادئ الآن في قريتنا؛ لكن لم يمضِ وقت طويل - كان والدي لا يزال حياً - حتى أتذكر كيف كان رجل صالح لا يستطيع المرور أمام الحانة المدمرة، التي أدارها قومٌ غير شريفة منذ زمن طويل لمصلحتهم الخاصة. من المداخن المسودة بالدخان، انبعث الدخان كعمود، وارتفع عالياً في الهواء، كما لو كان يراقب، ثم انزلق كالقلنسوة، منثراً جمراً مشتعلاً على السهوب؛ وبكى الشيطان (لا ينبغي ذكر ابن الكلب) بكاءً مؤسفاً في عرينه، حتى قفزت الغربان المذعورة أسراباً من غابة البلوط المجاورة، وحلقت في الهواء بصيحات جنونية.

6- رهان الشيطان

بقلم ويليام ميكبيس ثاكري

لقد كانت ساعة من الليل حيث لا يوجد أحد يتحرك سوى أشباح ساحات الكنائس - عندما تكون جميع الأبواب مغلقة باستثناء أبواب القبور، وكل العيون مغلقة إلا عيون الأشرار.

حين لا يكون على الأرض صوت إلا صوت الجندب، أو نقيق الضفادع الفاحشة في البركة.

ولا نور إلا نور النجوم الوامضة، والأشباح الشريرة والشيطانية، وهي تعبث بين المستنقعات، وتضل الرجال الصالحين.

عندما لا يكون هناك شيء يتحرك في السماء سوى البومة، وهي ترفرف ببطء؛ أو الساحر، وهو يركب على عصاه الجهنمية، ويصفر في الهواء مثل سهام رامي يوركشاير.

في هذه الساعة (أي عند الساعة الثانية عشرة ليلاً) انطلق كائنان في رحلة عبر السحب السوداء، وكانا يتحدثان مع بعضهما البعض.

كان الأول ميركوريوس، رسول الشياطين، ليس رسول الآلهة (كما تظاهر الوثنيون)، بل رسول الشياطين؛ والثاني، الذي كان يرافقه، كان روح السير روجر دي رولو، الفارس الشجاع. كان السير روجر كونت شوشيني في شامبانيا؛ وكان سيد سانتير، وفيلاسيرف، ومناطق أخرى. لكن العظماء ماتوا كـ[80] وكذلك المتواضعون؛ ولم يبق من الشجاع روجر الآن شيء سوى نعشه وروحه الخالدة.

"ومن أجل أن يحفظ ميركوريوس روح رفيقه، ربطه حول رقبته بذيله؛ الذي كان عندما تتصلب الروح، يشده بقوة حتى يخنقه تقريبًا، ويغرس فيه النقطة الشائكة منه؛ وعندها كانت الروح المسكينة، السير رولو، تئن وتزأر بشدة.

والآن جاء الاثنان معًا من أبواب المطهر، مقيدين بتلك المناطق المليئة بالنار واللهب حيث يقلى الخطاة الفقراء ويشوون في سيكولا سيكولوروم.

"من الصعب"، قال السير رولو المسكين، بينما كانوا ينزلقون عبر السحاب، "أن أُدان إلى الأبد، وكل هذا بسبب افتقاري إلى طريق واحد".
"كيف يا سيد الروح؟" قال الشيطان. "كنتَ على الأرض شريرًا لدرجة أن لا شيطانًا واحدًا، ولا مليونًا، يكفيان لإنقاذ مخلوق مثلك من نار جهنم؛ لكن ابتهج وابتهج؛ ستكون تابعًا لسيدنا الشيطان، مثلي؛ وربما تُرقّى إلى مناصب شرف، مثلي أيضًا." ولإثبات سلطانه، ضرب بذيله أضلاع رولو البائس.
"ومع ذلك، فأنا خاطئ كما أنا، كان هناك شخص آخر كان سينقذني؛ لأن أختي، التي كانت رئيسة دير القديسة ماري في شوشيني، انتصرت بفضل صلاتها وأعمالها الصالحة من أجل روحي الضالة البائسة، لدرجة أنني شعرت كل يوم بآلام المطهر تخف؛ والمذراة التي لم تكف عن إزعاج وتعذيب جثتي المسكينة عند دخولي الأول، لم تعد تُستخدم أكثر من مرة واحدة في الأسبوع؛ توقف التحميص، وتوقف الغليان.[81] "لقد توقفت؛ فقط ظل هناك قدر معين من الدفء، ليذكرني بوضعي."
"حساء لطيف"، قال الشيطان.
نعم، حقًا، كنتُ في حالة يأس، وكل ذلك بسبب صلوات أختي المباركة. لكن بالأمس، أخبرني من راقبني في المطهر، أن صلاةً أخرى من أختي ستُفك قيودي، وأنا، الذي أصبحتُ شيطانًا الآن، كنتُ سأصبح ملاكًا مباركًا.
"والشارع الآخر؟" قال الشيطان.
ماتت يا سيدي - ماتت أختي - خنقها الموت في منتصف الصلاة. وهنا بدأ الروح البائس يبكي ويتأوه بحزن؛ دموعه المالحة تتساقط على لحيته، وتحرق ذيل الشيطان ميرقوريوس.
"إنها في الحقيقة حالة صعبة"، قال الشيطان؛ "لكنني لا أعرف علاجًا سوى الصبر، ولهذا سيكون لديك فرصة ممتازة في مسكنك بالأسفل".
"ولكن لدي أقارب"، قال الإيرل، "قريبي راندال، الذي ورث أراضي، ألن يقول صلاة من أجل عمه؟"
"لقد كرهته وظلمته عندما كنت حيًا."

"هذا صحيح، لكن ألفًا واحدًا ليس كثيرًا؛ أخته، ابنة أختي، ماتيلدا—"
"أغلقتها في دير، وشنقت حبيبها."
"ألم أكن أفكر؟ علاوة على ذلك، ألم يكن لديها آخرون؟"
"عشرة، بلا شك."
"وأخي الرئيس؟"
"رعية تابعة لسيدي الشيطان: لا يفتح فمه أبدًا إلا لنطق اليمين أو لابتلاع كأس من النبيذ.[82]"
"ومع ذلك، إذا قال واحد فقط من هؤلاء كلمة "أنقذني"، فسوف أنجو."
"إن الطيور معهم نادرة "، أجاب ميركوريوس وهو يهز ذيله بشكل متهور؛ "والأمر الأكثر من ذلك أنني سأراهن معك على أن لا أحد منهم سيقول صلاة لإنقاذك".
"أود أن أراهن على ذلك عن طيب خاطر"، أجاب تشوشيني، "ولكن ما الذي يمكن لروح فقيرة مثلي أن تخاطر به؟"
"في كل مساء، بعد تحميص اليوم، يقدم سيدي الشيطان كوبًا من الماء البارد لعبيده؛ وأراهنك على الماء لمدة عام، أن لا أحد من الثلاثة سيصلي من أجلك."
"تم!" قال رولو.
"تم!" قال الشيطان؛ "وإذا لم أكن مخطئًا، فهذه قلعتك في تشوشيني."
بالفعل، كان ذلك صحيحًا. نظرت الروح إلى أسفل، فأدركت الأبراج الشامخة، والباحات، والإسطبلات، وحدائق القلعة الجميلة. ورغم أن الوقت كان قد تجاوز منتصف الليل، إلا أن وهجًا من النور كان يتلألأ في قاعة المأدبة، ومصباحًا مشتعلًا في نافذة السيدة ماتيلدا المفتوحة.
"مع من نبدأ؟" قال الشيطان: "مع البارون أم السيدة؟"
"مع السيدة، إذا أردت."
"فليكن، نافذتها مفتوحة، فلندخل."
ثم نزلوا ودخلوا بصمت إلى غرفة ماتيلدا.

كانت عينا الشابة مثبتتين بشدة على ساعة صغيرة، لذا فلا عجب أنها لم تلاحظ دخول زائريها. خدها الجميل[83] استراحت على ذراعها البيضاء، وذراعها البيضاء على وسادة كرسي كبير جلست عليه، تسندها أفكارها العذبة وزغب البجع؛ كان بجانبها عود، وكتاب أدعية موضوع تحت الطاولة (فالتقوى دائمًا ما تكون متواضعة). ومثل ألكسندر العاشق، تنهدت ونظرت (إلى الساعة) - وتنهدت لعشر دقائق أو أكثر، ثم تنفست بهدوء كلمة "إدواردا!"

عند هذا، غضب البارون غضبًا شديدًا. قال للشيطان: "لقد عادت اليشم إلى حيلها القديمة"، ثم خاطب ماتيلدا: "أرجوكِ يا ابنة أختي العزيزة، أن تُحوّلي أفكاركِ للحظة عن ذلك الخادم الشرير، إدوارد، وأن تُسلميها إلى عمكِ الحنون".

عندما سمعت الصوت، ورأت الظهور المروع لعمها (فإقامة عام في المطهر لم تزيد من جمال مظهره)، ففزعت، وصرخت، وبالطبع أغمي عليها.

لكن الشيطان ميركوريوس سرعان ما أعادها إلى رشدها. قالت، حالما استعادت وعيها: "كم الساعة؟ هل جاء؟"

ليس حبيبكِ يا مود، بل عمكِ - أي روحه. حبًا بالجنة، اسمعيني: لقد كنتُ أعاني في المطهر لمدة عام، وكان من المفترض أن أكون في الجنة لولا حاجتي إلى جنة واحدة.

"سأقولها لك غدًا يا عمي."

"الليلة، أو أبدا."

"حسنًا، لتكن الليلة!" وطلبت من الشيطان ميركوريوس أن يُعطيها كتاب الصلاة من تحت الطاولة؛ لكنه ما إن لمس الكتاب المقدس حتى أسقطه بصرخة وصراخ. "كان الجو أكثر حرارة،[84]"قال، "من مذراة سيده السير لوسيفر الخاصة." واضطرت السيدة إلى بدء حياتها دون مساعدة كتاب القداس الخاص بها.

في بداية عبادتها، انسحب الشيطان، وحمل معه روح السير روجر دي رولو المسكينة القلقة.

ركعت السيدة - تنهدت بعمق؛ ونظرت مرة أخرى إلى الساعة، وبدأت -
"أفي ماريا."
عندما سمعنا عودًا تحت النافذة، وصوتًا حلوًا يغني—
"استمع!" قالت ماتيلدا.
"لقد انتهت الآن مشقة اليوم،
وغربت الشمس لتستريح،
أبحث، مثل عاشق ناري،
حضن الغرب الخجول—
"الليل الأمين يسهر ويحرس،
رفع القمر، درعها الفضي،
واستدعاء النجوم للحراسة
"نوم ماتيلد الجميلة!"
"من أجل الرحمة!" قال السير رولو، "السلام أولاً، ثم الأغنية."
فعادت ماتيلدا إلى عباداتها مرة أخرى، وبدأت -
"أفي ماريا غراتيا بلينا!" ولكن الموسيقى بدأت مرة أخرى، وتوقفت الصلاة بالطبع.
"ليلةٌ مُخلصة! الآن كل شيءٍ مُكشوف"
مخفية تحت عباءتها المظلمة والخافتة،
في أمل تقوي أنا هنا،
وأغني ترنيمة المساء بتواضع.
"أنت صلاتي، قديسي، مزارتي!"
(لأن الحاج المقدس لم يركع قط،
أو بكى على قدمين أطهر من قدميك)
حبي العذراء، حبيبتي ماتيلدا!
"حبٌ عذريّ!" قال البارون. "يا إلهي، هذا مؤسفٌ للغاية!" وفكّر في عشيق السيدة الذي أمر بإعدامه.
لكنها لم تفكر إلا في من كان يقف ويغني عند نافذتها.

"يا ابنة الأخت ماتيلدا!" صرخ السير روجر في ألم، "هل ستستمعين إلى أكاذيب خادم وقح، بينما ينتظر عمك بضع كلمات فقط لإسعاده؟"
عند هذا، غضبت ماتيلدا وقالت: "إدوارد ليس وقحًا ولا كاذبًا، يا عمي، وسوف أستمع إلى نهاية الأغنية".
"تعال"، قال ميركوريوس، "لا يزال لديه حقل، مختوم، متجمد، وعشرات القوافي الأخرى بجانبه؛ وبعد الأغنية سيأتي العشاء".
لذا اضطرت الروح المسكينة إلى الرحيل؛ بينما استمعت السيدة، وظلت الصفحة تغني حتى الصباح.
قال السير رولو المسكين، وهو يتسلل هو وميركوريوس من النافذة بصمت: "لقد كانت فضائلي سبب دمارِي. لو أنني شنقت ذلك الوغد إدوارد، كما شنقت الخادم الذي سبقه، لغنّت ابنة أخي نشيد السلام الخاص بي، وكنتُ حينها ملاكًا في الجنة."
أجاب الشيطان: "إنه مُخَصَّصٌ لأغراضٍ أحكم، سيغتال خليفتك، شقيق السيدة ماتيلد، وسيُشنَق نتيجةً لذلك. وفي حب السيدة، سيخلفه بستاني،[86] سيُستبدل راهبٌ بآخر، ثم يُفسح المجال لسائس، ثم يُخلعه بائعٌ يهوديٌّ متجول، ثم يُسلم نفسه أخيرًا لإيرلٍ نبيل، زوج ماتيلد الجميلة. وهكذا، كما ترى، بدلًا من أن تُحرق روحٌ فقيرة، يُمكننا الآن أن نتطلع إلى حصادٍ وفيرٍ لسيدنا الشيطان.
بدأت روح البارون تعتقد أن رفيقه يعرف أكثر مما يستطيع أن يفعله شخص عادل؛ ولكن لم يكن هناك أي مساعدة في ذلك؛ لم يفعل، ولم يكن بإمكانه الصراخ: وصلى في داخله أن يكون الأخ أكثر تقوى من الأخت. لكن بدا أن احتمال حدوث ذلك ضئيل. وبينما كانوا يعبرون القاعة، مرّ الخدم، حاملين أطباقًا مدخنة وأباريق ممتلئة، مرارًا وتكرارًا، على الرغم من أن الوقت كان قد تجاوز منتصف الليل بكثير. وعند دخولهم القاعة، وجدوا السير راندال على رأس مائدة واسعة، محاطًا بحشد من الأفراد أكثر شراسةً وتنوعًا مما كان عليه الحال حتى في عهد السير رولو. وقد أشار سيد القلعة إلى أن "السكر من دواعي سروره الملكي"، وتبعه رجال حاشيته بخنوع.

سُرّ ميركوريوس بالمشهد، فاسترخى عن ملامحه الجامدة المعتادة وابتسم ابتسامةً باهتة ولطيفة، نالت إعجابه على نحوٍ رائع.
أزعج دخول السير روجر، الذي توفي منذ عام تقريبًا، وهو شخص ذو حوافر وقرون وذيل، بهجة الحضور. أسقط السير راندال كأس نبيذه؛ وتوقف الأب بيتر، المعترف، فجأةً في منتصف أغنية بذيئة كان يُسلي بها الحضور.
"يا أمي المقدسة!" صرخ، "إنه السير روجر."
"على قيد الحياة!" صرخ السير راندال.
"لا يا سيدي،" قال ميركوريوس، "لقد مات السير روجر، لكنه جاء لأمر عمل، وأنا أتشرف بأن أكون مستشاره ومرافقه."
"يا ابن أخي"، قال السير روجر، "يقول الشيطان بحق؛ لقد أتيت في أمر تافه، وخدمتك ضرورية فيه".
"سأفعل أي شيء يا عمي، في حدود طاقتي."
"هل تستطيع أن تمنحني الحياة إن شئت؟" لكن السير راندال بدا عليه الحيرة من هذا الاقتراح. "أعني الحياة الروحية يا راندال"، قال السير روجر؛ ثم شرح له طبيعة الرهان.
بينما كان يروي قصته، كان رفيقه ميركوريوس يُمارس مختلف أنواع الحيل في القاعة؛ وبفضل ذكائه ومرحه، أصبح محبوبًا جدًا بين هؤلاء الرفاق الملحدين، حتى أنهم فقدوا كل الخوف الذي أثاره ظهوره الأول فيهم. انبهر الراهب به بشدة، واستخدم أقصى بلاغته وجهوده لإقناع الشيطان؛ توقف الفرسان عن الشرب للاستماع إلى الجدال؛ وامتنع الرجال المسلحون عن الشجار؛ وتجمع الخدم الصغار الأشرار حول المتنازعين الغريبين، ليسمعوا حديثهما البنّاء. ومع ذلك، لم يكن لدى الرجل الشبح سوى فرصة ضئيلة في الجدال، وبالتأكيد القليل من المعرفة لمواصلة ذلك. قاطعه السير راندال. "يا أبا بيتر"، قال، "قريبنا محكوم عليه بالسجن المؤبد، لعدم وجود سند واحد: هل ستقول ذلك نيابة عنه؟" "بكل سرور، سيدي"، قال الراهب، "مع كتابي"؛ وبناءً على ذلك، أخرج كتاب القداس ليقرأه، والذي

بدونه بدا أن الأب القديس لا يستطيع إتمام الصلاة المطلوبة. لكن ميرقوريوس الماكر، بحيله الشيطانية، كان قد[88] الفن، أدرج أغنية في مكان الجادة، بحيث أن الأب بيتر، بدلاً من ترديد ترنيمة، غنى الأغنية الوقحة التالية:

"يحب البعض دقات صلاة الصباح، التي تخبرنا
ساعة الصلاة للخاطئ:
ولكن الأفضل هو جرس منتصف النهار،
الذي يتحدث عن ساعة العشاء؛
عندما أرى سمكة مدخنة،
أو كابون غارق في المرق،
أو الورك النبيل على طبق من الفضة،
أنا سعيد جدًا لأنني أغني أغانيي.
"منبري هو مقعد في حانة،
حيث أجلس مستمتعًا جدًا؛
فتاة ريفية وردية مبتسمة
قديسي وشفيعي.
أقبّل خدها الأحمر الناعم،
أضغط على خصلات شعرها المتموجة.
وفي أذنها الراغبة أتحدث
شارع ديني للغاية.
"وإن كنت أعمى، فالسماء طيبة،
والقديسين الغفورين؛
من المؤكد أنه يعيش حياة جيدة
من يعجب بالحياة الطيبة؟
فوق ذلك يقولون أن لحمنا هو الهواء
دمنا السماوي الصديد:
أوه، من فضلك! وسط كل التغييرات هناك،

"لا يجوز لهم تغيير الخمور لدينا!"
ومع هذه الأمنية التقية، سقط المعترف المقدس تحت الطاولة في عذاب من السُكر المتدين؛ بينما كان الفرسان، والرجال المسلحون، والصفحات الصغيرة الشريرة، يغنون البيت الأخير بلحن جميل للغاية.[89] فرحٌ شديد.
«أنا آسف يا عمي العزيز»، قال السير راندال وهو يلهث، «لأننا في مسألة الجنازة لم نستطع أن نلبي لك طلبًا أكثر تحفظًا؛ لكن الأب المقدس قد فشل، وليس هناك رجل آخر في القاعة لديه فكرة عن الصلاة».
قال السير رولو: "إنها غلطتي، فأنا من شنق آخر معترف". وتمنى لابن أخيه ليلة سعيدة وهو يستعد لمغادرة الغرفة.
"وداعًا أيها السادة"، قال الشيطان ميركوريوس؛ ثم لف ذيله مرة أخرى حول عنق رفيقه الخائب الأمل.
كان رولو المسكين محبطًا بحزن؛ أما الشيطان، على العكس، فكان في مزاج جيد. كان يهز ذيله بأعلى درجات الرضا، ويلقي مئات النكات على رفيقه المسكين. انطلقوا مسرعين، يشقّون طريقهم بسرعة عبر رياح الليل الباردة، مخيفين الطيور التي كانت تحط في الغابة، والبوم التي كانت تراقب في الأبراج.
في لمح البصر، كما هو معروف، يمكن للشياطين أن تطير مئات الأميال: حتى أن دقات الساعة نفسها تقريبًا التي تركت هذين الرجلين في الشمبانيا وجدتهما يحلقان فوق باريس. هبطا في فناء دير لعازار، وشقّا طريقهما، عبر الممرات والدير، حتى وصلا إلى باب زنزانة رئيس الدير.
وكان رئيس الدير، شقيق رولو، ساحرًا شريرًا وخبيثًا؛ وكان يقضي وقته في استحضار الشياطين وارتكاب أعمال شريرة، بدلاً من الصيام والجلد وغناء المزامير المقدسة: كان ميركوريوس يعلم هذا؛ ولذلك كان مرتاحًا تمامًا بشأن النتيجة النهائية لرهانه مع السير روجر المسكين.[90]
«يبدو أنك تعرف الطريق جيدًا»، قال الفارس.
أجاب ميركوريوس: "لدي سبب وجيه، فقد كنت أعرف أخاك الموقر لفترة طويلة، ولكن فرصتك معه ضئيلة".

"ولماذا؟" قال السير رولو.
"إنه ملزم لسيدي بعدم قول أي صلاة، وإلا فسوف يتم مصادرة روحه وجسده على الفور."
"لماذا أيها الشيطان الكاذب الخائن!" قال الفارس الغاضب، "وهل كنت تعلم هذا عندما عقدنا رهاننا؟"
"بلا شك: هل تظن أنني كنت سأفعل ذلك لو كانت هناك أي فرصة للخسارة؟"
وبهذا وصلوا إلى باب الأب اغناطيوس.
"لقد ألقى وجودك الملعون تعويذة على ابنة أختي، وأوقف لسان قسيس ابن أخي؛ أعتقد أنه لو رأيت أيًا منهما بمفرده، لكنت ربحت رهاني."
بالتأكيد؛ لذلك حرصتُ على الذهاب معك. مع ذلك، يمكنك رؤية رئيس الدير بمفردك إن شئت؛ وها هو بابه مفتوح. سأقف في الخارج لخمس دقائق عندما يحين وقت بدء رحلتنا.
لقد كانت هذه هي الفرصة الأخيرة للبارون المسكين: فدخل غرفة أخيه من أجل خمس دقائق من الراحة أكثر من أي أمل في النجاح.
كان الأب إغناطيوس، رئيس الدير، منغمسًا في الحسابات السحرية: كان يقف في منتصف دائرة من الجماجم، بلا ملابس سوى لحيته البيضاء الطويلة، التي كانت تصل إلى ركبتيه؛ وكان يلوح بقضيب فضي،[91] والتلفظ بالشتائم بلغة فظيعة.
لكن السير رولو تقدم وقاطع تعويذته. قال: "أنا ظل أخيك روجر دي رولو، وقد أتيتُ، بدافع المحبة الأخوية الخالصة، لأحذرك من مصيرك".
"من أين أتيت؟"
أجاب السير روجر، وقد استلهم فكرةً مفاجئة: "من دار المباركين في الفردوس، لم تمضِ سوى خمس دقائق حتى أخبرني قديس كنيستك عن خطرك وعن تحالفك الشرير مع الشيطان. قال: اذهب إلى أخيك البائس، وأخبره أن هناك طريقةً واحدةً فقط لينجو من دفع غرامة الكفالة المروعة."

"وكيف يكون ذلك؟" قال رئيس الدير؛ "لقد خدعني الشيطان الكاذب؛ لقد وهبته روحي، ولم أنل أي مكافأة دنيوية في المقابل. يا أخي! يا أخي العزيز! كيف أفلت؟"

سأخبرك. حالما سمعتُ صوت القديسة مريم لعازر المباركة (كان الإيرل الجليل قد أطلق على نفسه اسم قديس، في لحظة حرجة)، غادرتُ السحاب حيث كنتُ جالسًا مع ملائكة آخرين، وهرعتُ إلى هنا لإنقاذك.

قال القديس: "لم يبقَ لأخيك سوى يوم واحد، حين يصبح إلى الأبد فريسة للشيطان؛ فإن أراد النجاة، فعليه أن يكسر قيده بجرأة، قائلاً: "أفي"."

"هذا هو الشرط الصريح للاتفاق،" قال الراهب التعيس، "يجب أن لا أقول أي صلاة، وإلا في تلك اللحظة سأصبح جسد وروح الشيطان."

"إنها حالة القديس الصريحة،" أجاب روجر بشراسة؛ "صلِّ يا أخي، صلِّ، وإلا ستضيع إلى الأبد.[92]"

فركع الراهب الأحمق، وغنى ترنيمة "آمين" بتقوى. فقال السير روجر بتقوى:

"آمين!" قال ميركوريوس، وفجأة، جاء من خلف إغناطيوس، وأمسك بلحيته الطويلة، وطار معه إلى أعلى برج الكنيسة.

صرخ الراهب وصرخ وشتم أخاه، ولكن دون جدوى. ابتسم له السير روجر بلطف، وقال: "لا تقلق يا أخي؛ لابد أن الأمر وصل إلى هذا في عام أو عامين".

وطار إلى جانب ميركوريوس إلى قمة البرج، لكن هذه المرة لم يكن الشيطان يحيط به . قال للشيطان: "سأعفيك من رهانك"، لأنه كان بإمكانه الآن أن يكون كريمًا.

قال الشيطان بأدب: "أعتقد يا سيدي أن طرقنا متباعدة هنا". انطلق السير روجر بمرح إلى أعلى: وبينما كان ميركوريوس قد قيد الراهب البائس أسرع من أي وقت مضى، غاص هو إلى الأرض، وربما إلى أسفل. سُمع إغناطيوس يزأر ويصرخ بينما رمى به الشيطان على المسامير الحديدية ودعامات الكنيسة.

8- بون بون

بقلم إدغار آلان بو

أعتقد أن بيير بون بون كان صاحب مطعم ذي مؤهلات غير عادية، ولن يشعر أي رجل، في عهد ——، تردد على المقهى الصغير في شارع لو فيفر المسدود في روان، بحرية الجدال. أعتقد أن بيير بون بون كان، بدرجة مماثلة، ماهرًا في فلسفة تلك الفترة، وهو أمر لا يمكن إنكاره بشكل خاص. كانت فطائره على الطريقة نفسها لا تشوبها شائبة بلا شك؛ ولكن أي قلم يمكن أن ينصف مقالاته عن الطبيعة — أفكاره عن الحب — ملاحظاته عن الروح ؟ إذا كانت عجة البيض الخاصة به — إذا كانت فطائره لا تقدر بثمن، فأي أديب في ذلك اليوم لن يدفع ضعف المبلغ مقابل " فكرة بون بون " كما يدفع مقابل كل قمامة " الأفكار "[113]من بين جميع العلماء الآخرين ؟ لقد نهب بون بون مكتبات لم يسبقه إليها أحد - قرأ أكثر مما كان ليخطر ببال أي شخص آخر فكرة القراءة - وفهم أكثر مما كان ليتصوره أي شخص آخر؛ وعلى الرغم من ازدهاره، لم يكن هناك من يمانع في أن يؤكد بعض المؤلفين في روان "أن أقواله لم تُظهر نقاء الأكاديمية ولا عمق الليسيوم" - مع أنني، انتبه، لم تكن مبادئه مفهومة على نطاق واسع، إلا أن ذلك لم يترتب عليه أنها صعبة الفهم. أعتقد أن بديهيتها هي ما دفع الكثيرين إلى اعتبارها مبهمة. يعود الفضل في ميتافيزيقيا بون بون - ولكن دع هذا الأمر يطول - إلى بون بون. لم يكن كانط نفسه أفلاطونيًا، ولا أرسطويًا بالمعنى الدقيق للكلمة - ولم يكن كذلك، مثل المعاصرين. ليبنتز، أهدر تلك الساعات الثمينة التي كان من الممكن توظيفها في ابتكار fricassée أو ، facili gradu ، تحليل إحساس، في محاولات تافهة للتوفيق بين زيوت ومياه النقاش الأخلاقي العنيدة. كلا، على الإطلاق. كان بون بون أيونيًا، وكان بون بون إيطاليًا بنفس القدر. كان يفكر قبليًا ، وكان يفكر بعديًا . كانت أفكاره فطرية، أو غير ذلك. كان يؤمن بجورج الطرابزوني، وكان يؤمن ببوساريون. كان بون بون، بلا شك، بون بونيستيًا.

لقد تحدثتُ عن الفيلسوف بصفته صاحب مطعم . ومع ذلك، لا أسمح لأي صديق لي أن يتخيل أن بطلنا، في أداء واجباته الوراثية في هذا المجال، أراد تقديرًا مناسبًا لـ[114] الكرامة والأهمية. بل على العكس تمامًا. كان من المستحيل تحديد أي فرع من فروع مهنته كان يفخر به أكثر. ففي رأيه، ترتبط قدرات العقل ارتباطًا وثيقًا بقدرات المعدة. لست متأكدًا، في الواقع، من أنه اختلف اختلافًا كبيرًا مع الصينيين الذين يعتقدون أن الروح تكمن في البطن. كان يعتقد أن اليونانيين كانوا على حق في كل الأحوال، إذ استخدموا الكلمة نفسها للإشارة إلى العقل والحجاب الحاجز.[13] لا أقصد بهذا توجيه تهمة الشراهة، أو أي تهمة خطيرة أخرى تُسيء إلى الميتافيزيقي. لو كان لبيير بون بون عيوبه - وأي رجل عظيم لا يعاني من ألف؟ - لو كان لبيير بون بون عيوبه، لأصبحت عيوبًا ضئيلة الأهمية - عيوبًا غالبًا ما تُنظر إليها، في أمزجة أخرى، على أنها فضائل. أما بالنسبة لإحدى هذه العيوب، فما كنت لأذكرها في هذا التاريخ لولا بروزها اللافت - برزت ببراعة في مستوى شخصيته العامة. لم يكن ليضيع فرصةً لعقد صفقة.

ليس لأنه كان جشعًا، لا. لم يكن من الضروري، بما يُرضي الفيلسوف، أن تكون الصفقة في مصلحته الشخصية. فإذا أمكن إبرام صفقة - أيًا كان نوعها، وبأي شروط، وتحت أي ظرف - كانت ابتسامة النصر تُرى لأيام عديدة بعد ذلك لتنير وجهه، وغمزة عين ثاقبة تُثبت فطنته.

في أي عصر لن يكون من الرائع أن يكون هناك [115]فكاهةٌ غريبةٌ كهذه التي ذكرتها للتو، ينبغي أن تلفت الانتباه والملاحظة. في عصر سردنا، لو لم تكن هذه الغرابة محلَّ ملاحظة، لكان هناك مجالٌ للدهشة حقًا. سرعان ما رُوي أنه في جميع المناسبات من هذا النوع، وُجد أن ابتسامة بون بون تختلف اختلافًا كبيرًا عن الابتسامة الصريحة التي كان يضحك بها على نكاته، أو يرحب بأحد معارفه. أُلقيت تلميحاتٌ ذات طابعٍ مثير؛ ورُويت قصصٌ عن صفقاتٍ محفوفةٍ بالمخاطر عُقدت على عجلٍ وندم عليها في وقتٍ مُتأنٍّ؛ وقُدِّمت أمثلةٌ على قدراتٍ غير مُبرَّرة، ورغباتٍ غامضة، وميولٍ غير طبيعية زرعها مُسبِّب كل شرٍّ لأغراضٍ حكيمةٍ خاصةٍ به.

كان للفيلسوف نقاط ضعف أخرى، لكنها لا تستحق فحصنا الجاد. على سبيل المثال، هناك عدد قليل من الرجال ذوي العمق الاستثنائي الذين يفتقرون إلى ميل إلى الزجاجة. سواء كان هذا الميل سببًا مثيرًا، أو بالأحرى دليلاً صالحًا، على هذا العمق، فمن الجيد أن نقول ذلك. لم يعتقد بون بون، على حد علمي، أن الموضوع يتكيف مع التحقيق الدقيق؛ ولا أعتقد ذلك أنا أيضًا. ومع ذلك، في الانغماس في ميل كلاسيكي حقًا، لا ينبغي افتراض أن صاحب المطعم سيغفل عن ذلك التمييز الحدسي الذي كان معتادًا على تمييز، في نفس الوقت، مقالاته وعجة البيض الخاصة به . في عزلته، كان لنبيذ فين دو بورغوندي ساعته المخصصة، وكانت هناك لحظات مناسبة لكوت دو رون. كان سوترن معه لميدوك كما كان كاتولوس لهوميروس. كان يستمتع بالقياس المنطقي في احتساء سان بيراي، لكنه كان يثير جدالاً حول كلو فوجو، وكان يقلب نظرية في[116] سيلٌ من تشامبرتان. يا لروعةً لو أن نفسَ حسِّ اللياقةِ السريعِ قد رافقه في ميلِهِ إلى البيعِ الذي أشرتُ إليه سابقًا - لكن هذا لم يكن الحالَ على الإطلاق. في الحقيقة، بدأت تلك السمةُ العقليةُ في حلوى بون بون الفلسفية تكتسبُ تدريجيًا طابعًا من الشدةِ والتصوفِ الغريبين، وظهرتْ مُشَوَّهةً بعمقٍ بغموضِ دراساتِه الألمانيةِ المُفضَّلة.

كان دخول المقهى الصغير في شارع لو فيفر المسدود، في فترة حكايتنا، بمثابة دخول حرم رجل عبقري. كان بون بون رجلاً عبقريًا. لم يكن هناك مساعد طاهي في روان لا يمكنه أن يخبرك أن بون بون رجل عبقري. عرفت قطته ذلك، وامتنعت عن تحريك ذيلها في حضور الرجل العبقري. كان كلب الماء الكبير الخاص به على دراية بهذه الحقيقة، وعند اقتراب سيده، خان شعوره بالنقص من خلال قداسة السلوك، وإهانة الأذنين، وإسقاط الفك السفلي الذي لا يليق بالكلب على الإطلاق. ومع ذلك، فمن الصحيح أن الكثير من هذا الاحترام المعتاد ربما يُعزى إلى المظهر الشخصي للميتافيزيقي. إن المظهر الخارجي المتميز، كما أضطر إلى القول، سيجد طريقه حتى مع الوحش؛ وأنا مستعدٌّ للتخلي عن الكثير في المظهر

الخارجي لصاحب المطعم ، الذي يُصمّم لإثارة خيال صاحب الأربع أرجل. ثمة جلالٌ خاصٌ يحيط بجوّ هذا الصغير العظيم - إن جاز لي التعبير بهذا الشكل المُلتبس - والذي سيُوجد دائمًا أن مجرد حجمه الجسدي وحده غير كافٍ لخلقه. مع ذلك، إذا كان طول بون بون بالكاد ثلاثة أقدام، وإذا كان رأسه صغيرًا جدًا، فلا يزال من المستحيل[117] أن تنظر إلى استدارة بطنه دون أن تشعر بعظمة تكاد تقترب من السمو. لا بد أن الكلاب والبشر قد رأوا في حجمه نموذجًا من إنجازاته - في ضخامة حجمه، مسكنًا مناسبًا لروحه الخالدة.

قد أتوسع هنا - إذا كان ذلك يرضيني - في الحديث عن الملابس وغيرها من الظروف الخاصة بالميتافيزيقي الخارجي. قد ألمح إلى أن شعر بطلنا كان قصيرًا وممشطًا بسلاسة على جبهته ومتوجًا بقبعة من الفلانيل الأبيض على شكل مخروطي وشرابات - وأن سترة البازلاء الخضراء لم تكن على غرار تلك التي يرتديها عامة الناس من أصحاب المطاعم في ذلك اليوم - وأن الأكمام كانت أكثر امتلاءً مما يسمح به الزي الحاكم - وأن الأصفاد كانت مطوية لأعلى، ليس كما هو معتاد في تلك الفترة البربرية، بقطعة قماش من نفس جودة ولون الملابس، ولكن واجهت بطريقة أكثر خيالية مع المخمل متعدد الألوان من جنوة - وأن نعاله كانت من اللون الأرجواني اللامع، ومزخرفة بشكل غريب، وربما تكون قد صنعت في اليابان، لولا الإشارة الرائعة لأصابع القدم، والظلال الرائعة للتجليد والتطريز - وأن سراويله كانت من مادة الساتان الصفراء التي تسمى قابلة للتمهيد - وأن عباءته الزرقاء السماوية، التي تشبه في شكلها رداء الملابس، ومزينة بشكل غني في جميع أنحاء بأجهزة قرمزية، كانت تطفو كان الفرسان على كتفيه كضباب الصباح، وأن مجموعته الموسيقية الكاملة هي التي أدت إلى الكلمات الرائعة التي قالها بينيفينوتا، عازف الارتجال في فلورنسا، "كان من الصعب القول ما إذا كان بيير بون بون طائرًا من الجنة، أو بالأحرى جنة الكمال". قد أقول إنني أستطيع أن أشرح كل هذه الأمور بالتفصيل.[118] إنني أسمح لنفسي بأن أذكر بعض النقاط إذا شئت، ولكنني أمتنع عن ذلك؛

إذ يمكن ترك التفاصيل الشخصية فقط لروائيي التاريخ، فهي أقل من الكرامة الأخلاقية للواقع.

قلتُ إن "دخول مقهى "لو فيفر" في شارعه المسدود هو بمثابة دخول حرم عبقري" - ولكن العبقري وحده هو من يقدر فضل هذا الحرم حق قدره . كانت هناك لافتة، مؤلفة من ورقة كبيرة، أمام المدخل. على أحد جانبي الكتاب، رُسمت زجاجة؛ وعلى الجانب الآخر، باتيه . وعلى الجانب الخلفي، كُتبت بأحرف كبيرة "أعمال بون بون" . وهكذا برزت بوضوح الوظيفة المزدوجة للمالك.

عند تجاوز العتبة، ظهر الجزء الداخلي بأكمله من المبنى. كانت غرفة طويلة منخفضة الارتفاع، من البناء العتيق، هي في الواقع كل ما يوفره المقهى من أماكن إقامة . في زاوية الشقة وقف سرير الميتافيزيقي. أعطته مجموعة من الستائر، إلى جانب مظلة على الطراز اليوناني ، جوًا كلاسيكيًا ومريحًا في نفس الوقت. في الزاوية المقابلة قطريًا، ظهرت، في شركة عائلية مباشرة، خصائص المطبخ والمكتبة . وقف طبق من الجدل بسلام على الخزانة. هنا وضع فرن مليء بأحدث الأخلاق - وهناك غلاية من مزيج الاثني عشر . كانت مجلدات الأخلاق الألمانية جنبًا إلى جنب مع مشواة - يمكن اكتشاف شوكة تحميص بجانب يوسابيوس - كان أفلاطون متكئًا براحته في المقلاة - وتم حفظ المخطوطات المعاصرة على البصاق.

وفي جوانب أخرى ، يمكن القول إن مقهى بون بون لا يختلف كثيرًا عن المطاعم المعتادة في تلك الفترة.[119] كانت مدفأة كبيرة مفتوحة قبالة الباب. على يمينها، خزانة مفتوحة تعرض تشكيلة رائعة من الزجاجات المُلصَقة.

كان الأمر هنا، حوالي الساعة الثانية عشرة من إحدى الليالي، خلال شتاء قارس من عام ——، عندما استمع بيير بون بون لبعض الوقت إلى تعليقات جيرانه على ميله الغريب — أن بيير بون بون، كما أقول، أخرجهم جميعًا من منزله، وأغلق الباب عليهم بقسم، وتوجه إلى كرسي بذراعين ذي قاع جلدي، ونار مليئة بالحزم المشتعلة.

كانت ليلةً من تلك الليالي المهيبة التي لا تُصادف إلا مرةً أو مرتين خلال قرن. تساقطت الثلوج بغزارة، واهتزّ المنزل حتى وصل إلى وسطه بفعل رياحٍ عاتية، اندفعت عبر شقوق الجدار، وتدفقت بعنفٍ عبر المدخنة، فاهتزّت ستائر سرير الفيلسوف هزّاً مُريعاً، وأربكت ترتيب أواني الباتيه وأوراقه. أما اللافتة الضخمة، التي كانت تتأرجح في الخارج، مُعرّضةً لعنف العاصفة، فقد صرّرت بشكلٍ مُنذرٍ بالسوء، وأصدرت صوت أنينٍ من دعاماتها المصنوعة من خشب البلوط الصلب.
أقول إنه لم يكن في مزاج هادئ حين رفع الميتافيزيقي كرسيه إلى مكانه المعتاد بجوار الموقد. فقد حدثت خلال النهار ظروفٌ مُحيّرةٌ كثيرةٌ أزعجت صفاء تأملاته. ففي محاولته كتابة " أشعار الأميرة" ، ارتكب للأسف عجةً على طريقة الملكة ؛ وأحبط انقلاب طبقٍ من الحساء اكتشافَ مبدأٍ في الأخلاق؛ وأخيرًا وليس آخرًا، أُحبط في إحدى تلك الصفقات الرائعة التي لطالما كان يتلذذ بإتمامها.[120] نهاية موفقة. لكن في خضمّ انزعاجه من هذه التقلبات غير المُبررة، امتزج قدرٌ من القلق العصبي الذي يُدبّر له عنف ليلةٍ صاخبة. صفّر إلى جواره الأقرب كلب الماء الأسود الكبير الذي تحدثنا عنه سابقًا، وجلس بقلقٍ على كرسيه، ولم يستطع إلا أن يُلقي نظرةً حذرةً قلقةً على تلك الزوايا البعيدة من الشقة التي لا يقوى حتى ضوء النار الأحمر نفسه على التغلّب على ظلالها العنيدة. بعد أن أنهى فحصًا دقيقًا ربما لم يفهم غرضه الدقيق، قرّب إلى مقعده طاولةً صغيرةً مُغطاةً بالكتب والأوراق، وسرعان ما انغمس في مهمة تنقيح مخطوطةٍ ضخمة، مُعدّةٍ للنشر غدًا.
لقد كان مشغولاً بهذا الأمر لعدة دقائق، عندما همس فجأة صوت متذمر في الشقة قائلاً: "أنا لست في عجلة من أمري، يا سيد بون بون".
"الشيطان!" صرخ بطلنا، وبدأ يقف على قدميه، وقلب الطاولة إلى جانبه، وحدق حوله في دهشة.
"هذا صحيح تمامًا"، أجاب الصوت بهدوء.

"صحيح جدًا! - ما هو الصحيح جدًا؟ - كيف أتيت إلى هنا؟" صاح الميتافيزيقي، بينما سقطت عينه على شيء ممتد على طول السرير.

"كنت أقول،" قال المتطفل، دون الاهتمام بالاستجوابات، "كنت أقول إنني لست مضغوطًا بالوقت على الإطلاق - وأن العمل الذي أخذت على عاتقي زيارته ليس له أهمية ملحة - في[121] باختصار، يمكنني الانتظار حتى تنتهي من عرضك التقديمي.

"معرضي! - الآن! - كيف عرفت ؟ - كيف فهمت أنني أكتب معرضًا - يا إلهي!"

"اصمت!" أجاب الرجل بصوت حاد، ثم نهض بسرعة من السرير، واتخذ خطوة واحدة نحو بطلنا، بينما تأرجح مصباح حديدي معلق في الأعلى بشكل متشنج بعيدًا عن طريقه.

لم يمنع دهشة الفيلسوف من التدقيق في لباس الغريب ومظهره. كانت ملامحه، النحيلة للغاية، لكنها أعلى بكثير من طوله المعتاد، واضحة تمامًا بفضل بذلة من القماش الأسود الباهت الذي كان يلتصق بالجلد بإحكام، ولكنه بخلاف ذلك كان مقطوعًا على طراز القرن الماضي. من الواضح أن هذه الملابس كانت مخصصة لشخص أقصر بكثير من صاحبها الحالي. كانت كاحليه ومعصميه عاريين لعدة بوصات. ومع ذلك، في حذائه، كشف زوج من الأبازيم اللامعة للغاية عن الفقر المدقع الذي توحي به أجزاء أخرى من لباسه. كان رأسه عاري، وأصلع تمامًا، باستثناء الجزء الخلفي، الذي يتدلى منه خصلة طويلة جدًا. نظارة خضراء، مع نظارات جانبية، تحمي عينيه من تأثير الضوء، وفي الوقت نفسه تمنع بطلنا من التأكد من لونهما أو هيئتهما. لم يكن هناك أي أثر لقميص حول الشخص بأكمله؛ لكن ربطة عنق بيضاء، ذات مظهر قذر، كانت مربوطة بدقة شديدة حول الحلق، وكانت الأطراف تتدلى رسميًا جنبًا إلى جنب (على الرغم من أنني أجرؤ على قول ذلك)[122] (قل عن غير قصد) فكرة رجل الدين. في الواقع، كان من الممكن أن تدعم العديد من النقاط الأخرى في مظهره وسلوكه مفهومًا من هذا القبيل. كان يحمل فوق أذنه اليسرى، على غرار

كاتب حديث، أداة تشبه قلم القدماء. في جيب صدر سترته ظهر بشكل واضح مجلد أسود صغير مثبت بمشابك من الفولاذ. كان هذا الكتاب، سواء عن طريق الخطأ أم لا، مقلوبًا للخارج عن الشخص بحيث يكتشف عبارة " Rituel Catholique " بأحرف بيضاء على ظهره. كان مظهره بالكامل كئيبًا بشكل مثير للاهتمام - حتى أنه كان شاحبًا بشكل مؤلم. كانت الجبهة عالية ومتجعدة بعمق بخطوط التأمل. كانت زوايا الفم مسحوبة إلى أسفل في تعبير عن أقصى درجات التواضع الخاضع. كان هناك أيضًا تصافح بالأيدي وهو يتقدم نحو بطلنا - تنهد عميق - ونظرةٌ كلها قداسةٌ مطلقةٌ لا شك أنها آسرةٌ بلا لبس. تلاشى كل أثرٍ للغضب من وجه الميتافيزيقي، بعد أن أتمَّ فحصًا مُرضيًا لشخص زائره، صافحه بحرارة، وقاده إلى مقعد.

مع ذلك، سيكون هناك خطأ فادح في نسب هذا التحول اللحظي في مشاعر الفيلسوف إلى أيٍّ من تلك الأسباب التي يُفترض بطبيعة الحال أنها كانت مؤثرة. في الواقع، كان بيير بون بون، بناءً على ما استطعتُ فهمه عن طباعه، الأقل عرضة للتأثر بأي زيف في سلوكه الخارجي. كان من المستحيل أن يكون مراقب دقيق كهذا[123] كان من المفترض أن يفشل عالم الرجال والأشياء في اكتشاف الشخصية الحقيقية للشخص الذي تدخل في ضيافته بهذه الطريقة. ناهيك عن أن شكل قدمي زائره كان ملحوظًا بما فيه الكفاية - فقد كان يضع قبعة طويلة بشكل غير عادي على رأسه بخفة - وكان هناك انتفاخ مرتجف حول الجزء الخلفي من سرواله - وكان اهتزاز ذيل معطفه حقيقة ملموسة. احكم إذن على مشاعر الرضا التي وجد بطلنا نفسه بها وقد أُلقي على الفور في صحبة شخص كان يكن له دائمًا أقصى درجات الاحترام. ومع ذلك، فقد كان دبلوماسيًا للغاية لدرجة أنه لم يسمح له بأي تلميح عن شكوكه فيما يتعلق بالحالة الحقيقية للأمور. لم يكن من إشارته أن يبدو مدركًا على الإطلاق للشرف الكبير الذي تمتع به على نحو غير متوقع. ولكن من خلال قيادة ضيفه إلى المحادثة، كان عليه أن يستخلص بعض الأفكار الأخلاقية المهمة، التي قد تنير الجنس البشري،

وفي الوقت نفسه تخلد ذكراه، من خلال الحصول على مكان في كتابه المنتظر - وهي أفكار كان ينبغي لي أن أضيف أن سن زائره الكبير، وكفاءته المعروفة في علم الأخلاق، ربما تمكنه من تحملها.
مدفوعًا بهذه الآراء المستنيرة، طلب بطلنا من الرجل الجلوس، بينما انتهز هو الفرصة لإلقاء بعض الحطب على النار، ووضع زجاجات موس على الطاولة التي أُعيد نصبها. بعد أن أكمل هذه العمليات بسرعة، سحب كرسيه مقابل كرسي رفيقه، وانتظر حتى يبدأ الأخير الحديث. لكن الخطط، حتى أكثرها نضجًا، غالبًا ما تُحبط في...[124] بداية تطبيقها - ووجد صاحب المطعم نفسه في حيرة من الكلمات الأولى من خطاب زائره.
"أرى أنك تعرفني يا بون بون"، قال؛ "ها! ها! ها! - هي! هي! هي! - هاي! هاي! هاي - هو! هو! هو! - هو! هو! هو!" - والشيطان، أسقط على الفور قدسية سلوكه، وفتح فمه إلى أقصى حد من الأذن إلى الأذن، بحيث يعرض مجموعة من الأسنان المسننة والشبيهة بالأنياب، وألقى رأسه للخلف، وضحك طويلاً، بصوت عالٍ، وشريرًا، وبصخب، بينما انضم الكلب الأسود، القرفصاء على أردافه، بقوة إلى الجوقة، ووقف القط المرقط، وهو يطير من مماس، على نهايته، وصرخ في أقصى زاوية من الشقة.
لم يكن الفيلسوف كذلك: فقد كان رجلاً من أهل الدنيا، فلم يكن يضحك كالكلب، ولا يكشف بصراخه عن ارتياب القطة غير اللائق. لا بد من الاعتراف بأنه شعر ببعض الدهشة لرؤية الحروف البيضاء التي تُشكل عبارة " طقوس كاثوليكية " على الكتاب في جيب ضيفه، تتغير لونها ومعناها في لحظة، وفي ثوانٍ معدودة، بدلًا من العنوان الأصلي، برزت عبارة " سجل المدانين " بأحرف حمراء. هذه الظرف المُفاجئ، عندما ردّ بون بون على ملاحظة زائره، أضفى على سلوكه جوًا من الحرج، ربما ما كان ليُلاحظ لولا ذلك.
"حسنًا، سيدي،" قال الفيلسوف، "حسنًا، سيدي، لأتحدث بصدق - أعتقد أنك - على كلمتي - القدر - وهذا يعني، أعتقد - أتخيل - أن لدي بعض[125] خافتة - فكرة خافتة جدًا - عن الشرف الرائع -

«أوه! آه! نعم! حسنًا!» قاطعه جلالته؛ «لا تقل المزيد، أرى الأمر بوضوح.» ثم خلع نظارته الخضراء، ومسحها بعناية بكم معطفه، ثم وضعها في جيبه.

إذا كان بون بون قد اندهش من حادثة الكتاب، فقد ازداد دهشته الآن كثيرًا بالمنظر الذي عُرض عليه هنا. فعندما رفع عينيه، بفضول شديد ليتأكد من لون عيني ضيفه، لم يجدهما أسودين بأي حال من الأحوال، كما توقع - ولا رماديين كما كان يتصور - ولا عسلي ولا أزرق - ولا أصفر ولا أحمر - ولا بنفسجي - ولا أبيض - ولا أخضر - ولا أي لون آخر في السماء، أو في الأرض، أو في الماء تحت الأرض. باختصار، لم يرَ بيير بون بون بوضوح أن جلالته لم يكن لديه عيون على الإطلاق فحسب، بل لم يستطع اكتشاف أي مؤشرات على وجودها في أي فترة سابقة - لأن المكان الذي كان من المفترض أن تكون فيه العيون بطبيعة الحال كان، كما أضطر إلى القول، مجرد مستوى ميت من اللحم.

ولم يكن من طبيعة الميتافيزيقي أن يمتنع عن التحقيق في مصادر مثل هذه الظاهرة الغريبة؛ وكان رد جلالته سريعًا ومحترمًا ومرضيًا في آن واحد.

يا عيوني! يا بون بون العزيزة، عيوني! هل قلتِ؟ أوه! آه! أفهم! المطبوعات السخيفة المتداولة، آه، أعطتك فكرة خاطئة عني.[126] المظهر الشخصي. العيون! - صحيح. العيون، بيير بون بون، في مكانها الصحيح تمامًا - هذا ، كما تقول، هو الرأس؟ - صحيح - رأس دودة. بالنسبة لك ، بالمثل، هذه البصريات لا غنى عنها - ومع ذلك سأقنعك أن رؤيتي أكثر نفاذًا من رؤيتك. هناك قطة أراها في الزاوية - قطة جميلة - انظر إليها - راقبها جيدًا. الآن، بون بون، هل ترى الأفكار - الأفكار، كما أقول - الأفكار - الانعكاسات - التي تتولد في جمجمتها؟ ها هي الآن - أنت لا تراها! إنها تفكر أننا معجبون بطول ذيلها وعمق عقلها. لقد استنتجت للتو أنني أبرز رجال الدين، وأنكم أكثر علماء الميتافيزيقيا سطحية. وهكذا ترى أنني لست أعمى تمامًا؛ لكن بالنسبة لأحدٍ من مِهنتي، فإن العيون التي تتحدث عنها ليست سوى عبء، عُرضةً للانطفاء في أي وقتٍ بمكواة تحميص أو مذراة.

أما بالنسبة لك، فأُقرُّ بأن هذه الأمور البصرية لا غنى عنها. اجتهد يا بون بون في استخدامها جيدًا؛ فبصري هو روحي.

وبعد ذلك، ساعد الضيف نفسه بالنبيذ الموجود على الطاولة، وسكب كوبًا كبيرًا لبون بون، وطلب منه أن يشربه دون تردد، وأن يشعر وكأنه في منزله تمامًا.

"كتابٌ رائعٌ لك يا بيير"، استأنف جلالته حديثه، وهو يربت على كتف صديقنا بعلم، بينما وضع الأخير كأسه بعد امتثاله التام لنصيحة زائره. "كتابٌ رائعٌ لك، على شرفي. إنه عملٌ من ذوقي. مع ذلك، أعتقد أن ترتيبك للأمر يمكن تحسينه، والعديد من..."[127] تُذكرني هذه الأفكار بأرسطو. كان ذلك الفيلسوف من أقرب معارفي. أحببته لطبعه الحادّ، ولبراعته في ارتكاب الأخطاء. هناك حقيقة واحدة ثابتة في كل ما كتبه، ولذلك لمّحتُ إليه بدافع الشفقة على سخافته. أظن يا بيير بون بون أنك تعرف جيدًا إلى أي حقيقة أخلاقية إلهية أشير؟

"لا أستطيع أن أقول أنني-"

"في الواقع! - لماذا كنت أنا من أخبر أرسطو أنه عن طريق العطس يخرج الإنسان الأفكار الزائدة عن الحاجة من خلال خرطومه."

"وهذا هو - فواق! - بلا شك هو الحال"، قال الميتافيزيقي، بينما كان يسكب لنفسه زجاجة أخرى من موسو، ويقدم علبة السعوط الخاصة به إلى أصابع زائره.

"كان هناك أفلاطون أيضًا"، تابع جلالته، رافضًا بتواضع علبة السعوط وما تضمنته من إطراء - "كان هناك أفلاطون أيضًا، الذي شعرت تجاهه ذات يوم بكل مودة الصديق. هل عرفت أفلاطون يا بون بون؟ - آه، لا، أرجو المعذرة. قابلني في أثينا ذات يوم، في البارثينون، وأخبرني أنه يتوق لفكرة. طلبت منه أن يكتب "ὁ νοῦς ἐστιν αὐλός". قال إنه سيفعل ذلك، وعاد إلى منزله، بينما تقدمت أنا نحو الأهرامات. لكن ضميري عاقبني على قولي الحقيقة، حتى لو كانت لمساعدة صديق، فعدتُ مسرعًا إلى أثينا، ووصلتُ خلف كرسي الفيلسوف وهو يُلقي كلمة "αυλός".

"بدفعةٍ خفيفةٍ بإصبعي، قلبتُ اللامدا رأسًا على عقب. لذا، أصبحت الجملة الآن كالتالي:[128] 'ὁ νοῦς ἐστιν αὐγος، ' وهي، كما ترى، العقيدة الأساسية في ميتافيزيقاه.

"هل سبق لك أن زرت روما؟" سأل صاحب المطعم ، بينما كان ينهي زجاجته الثانية من موسو، وأخرج من الخزانة كمية أكبر من تشامبرتان.

«ولكن يا سيد بون بون، ولكن يا سيد بون بون. كان هناك زمن»، قال الشيطان، وكأنه يتلو فقرة من كتاب - «كان هناك زمنٌ سادته فوضى دامت خمس سنوات، لم يكن للجمهورية خلالها، بعد أن خلت من جميع ضباطها، سلطة قضائية سوى قضاة الشعب، ولم يكن لهؤلاء أي سلطة تنفيذية قانونية - في ذلك الوقت يا سيد بون بون - في ذلك الوقت كنت وحدي في روما، وبالتالي، ليس لديّ أي معرفة دنيوية بأيٍّ من فلسفتها».

"ما رأيك في - ما رأيك في - الفواق! - أبيقور؟"

قال الشيطان بدهشة: "ما رأيي بمن ؟" "أنت بالتأكيد لا تقصد أن تجد أي خطأ في أبيقور! ما رأيي في أبيقور! هل تقصدني أنا يا سيدي؟ أنا أبيقور! أنا الفيلسوف نفسه الذي كتب كلًا من الرسائل الثلاثمائة التي خلّدها ديوجين ليرتيس."

"هذه كذبة!" قال الميتافيزيقي، لأن النبيذ كان قد دخل إلى رأسه قليلاً.

"حسنًا جدًا! - حسنًا جدًا يا سيدي! - حسنًا جدًا، بالفعل يا سيدي!" قال جلالته، على ما يبدو مسرورًا للغاية.

"هذه كذبة!" كرر صاحب المطعم بشكل قاطع؛ "هذه . فواق! .كذبة!"

"حسنًا، حسنًا، افعل ما يحلو لك!" قال الشيطان بهدوء، وبعد أن تغلب بون بون على جلالته في جدال، اعتقد أنه من واجبه أن يختتم زجاجة ثانية من تشامبرتين.

كما كنت أقول، استأنف الزائر حديثه - كما لاحظتُ قبل قليل، هناك مفاهيم غريبة جدًا في كتابك يا سيد بون-بون. ماذا تقصد، مثلًا، بكل هذا الهراء حول الروح؟ أرجوك يا سيدي، ما هي الروح؟

أجاب الميتافيزيقي، في إشارة إلى مخطوطته، "إن الروح - فواق! - هي بلا شك-"
"لا سيدي!"
"لا شك في ذلك-"
"لا سيدي!"
"بلا شك-"
"لا سيدي!"
"من الواضح أن-"
"لا سيدي!"
"لا جدال في ذلك-"
"لا سيدي!"
"فواق!—"
"لا سيدي!"
"وبدون أي شك، أ—"
"لا يا سيدي، الروح ليست كذلك!" (هنا انتهز الفيلسوف الفرصة، وهو ينظر إلى الخناجر، لإنهاء زجاجة تشامبيرتان الثالثة على الفور.)
"ثم - فواق! - من فضلك يا سيدي - ماذا - ما الأمر؟"
«هذا ليس هنا ولا هناك يا سيد بون بون»، أجاب جلالته متأملاً. «لقد تذوقتُ - أي عرفتُ بعض النفوس السيئة جدًا، وبعضها أيضًا - نفوسًا طيبة جدًا». ثم عضّ شفتيه، و...[130] بعد أن أسقط يده دون وعي على المجلد في جيبه، أصيب بنوبة عطاس عنيفة.
وتابع:
كانت هناك روح كراتينوس - مقبولة: أريستوفانيس - جريئة: أفلاطون - رائع - ليس أفلاطونك ، بل أفلاطون الشاعر الكوميدي؛ أفلاطونك كان ليُقلب معدة سيربيروس - فوا! دعني أرى! كان هناك نيفيوس، وأندرونيكوس، وبلوتوس، وتيرينتيوس. ثم كان هناك لوسيليوس، وكاتولوس، ونازو، وكوينتوس فلاكوس - عزيزي كوينتي! كما كنت أناديه

عندما غنى أغنية " سيكولاري" لتسلية نفسي، بينما كنت أحمصه، بروح مرحة، على شوكة. لكنهم يفتقرون إلى النكهة ، هؤلاء الرومان. يوناني سمين واحد يساوي اثني عشر منهم، بالإضافة إلى أنه سيحتفظ ، وهو ما لا يُقال عن كويريت. دعنا نتذوق نبيذ سوتيرن الخاص بك.

كان بون بون قد حسم أمره في ذلك الوقت ، وحاول تسليم الزجاجات المعنية. لكنه لاحظ صوتًا غريبًا في الغرفة يشبه هزّ ذيل. مع أن هذا الصوت كان فاحشًا للغاية من جلالته، لم يُعر الفيلسوف أي اهتمام، بل ركل الكلب ببساطة، وطلب منه الهدوء. تابع الزائر:

وجدتُ أن طعم هوراس يُشبه أرسطو إلى حد كبير؛ كما تعلم، فأنا مولع بالتنوع. لم أستطع التمييز بين تيرينتيوس وميناندر. ودهشتُ لأن ناسو كان نيكاندر مُتنكرًا. كان لدى فيرجيليوس لهجة قوية تُشبه ثيوكريتوس. ذكرني مارتيال كثيرًا بأرخيلوخوس، وكان تيتوس ليفيوس بوليبيوس بلا منازع.

"هيكاب!" أجاب بون بون، وتابع جلالته:

لكن إن كان لديّ ميلٌ يا سيد بون بون، إن كان لديّ ميلٌ فهو الفيلسوف . مع ذلك، دعني أخبرك يا سيدي، ليس كلُّ عبقريٍّ - أعني ليس كلُّ رجلٍ نبيلٍ يعرف كيف يختار فيلسوفًا. الفِكر الطويل ليس جيدًا ؛ وأفضلُها، إن لم يُقشَّر بعناية، يُعرَضُ للتَّزنُّخ قليلًا بسبب المرارة.

"مُقذوف!!"

"أعني أنه تم إخراجه من الجثة."

"ما رأيك في الطبيب - الفواق! -؟"

لا تذكرهم! - آه! آه! (هنا تقيأ جلالته بعنف .) "لم أذق سوى واحدة - ذلك الوغد أبقراط! - تفوح منه رائحة الحلتيت - آه! آه! آه! - أُصبت بنزلة برد بائسة أثناء غسله في نهر ستيكس - وبعد كل شيء، نقل لي الكوليرا."

"يا إلهي! يا للعثرة! يا للعثرة! إجهاض علبة حبوب منع الحمل!" - وسقطت دمعة من عيني الفيلسوف.

"بعد كل شيء،" تابع الزائر، "بعد كل شيء، إذا كان المطور - إذا كان الرجل النبيل يرغب في العيش ، فيجب أن يكون لديه موهبة أكثر من واحدة أو اثنتين؛ وفي بلادنا الوجه السمين هو دليل على الدبلوماسية."

"كيف ذلك؟"

لماذا نُضطر أحيانًا إلى طلب المؤن؟ يجب أن تعلم أنه في مناخ حار كهذا، غالبًا ما يكون من المستحيل إبقاء الروح حية لأكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات؛ وبعد الموت، ما لم تُخلّل فورًا (والروح المُخلّلة ليست...)[132] (جيد)، سيشمون - فهمت، أليس كذلك؟ التعفن أمرٌ مُدركٌ له دائمًا عندما تُسلم الأرواح إلينا بالطريقة المعتادة.

"فواق! فواق! يا إلهي! كيف حالك ؟"

وهنا بدأ المصباح الحديدي يتأرجح بعنف مضاعف، ونهض الشيطان نصف قفزة من مقعده؛ ومع ذلك، مع تنهد طفيف، استعاد رباطة جأشه، وقال لبطلنا بصوت منخفض: "سأقول لك شيئًا، بيير بون بون، لا ينبغي لنا أن نشتم بعد الآن".

ابتلع المضيف جرعة أخرى، كإشارة إلى الفهم الكامل والموافقة، وتابع الزائر:

حسنًا، هناك طرق عديدة للتدبير. معظمنا يموت جوعًا، والبعض يصبر على المأزق. أما أنا فأشتري مشروباتي الروحية " فيفنتي كوربوري "، وفي هذه الحالة أجدها صالحة للاستهلاك.

"ولكن الجسد! - فواق! - الجسد!!"

الجسد، الجسد - حسنًا، ماذا عن الجسد؟ - أوه! آه! أفهم. يا سيدي، الجسد لا يتأثر إطلاقًا بهذه الصفقة. لقد اشتريتُ عددًا لا يُحصى من هذه الأشياء في حياتي، ولم يواجه الطرفان أي مضايقات. كان هناك قابيل ونمرود، ونيرون، وكاليغولا، وديونيسيوس، وبيسستراتوس، وألف غيرهم، لم يعرفوا معنى أن يكون لديهم روح في أواخر حياتهم؛ ومع ذلك، يا سيدي، هؤلاء الرجال زينوا المجتمع. لماذا لا يوجد أ-، الآن، الذي تعرفه

جيدًا مثلي؟ أليس يمتلك جميع قواه العقلية والجسدية؟ من يكتب مقولة أكثر حدة؟ من يفكر أكثر ذكاءً؟ من... لكن، ابقَ! موافقته في جيبي.

بعد أن قال ذلك، أخرج محفظة جلدية حمراء، وأخرج منها عددًا من الأوراق. لمح بون بون على بعضها الحروف ماشي - مازا - روبسب ، مع كلمات كاليجولا ، جورج ، إليزابيث . اختار جلالته قطعة رقيقة من الرق، وقرأ منها بصوت عالٍ الكلمات التالية:

نظرًا لبعض القدرات العقلية التي لا داعي لذكرها، ونظرًا لقيمة ألف لويس ذهبي، فأنا، وقد بلغتُ من العمر عامًا وشهرًا، أُسلم بموجب هذا لحامل هذه الاتفاقية جميع حقوقي ولقبي وممتلكاتي في الظل الذي يُسمى روحي. (توقيع) أ.... (هنا كرر جلالته اسمًا لا أجد نفسي مبررًا للإشارة إليه بشكل أكثر وضوحًا.)

«رجل ذكي،» استأنف حديثه؛ «لكنه، مثلك يا سيد بون-بون، أخطأ في تقدير الروح. الروح ظل، حقًا! الروح ظل! ها! ها! ها! — هي! هي! — هو! هو! هو! تخيل فقط ظلًا ممزقًا !

" فكّر فقط - هيك! - في ظلّ مجعّد !" هتف بطلنا، وقد أضاءت أعماقه عقله بعمق حديث جلالته. "فكّر فقط - هيك! - في ظلّ مجعّد !! الآن، يا إلهي! - هيك! - همف! لو كنتُ مثل - هيك! - أحمق! يا إلهي، يا سيد - همف!"

" روحك ، سيد بون بون؟"

"نعم سيدي - فواق! - روحي هي-"

"ماذا يا سيدي؟"

" لا ظل، يا لعنة!"

هل تقصد أن تقول-

نعم سيدي، روحي هي - فواق! - همف! - نعم سيدي.

"ألم تقصد أن تؤكد-"

" روحي - فواق! - مؤهلة بشكل خاص لـ - فواق! - أ-"

"ماذا يا سيدي؟"

"يخنة."

"ها!"

" سوفليه. "

"إيه!"

" فريكاسيه "

"بالفعل!"

راجو وفريكاندو - وانظر يا صاحبي! سأترك لك الأمر - فواق! - صفقة جيدة.

هنا صفع الفيلسوف جلالته على ظهره .

«لا أستطيع التفكير في شيء كهذا»، قال الأخير بهدوء، وهو ينهض من مقعده في الوقت نفسه. حدق الميتافيزيقي.

"لقد تم تزويدي بالوقود في الوقت الحاضر"، قال جلالته.

"هيك-كوب! - إيه؟" قال الفيلسوف.

"ليس لدي أموال في متناول اليد."

"ماذا؟"

"بالإضافة إلى ذلك، فهو غير وسيم للغاية بالنسبة لي-"

"سيدا!"

"للاستفادة من—"

"هيك-كوب!"

"وضعك الحالي مثير للاشمئزاز وغير لائق.

وهنا انحنى الزائر وانسحب - ولم يكن من الممكن تحديد الطريقة على وجه التحديد - ولكن في جهد منظم لإفراغ الزجاجة على "الشرير"، تم قطع السلسلة الرفيعة التي كانت معلقة من السقف، وسقط الميتافيزيقي ساجدًا بسبب سقوط المصباح.

9- شيطان الطابعة

بينما كنت جالسًا على كرسيي أُعدّ مقالًا عن الشيطان في الأدب، غلبني النوم؛ سقط القلم من يدي، وانحنى رأسي على المكتب. كنت أفكر كثيرًا في الشيطان في يقظتي، حتى أن الفكرة نفسها طاردتني بعد أن غفوت. سمعتُ طرقًا خفيفًا على الباب، وبعد أن صاح كالعادة: "ادخل"، دخل رجل نبيل قصير القامة، ملفوفًا بعباءة زرقاء كبيرة من القماش، وقبعة منحنية، ونظارة واقية تغطي عينيه. بعد أن انحنى وخدش بمراسم جليلة، خلع قبعته، وألقى عباءته على ظهر كرسي، فأدركتُ على الفور أن زائري ليس بشريًا. كان وجهه قبيحًا للغاية؛ جلده يبدو كالورق المبلل، وجبهته مغطاة بتلك العلامات الغامضة التي يعرف مغزاها العجيب أولئك الذين يُصحّحون الصحافة. على طرف أنفه الطويل المعقوف، بدا لي أن الحرف الأول من الأبجدية ينمو، كالجمرة، متلألئًا بالحبر وجاهزًا للطباعة. لاحظتُ أيضًا أن كل إصبع من أصابع يديه وقدميه، أو بالأحرى مخالبه، كان ينتهي بنفس الطريقة بأحد أحرف الأبجدية؛ وبينما كان يشق ذيله ليُبعد ذبابة عن أنفه، لاحظتُ أن حرف Z يُشكل طرف ذلك العضو المفيد. وبينما كنتُ أنظر بدهشة لا تُوصف وخوف إلى زائري الاستثنائي، انتهز الفرصة لـ...[137] أخبرني أنه تجرأ على زيارته، إذ كان يخشى أن أنساه في الرسالة التي كنت أكتبها - وهو إغفال أكد لي أنه سيسبب له إحراجًا كبيرًا. قال: "في داخلي، ترى أمير وراعي شياطين الطابعات. إن اختصاصي هو رئاسة جحيم الكتب؛ وإذا كنت ستأخذ عناء مرافقتي قليلاً، فسأريك بعض عجائب ذلك العالم". ولأن خيالي قد أثار مؤخرًا كثيرًا من خلال قراءة جحيم دانتي ، فقد سررت بمغامرة وعدت بأن تتحول إلى شيء مثل رحلته الرائعة، ووافقت على الفور على زيارة ممتلكات صديقي الجديد، وخرجنا معًا. وبينما كنا نواصل طريقنا، سعى قائدي إلى إعطائي بعض المعلومات بشأن العالم الذي كنت على وشك دخوله، من أجل إعدادي للعجائب التي سأواجهها هناك. «يجب أن تعلم»، لاحظ، «أن للكتب أرواحًا كما للبشر؛

وحالما يُنشر أي عمل، سواءً نجح أم لا، تظهر روحه بنفس الشكل تمامًا في عالم آخر؛ إما في هذا المجال الذي أخضع له، أو في منطقة أفضل منه، لا أملك سلطة عليها. لا أملك إلا أن أُبيّن مكان العقاب للكتب والدوريات والكتيبات الرديئة، وباختصار، المنشورات من كل نوع».

وصلنا الآن إلى مدخل كهف، لم ألحظه من قبل، مع أنني مررت به مرارًا وتكرارًا أثناء تجوالي. بدا لي أشبه بمدخل منجم فحم، إذ كانت جوانبه سوداء بالكامل. وعند تفحصه عن كثب، وجدته مغطى.[138] بسائل أسود يُشبه إلى حد كبير حبر الطباعة، ويبدو أنه يُسبب تآكلًا وتآكلًا لصخور الكهف أينما لامسها. قال رفيقي: "لقد تلقينا مؤخرًا كمية كبيرة من المنشورات السياسية، والجحيم مُشبعٌ تمامًا بخبثهم. ندير تجارةً مربحةً على الأرض، بتوزيع هذا الحبر على كبار المحررين السياسيين. للأسف، لم يُجدِ نفعًا يُذكر في المنشورات الأدبية، مع أنهم جربوه بنجاحٍ كبير في طباعة مجلة لندن الفصلية والعديد من المجلات النقدية المهمة الأخرى."

اتسع الكهف مع تقدمنا، ووصلنا على الفور إلى سهل مفتوح واسع، كان يحده من جانب واحد جدار عالٍ لدرجة أنه بدا وكأنه يصل إلى السماء. وبينما كنا نقترب من الجدار، لاحظت بوابة واسعة أمامنا، مغلقة بأبواب قابلة للطي. انفتحت البوابات عند اقترابنا، ودخلنا. وجدت نفسي في وادٍ رملي دافئ، يحده من جانب واحد سلسلة جبال شديدة الانحدار. أشرق عليه ضوء خافت، يشبه إلى حد كبير ضوء غرفة مريضة، وبدا الهواء محصورًا وخانقًا مثل هواء دار المرض. هاجمت أذناي ضجيج أنين مرتبك، كما لو أن جميع صغار الجراء حديثي الولادة، والقطط الصغيرة ذات العيون غير المفتوحة، والصغار الذين خرجوا للتو إلى النور، في العالم كله، قد جُلبوا إلى مكان واحد، وكانوا يلدون وينعقون ويصرخون في آن واحد. التفت في دهشة صامتة إلى دليلي طلبًا للتفسير؛ وأخبرني أنني رأيت الآن المسكن المقدر لجميع المنشورات التي ولدت ميتة أو أجهضت؛ وأن الأصوات الطفولية التي سمعتها لم تكن سوى عويلهم الخافت على البؤس الذي تحملوه في إحضارهم إلى هنا. إلى العالم. رأيت الآن ما منعني ضعف

الضوء من ملاحظته من قبل، أن التربة كانت مغطاة بالكامل بكتب من جميع الأحجام والأشكال، من التقويم الماسي الصغير إلى الربع المحترم. رأيت هناك طويات. كانت هذه الكتب تزحف وتتدحرج فوق بعضها البعض مثل الجراء العمياء، وتطلق، في الوقت نفسه، صرخات حزينة للغاية. ومع ذلك، لاحظت واحدًا، بقي ساكنًا تمامًا، يئن قليلاً من حين لآخر، وبدا كضفدع متضخم مثقل بثقله. اقتربت، وقرأت على ظهره، " استقالة ، رواية". انفتح الغلاف، وبدأت صفحة العنوان على الفور في مخاطبتي. ومع ذلك، ابتعدت، بأسر ع ما يمكن، ولم أميز سوى بضع كلمات عن "ظلم وشدة النقاد"؛ "ذوق الجمهور السيئ"؛ "مدروس جيدًا"؛ "الجهد الأول"؛ "العقل الأنثوي"، وما إلى ذلك. إلخ. اكتشفتُ على الفور كتابًا صغيرًا ذا مظهرٍ مهمٍّ للغاية، يتجول بين البقية بشغفٍ كبير، يركل الآخرين بعيدًا، ويسبُّ كجنديٍّ؛ حتى غرق أخيرًا، على ما يبدو من جهده، ولم يعد يرتفع. "آه ها!" صاح صديقي الصغير الشيطاني، "ها هو وافدٌ جديد؛ لنرَ من هو؟" وعندما صعد، قلبه بقدمه حتى نتمكن من رؤية ظهره، الذي طُبع عليه " المونيكينز ، لمؤلفه، إلخ." لاحظتُ أن الكتاب كان عليه عدة علامات، كما لو كان أحدهم يجلد العمل المؤسف. "إنها فقط علامات الآفة"، قال رفيقي، "التي أعتقد أن النقاد استخدموها بقسوةٍ أكثر مما كان ضروريًا". توقعتُ، بعد كل هذا الشغف الذي[140] لقد رأيت، والأهمية الكبيرة للشعور والغطرسة والغرور التي أظهرها العمل الصغير، أنه سيكون لديه بعض الملاحظات اللائقة ليقدمها لنا؛ لكنه كان منهكًا للغاية لدرجة أنه لم يستطع النطق بكلمة. في أسفل الوادي كانت هناك بركة صغيرة بلون حليبي، والتي انبعث منها عطر يشبه إلى حد كبير رائحة الخبز والزبدة. كان عدد هائل من كتب المخطوطات الرقيقة ذات المجلدات الجميلة تنقع في بركة الحليب هذه، وكلها، كما أُبلغت، كانت ألبومات فتيات صغيرات ، وكان من الضروري نقعها في المستنقع، لمنعهم من سرقة مقاطع من الأعمال المختلفة المتعلقة بها. بمجرد أن سمعت ما كانت عليه، ركضت بكل سرعتي، وكان لدي خوف مميت من هذه الكتب.

لقد عبرنا الآن الوادي، واقتربنا من حاجز الجبال، فوجدنا ممرًا مقطوعًا يشبه إلى حد كبير باوزيليبو، بالقرب من نابولي؛ كان مغلقًا على الجانب المؤدي إلى الوادي، فقط بستارة من الورق الأبيض، مطبوع عليها أسماء المراجعات الرئيسية، والتي أكد لي قائدي أنها كافية لمنع أي من الأعمال التعيسة التي رأيناها من الاقتراب من الممر.
بينما كنا نتقدم عبر الجبال، ظهرت أمامنا ومضات من الضوء بين الحين والآخر، ثم اختفت على الفور، تاركةً إيانا في الظلام. إلا أن دليلي بدا مُلِمًا بالطريق، فواصلنا السير بلا خوف حتى وصلنا إلى حقل مفتوح، تُضيئه ومضات برق متواصلة، تتوهج من كل جانب؛ كان الهواء حارًا ومُشبَّعًا بشدة بالكبريت. «كل قسم من مملكتي،[141]قال الشيطان: "يستمد نوره من الأعمال المرسلة إليه. أنتم الآن محاطون بتوهجات الروايات الحديثة، وإن كانت زائلة. لم يكن هذا القسم من الجحيم مُجهزًا جيدًا حتى وقت قريب، مع أن فيلدينغ، وسموليت، وماتورين، وغودوين بذلوا ما في وسعهم من أجلنا. كان دزرائيلي، وبولوير، وفيكتور هوغو أعظم مُحسنينا؛ وهذا التوهج، المؤلم لأعيننا، ينبعث أساسًا من كتبهم." كان هناك ضجيج هائل كضجيج جيش من السكارى، مصحوبًا بصرخات ولعنات مروعة، وضحكات شيطانية، جعلت دمي يتجمد؛ وهرج ومرج بين الكتب لم أرَ مثله من قبل. لم أستطع في البداية أن أتخيل سبب ذلك، حتى اكتشفت أخيرًا تلًا ذهبيًا يرتفع كالمخروط في وسط السهل، يتسع لكتاب واحد فقط على قمته؛ ووجدت أن الروايات تتقاتل كالشياطين على احتلال هذا المكان. إلا أن عملًا واحدًا قد استحوذ عليه، وبدا أنه يحافظ على قبضته بقوة وعزيمة تحدّت البقية. لم أستطع في البداية تمييز اسم هذا الكتاب، الذي بدا وكأنه يقف على عرشه الذهبي كأمير الجحيم؛ ولكن سرعان ما أشرق قوس السماء ببريق جديد، وظهر اسم فيفيان غراي السحري من الكتاب بأحرف من ضوء ساطع. مع ذلك، كنت خائفًا جدًا من أن... لم يحتفظ فيفيان بمنصبه لفترة طويلة؛ لأنني رأيت بيلهام وبيرغرين بيكل ، وميلموث الرهيب بعينيه المتوهجتين، يتجمعون معًا للهجوم، عندما

استولى عليهم إعصار وحملهم بعيدًا إلى مسافة شاسعة، تاركًا المكان شاغرًا لمنافس آخر. قال أسموديوس: "لا سلام للأشرار، كما ترى. هذه الكتب تتوق إلى الراحة، ولا تجدها بسبب غرور مؤلفيها الذي لا يشبع، والذين جعلهم سعيهم للتميز يتجاهلون المشاعر التي عبروا عنها والمبادئ التي نادوا بها. السمة الأبرز لأعمال هذا النوع هي الحركة، الحركة الشديدة والمؤلمة. إنها تفتقر إلى ذلك الهدوء الجميل الذي يتألق في سكوت وإيدجوورث؛ وهي محكوم عليها، من خلال صراع أبدي هنا، بتجسيد الروح المضطربة التي ألهمتها."

بينما كنتُ أُراقب باهتمامٍ مُريعٍ المعركةَ الشرسةَ أمامي، بدا الأفقُ مُظلمًا، وارتفعت سحابةٌ هائلةٌ على هيئةِ نسرٍ عملاقٍ، امتدت أجنحتُه من الشرق إلى الغرب حتى غطّى السماء. كان يحملُ بين مخالبه كتابًا مفتوحًا، فهدأت المعركةُ من حولي عند رؤيته؛ وتوقفت الصواعق عن الوميض، وساد سكونٌ مُريع. ثم فجأةً، انبثقت من الكتابِ صفحةٌ من نارٍ، ارتفعتْ في أعمدةٍ بارتفاعِ ألفِ قدمٍ، وملأتْ السماءَ بنورٍ ساطعٍ؛ تَوَتَّمَتْ أعمدةُ اللهبِ وتَكَوَّنَتْ حروفًا ضخمةً، حتى ثبتتْ في وهجٍ مُريعٍ، وقرأتُ: "بايرون". حتى رفيقي ارتعدَ أمامَ الضوءِ المُريع، وغطيتُ وجهي بيديّ. عندما رفعتُهما، اختفت السحابةُ والكتاب، وبدأ الصراعُ من جديد. قال دليلي: "لقد رأيتَ أميرَ هذا القسمِ من الجحيم"

بدأنا نهبط بسرعة في أعماق الأرض؛ وبعد أن غرقنا ألف قدم، وجدت نفسي على اليابسة مرة أخرى. وبعد أن مشينا مسافة قصيرة، وصلنا إلى بوابة جليدية ضخمة، كُتب عليها بأحرف كبيرة: "إرثي هو اليأس". مررنا بها، ووجدنا أنفسنا على الفور في حوض رصاصي شاسع، بدا وكأنه يطل على الأفق من كل جانب. أشرق ضوء ساطع على المنطقة بأكملها؛ لكنه لم يكن كضوء الشمس الساطع. لقد بردني بشدة؛ وبدا كل شعاع يسقط عليّ وكأنه لمسة جليد. ساد صمت عميق؛ ورغم أن الوادي كان مغطى بالكتب، لم يتحرك أي منها أو ينطق بكلمة. اقتربت من إحداها، وارتجفت من البرد القارس وأنا أقرأ عليها: "فولتير". قال الشيطان: "انظروا، جحيم الكتب

الكافرة؛ النور المنبعث منها هو نور العقل، وهي محكوم عليها بالخمول الأبدي". لقد وجدت أنه من البارد جدًا أن أواصل تحقيقاتي في هذه المنطقة، وسعدت بمغادرة خليج الخيانة الرصاصي.

ما كادت أن تعبر الحاجز الفاصل بين هذا القسم والقسم التالي، حتى سمعت صوتًا مرتبكًا كنعيق أسراب البط والإوز، ورفرفة أجنحة عالية؛ وسرعان ما أدركت سبب ذلك. قال مرشدي: "أنت في جحيم الصحف". وبالفعل، عندما رفعت نظري، رأيت آلاف الصحف تطير بأعمدة خشبية ضخمة، والقفل يتدلى في نهايتها كذيل قصير، ترفرف بأجنحتها وتهاجم بعضها البعض بجنون. بعد أن دارت في الهواء لفترة قصيرة، وعضّت بعضها البعض ومزقتها كما لو...[144] بقدر ما استطاعوا، سقطوا، رؤوسهم أولاً، في بركة عميقة سوداء، ولم يُرَوا بعد ذلك. قال الشيطان: "إننا نضع هذه الصحف في جهنم أعمق من منشورات الكفار؛ لأنها تُقرأ على نطاق أوسع بكثير، وبالتالي تُسبب ضررًا أكبر بكثير. إنها نوع من الآفات التي لا نهاية لها؛ ونحن مُلزمون بتخصيص أكبر مساحة من أراضينا لاحتوائها".

وصلنا الآن إلى كومة هائلة من اللون الرصاصي، والتي وجدت في النهاية أنها تتكون من نوع قديم مهترئ، تم تكديسه لتشكيل جدار القسم التالي. شكل حرف U وحشي، مقلوب من الأسفل إلى الأعلى (بهذه الطريقة ∩) قوس بوابة مررنا من خلالها؛ ثم عبرنا جسرًا متحركًا، تم إلقاؤه عبر نهر من الحبر، كان على ضفافه ملايين الشياطين الصغار الرهيبين يلعبون. رأيت على الفور أنهم كانوا مشغولين بإلقاء كمية من الكتب في الجدول الأسود والتي تم تكديسها على الشاطئ. عندما نظرت إلى أسفل الجدول، رأيت أنها التهمتها على الفور أكثر الوحوش بشاعة وإثارة للاشمئزاز والتي كانت تتخبط هناك. نظرت إلى أحد الكتب، الذي زحف للخارج بعد إلقائه في النهر؛ كان يقطر قذارة، لكنني ميزت على ظهره الكلمات - دون جوان . ما كادت أن تصعد الضفة حتى ركلها أحد الشياطين، فأعادها إلى الجدول، حيث ابتلعها على الفور. على ظهر بعض الكتب التي كان الشياطين الصغار

يرمونها، رأيت اسم روتشستر ، الذي أراني شخصية أولئك الذين أُرسلوا إلى هذا القسم من المناطق الجهنمية.

خلف هذه المنطقة، ارتفعت سلسلة جبال شاسعة، اضطررنا لتسلقها. بعد عناء طويل، وصلنا إلى القمة، ونظرتُ إلى متاهة هائلة مبنية على السهل في الأسفل، رأيتُ فيها عددًا كبيرًا من الصفحات الكبيرة، تتزاحم في بهجة مهيبة، كل منها يتبعه عدد من المجلدات والكتيبات الصغيرة، مثل صفحات أو خدام يراقبون إشارة سيدهم. قال الشيطان: "أنت ترى هنا جميع الأعمال الزائفة في اللاهوت التي كُتبت منذ بداية العصر المسيحي. إنها محكوم عليها بالتجول إلى الأبد في متاهة هذه المتاهة اليائسة، كل صفحة تسحب وراءها جميع الأعمال الصغيرة التي أعطت أصلها". أشرق ضوء خافت من هذه المجلدات الضخمة؛ لكنه كان كتألق مصباح في ضباب كثيف، محروم من أشعته، ولا ينير شيئًا حوله. ولولا أن رفيقي كان يحمل مصباحًا أمامي، لما استطعتُ تمييز معالم هذا الجزء من العالم الجهنمي. ولما اعتادت عينيّ على الضوء الخافت، اكتشفتُ خلف المتاهة ضبابًا كثيفًا، بدا وكأنه يتصاعد من نهر أو بحيرة. قال رفيقي: "هذا هو الموطن المميز للأعمال الميتافيزيقية الألمانية، وغيرها من الأطروحات ذات الطابع الغامض المماثل. جميعها مُلزمة بالمرور عبر مكبس؛ وإذا كان فيها أي معنى، فإنها تُفصل عن كومة الهراء التي تُحيط بها، وتُترك لتتسرب إلى عالم أفضل. ومع ذلك، نادرًا ما نجد أن بعض الأعمال قد تضاءلت ماديًا بالمرور عبر المكبس". كنا قد عبرنا السهل الآن، ووقفنا بالقرب[146] الضباب الكثيف، الذي تصاعد كجدار أمامنا. أمامها كانت المطبعة تُدار من قِبل عدة شياطين صغار قبيحين، محاطة بعدد هائل من المجلدات من كل حجم وشكل، تنتظر العملية التي كان على الجميع خوضها. بينما كنت أراقب عملياتهم، رأيتُ مجلّدين ألمانيين فخمين للغاية، بمشابك ضخمة، ممتدين كالأذرع، يحملان بينهما مجلدًا صغيرًا، كانا يداعبانه كطفل مدلل عليه علامات عاطفة. تبيّن أن هاتين المجلّدتين من أكثر الإنتاجات الميتافيزيقية الألمانية غموضًا وفهمًا وإبهامًا؛ وكان الانحناء الذي بدا وكأنهما

يحتضنانه بكل هذا الود، مكتوبًا على ظهرهما - " سجلات مدرسة ". لم أجد أي شعاع من الذكاء قد استُخرج من أيٍّ منهما بعد إخضاعهما للمطبعة. بمجرد أن مرّت المجلدات بعملية التخلي عن كل ما تحتويه من معانٍ ضئيلة، غاصت في الضباب الكثيف، واختفت إلى الأبد.
اقتربنا بعد ذلك من حافة هاوية، بدت وكأنها لا نهاية لها؛ وكان هناك ضجيج مرعب، كصراع العناصر، وألسنة لهب متشعبة تتصاعد من الهاوية، مما ذكّرني بفوهة فيزوف. قال الشيطان: "لقد وصلتم الآن إلى الحدود القديمة للجحيم، وتشاهدون تحت أقدامكم الفوضى الأصلية التي بُنيت عليها مملكتي. ولكن في غضون بضع سنوات، اضطررنا إلى بناء قسم أعمق وراء الهاوية، لاحتواء فئة من الكتب لم تكن معروفة في العصور السابقة". سألت: "أرجوكم، ما الفئة التي يمكن العثور عليها، أسوأ من..."[147] "إنها طبعات أمريكية جديدة لمنشورات إنجليزية"، أجاب، "وهي في العموم أعمال ذات طابع حقير، لدرجة أنها كانت لتجد طريقها إلى هنا دون إعادة نشرها؛ ولكن حتى حيث كان العمل الأصلي جيدًا، فإنه منحط للغاية بسبب الشكل الذي يظهر به مرة أخرى في أمريكا، لدرجة أن ميزته ضاعت تمامًا، وهي لا تصلح إلا للدرجة السابعة والأدنى من الجحيم".
رأيتُ جسرًا يمتد فوق الخليج، بقوسٍ بدا شاهقًا كالسماء. مررنا به على عجل، ووجدنا أن أقصى طرفٍ من الجسر مغلقٌ ببوابةٍ كُتبت عليها ثلاث كلمات. قال مرشدي: "هذه أسماء الآلهة الثلاثة التي تحكم هذا القسم". لم أُعارضه بالطبع؛ لكن الكلمات بدت لي شبيهةً جدًا ببعض الكلمات التي رأيتها من قبل؛ وكلما دققتُ النظر فيها، ازدادت صعوبة إقناع نفسي بأن النقش ليس هو نفسه اللافتة فوق دار نشرٍ في فيلادلفيا.
قال الشيطان: "هؤلاء يُسمّون لعنات الكتب الثلاثة؛ ليس بسبب ما يُلحقونه هناك من ضررٍ بالكتب التي حولهم، بل بسبب الظلم الذي ألحقوه بنفس الكتب على الأرض، بإعادة طبعها في طبعاتها الورقية البشعة." ما إن رأوني حتى اندفعوا نحوي بلهجاتٍ بائسة وتوسلاتٍ مؤثرة،

طالبين مني أن أتوسل لإنقاذهم من عذابهم، فتأثرتُ أشد التعاطف، وبدأتُ أسأل قائدي إن كان هناك فرجٌ لهم. لكنه أسرع بي بعيدًا، مؤكدًا لي أنهم لا يريدون سوى... لقد كانوا يريدون بيعي بعضًا من إصداراتهم الجهنمية، وكانت فكرة امتلاك أي من هذه الممتلكات مرعبة للغاية لدرجة أنها أيقظتني على الفور.

10- حماة الشيطان

بقلم فرنان كاباليرو

في بلدة تُدعى فيلاغانيانيس، كانت هناك أرملة عجوز، أقبح من رقيب أوتريرا، تُعتبر قبيحة للغاية؛ أيبس من القش؛ أقدم من المشي على الأقدام، وأكثر اصفرارًا من اليرقان. علاوة على ذلك، كانت ذات طبع متقلب لدرجة أن أيوب نفسه لم يكن ليتحملها. لُقّبت بـ"الأم هولوفرنيس"، وما كان عليها إلا أن تخرج رأسها من المنزل لتطرد جميع الصبية. كانت الأم هولوفرنيس نظيفة كالدبوس الجديد، ومجتهدة كالنملة، وفي هذا الصدد عانت من انزعاج كبير بسبب ابنتها بانفيلا، التي كانت، على العكس من ذلك، كسولة للغاية، ومعجبة بالهدوءيين لدرجة أن زلزالًا لن يحركها. وهكذا حدث أن الأم هولوفرنيس بدأت تتشاجر مع ابنتها منذ اليوم الأول تقريبًا لولادة الفتاة.

قالت: "أنتِ مترهلة كالتبغ الهولندي، ويلزم ثوران لإخراجكِ من غرفتكِ. تعملين كحشرة، ولا شيء يُسعدكِ سوى النافذة، أيتها الفتاة الوقحة. أنتِ أكثر عشقًا من كيوبيد نفسه، ولكن لو كان لي أي نفوذ، لعشتِ قريبةً كالراهبة."

عند سماعها كل هذا، نهضت بانفيلا، وتثاءبت، وتمددت، وأدارت ظهرها لأمها، وتوجهت إلى باب الشارع. بدأت الأم هولوفرنيس، دون أن تُعرِف ذلك، بالمسح بنشاط هائل، مُصاحبةً صوت المكنسة بكلماتٍ من هذا النوع:

"في وقتي كان على الفتيات أن يعملن مثل الرجال."

أعطت المكنسة مرافقة شيس ، شيس ، شيس .

"وعاشوا منعزلين كالراهبات."

والمكنسة ذهبت شيس شيس شيس .

"الآن أصبحوا مجموعة من الحمقى." - شيس ، شيس .

"من العاطلين عن العمل." - شيس ، شيس .
"ولا تفكر في أي شيء سوى الأزواج. - شيس ، شيس .
"وهناك الكثير من الأشخاص الذين لا يصلحون لشيء."
المكنسة تتبع جوقتها.
في تلك الأثناء، كادت أن تصل إلى باب الشارع، حين رأت ابنتها تُشير إلى شاب؛ وسقط مقبض المكنسة، كأسهل أداة، على كتفي بانفيلا، وأحدث معجزة ركضها. بعد ذلك، أمسكت الأم هولوفرنيس بالمكنسة، واتجهت نحو الباب؛ لكن ما كادت أن تظهر ظلال رأسها، حتى أحدثت التأثير المعتاد، واختفى الطامح بسرعة خاطفة حتى بدا وكأنه لا بد أن له أجنحة على قدميه.
"اللعنة على هذا الرجل!" صرخت الأم، "أود أن أكسر جميع العظام في جسده."
لماذا؟ لماذا لا أفكر بالزواج؟
ماذا تقول؟ تزوج يا أحمق! ليس وأنا على قيد الحياة![151]”
"لماذا تزوجتِ يا سيدتي؟ وجدتي؟ وجدتي الكبرى؟"
حسنًا، لقد كافأني على ذلك يا صاحب الصلصة! واعلمني، إن اخترتُ الزواج، أنا وجدتك، وجدة جدتك، فلا أنوي أن تتزوجا، ولا حفيدتي، ولا حفيدتي! هل تسمعني؟
وفي هذه الخلافات اللطيفة قضت الأم وابنتها حياتهما، دون أي نتيجة أخرى سوى أن الأم كانت تتذمر أكثر فأكثر كل يوم، وأصبحت الابنة ترغب أكثر فأكثر في الحصول على زوج كل يوم.
في إحدى المرات، بينما كانت الأم هولوفرنيس تغسل الملابس، وبينما كان الغسول على وشك الغليان، اضطرت إلى مناداة ابنتها لمساعدتها في رفع المرجل لصب محتوياته على حوض الملابس. سمعتها الفتاة بأذن، لكنها استمعت بالأخرى إلى صوت معروف يُغني في الشارع:
"أود أن أحبك،
هل سمحت لي والدتك بالخطبة؟

فليتدخل الشيطان
"في كل ما تحاول أن تفعله!"
لأن الصوت في الخارج كان أكثر جاذبيةً لبانفيلا من صوت المرجل في الداخل، لم تُسرع إلى أمها، بل ذهبت إلى النافذة. في هذه الأثناء، عندما رأت الأم هولوفرنيس أن ابنتها لم تأت، وأن الوقت يمر، حاولت رفع المرجل بنفسها لتسكب الماء على الكتان؛[152] ولأن المرأة الطيبة كانت صغيرة، وقليلة القوة، انقلبت وأحرقت قدمها. ولما سمعت ابنتها أنين الأم هولوفرنيس المروع، ذهبت إليها.
صرخت الأم هولوفرنيس الغاضبة لابنتها: "يا لعنة، يا لعنة! فلتحبي باراباس! أما بالنسبة للزواج، فليُرزقك الله بالزواج من الشرير نفسه!"
بعد هذه الحادثة بفترة، تقدّم طالبٌ للزواج: كان رجلاً قصير القامة، شاباً أشقر الشعر، حسن الخلق، وجيوبه رحبة. لم يكن فيه عيبٌ واحد، ولم تجد الأم هولوفرنيس أي عيبٍ في كل ما لديها من سلبيات. أما بانفيلا، فلم تكن ترغب في أن تفقد صوابها من شدة الفرح. وهكذا، بدأت الاستعدادات للزفاف، مع التذمر المعتاد من حماة العريس المستقبلية. سار كل شيء بسلاسة ويسر، ودون انقطاع - كخط سكة حديد - عندما، دون أن يعرف السبب، بدأ الصوت الشعبي - صوتٌ يُجسّد الضمير - يعلو همهمةً ضد الغريب، على الرغم من كونه ودوداً ورحيماً وسخياً؛ وأنه كان يتحدث ويغني بشكل أفضل؛ وكان يمسك بحرية بأيدي العمال السوداء والمتشققة بين أصابعه البيضاء المحمرّة. لقد بدأوا لا يشعرون بالشرف ولا بالتغلب على هذا القدر الكبير من المجاملة؛ وكان تفكيره دائمًا فظًا للغاية، على الرغم من أنه قوي ومنطقي.
قال العم بلاس: "بإيماني! لماذا يُناديني هذا الرجل ذو الوجه البشوش بالسيد بلاس، وكأن ذلك سيُحسّن من وضعي؟ كيف يبدو لك؟"[153]”
قال العم جيل: "أما أنا، ألم يأتِ ليصافحني كأن بيننا كيدًا؟ ألم يناديني مواطنًا؟ أنا الذي لم أغادر القرية قط، ولا أرغب في الخروج منها أبدًا."

أما الأم هولوفرنيس، فكلما رأتْ صهرها المستقبلي، قلّ احترامها له. بدا لها أن بين ذلك الشعر الأحمر البريء والجمجمة نتوءات غريبة الشكل؛ وتذكرت بتأثرٍ اللعنات التي أطلقتها على ابنتها في ذلك اليوم الخالد الذي جُرحت فيه قدمها وفسدت ملابسها.

أخيرًا، حلَّ يوم الزفاف. حضّرت الأم هولوفرنيس معجنات وتأملات - الأولى حلوة والثانية مُرّة؛ وخبزًا كبيرًا للطعام، ومشروعًا خطيرًا للعشاء؛ وأعدّت برميلًا من النبيذ كان سخيًا، وسلوكًا لم يكن كذلك. عندما همّ العروسان بالذهاب إلى حجرة الزفاف، نادت الأم هولوفرنيس ابنتها جانبًا، وقالت: "عندما تكونين في حجرتكِ، احرصي على إغلاق الباب والنوافذ؛ أغلقي جميع المصاريع، ولا تتركي شقًا واحدًا مفتوحًا إلا ثقب مفتاح الباب. خذي معكِ غصن الزيتون المُكرّس هذا، واضربي زوجكِ به كما أنصحكِ؛ هذه المراسم معتادة في جميع الزيجات، وتدل على أن المرأة ستصبح سيدة، ويُتّبع هذا لإقرار القاعدة وترسيخها".

بانفيلا، لأول مرة مطيعة لأمها، فعلت كل ما وصفته لها.

وما إن رأى العريس غصن الزيتون المكرس في يد زوجته حتى حاول[154] ليتراجع على عجل. لكن عندما وجد الأبواب والنوافذ مغلقة، وكل شق مسدود، ولم يجد مفرًا إلا من ثقب المفتاح، تسلل إلى هناك؛ فهذا الشاب الأنيق، ذو الفستان الأحمر والأبيض، العازب الفصيح، كما شكت الأم هولوفرنس، ليس أكثر ولا أقل من الشيطان نفسه، الذي استغل الحق الذي منحه إياه لعنة أمه على بانفيلا، ففكر في تسلية نفسه بملذات الزواج، وتكليف نفسه بزوجة، بينما كان العديد من الأزواج يتوسلون إليه أن يخلع عنهم نسائهم.

لكن هذا الرجل، رغم شهرته بالحكمة، التقى بحماةٍ أفقه منه؛ ولم تكن الأم هولوفرنيس المثال الوحيد على ذلك. لذلك، ما إن دخل سيده من ثقب المفتاح، مُهنئًا نفسه، كعادته، على اكتشافه سبيلًا للنجاة، حتى وجد نفسه في قارورةٍ أعدتها حماته المُتنبئة على الجانب الآخر من الباب؛ وما إن دخل حتى أغلقت العجوز المُدبّرة الإناء بإحكام. بصوتٍ رقيقٍ للغاية، وبتوسلاتٍ

متواضعةٍ للغاية، وإيماءاتٍ مُؤسفةٍ للغاية، خاطبها صهرها، مُلتمسًا منها أن تُطلق سراحه. لكن الأم هولوفرنيس لم تكن لتخدعها الشيطان، ولا تُربكها الخطب، ولا تُثقلها الكلمات المُعسولة؛ تولّت أمر القارورة ومحتوياتها، وانطلقت إلى الجبل. صعدت السيدة العجوز بقوة إلى قمة هذا الجبل، وهناك، على قمته الأكثر ارتفاعًا، في مكان صخري منعزل، ترسبت القارورة، تودع صهرها بهز قبضتها المغلقة كتحية وداع.

وبقي سيده هناك عشر سنوات. يا لها من سنوات! كان العالم هادئًا كبركة زيت. كلٌّ منهم يهتم بشؤونه الخاصة، دون التدخل في شؤون الآخرين. لم يطمع أحد في المنصب، ولا في الزوجة، ولا في ممتلكات الآخرين؛ أصبحت السرقة كلمةً بلا معنى؛ صدأت الأسلحة؛ لم يُستهلك البارود إلا في الألعاب النارية؛ وظلت السجون خاوية؛ وأخيرًا، في هذا العقد من العصر الذهبي، لم يقع سوى حادثة مؤسفة واحدة... مات المحامون جوعًا وصمتًا.

يا للأسف! أن ينتهي زمنٌ سعيدٌ كهذا! لكن لكل شيء نهاية في هذه الدنيا، حتى أحاديثُ أبرع آباء البلاد. وأخيرًا، انتهى العقدُ الذي يُحسد عليه الناس على النحو التالي.

حصل جندي يُدعى بريونيس على إذن بإجازة لبضعة أيام ليتمكن من زيارة مسقط رأسه، فيلاغانيانيس. سلك الطريق المؤدي إلى الجبل الشامخ الذي كان صهر الأم هولوفرنيس، على قمته، يلعن جميع الحموات، الماضيات والحاضرات والمستقبلات، واعدًا بأنه سيستعيد سلطته فورًا للقضاء على تلك الفئة من الأفاعي، وبطريقة بسيطة للغاية - إلغاء الزواج. أمضى معظم وقته في تأليف وتلاوة هجاءات ضد اختراع غسل الكتان، السبب الرئيسي لمشكلته الحالية.

وعندما وصل إلى سفح الجبل، لم يكن بريونيس مهتمًا بالالتفاف حول الجبل مثل الطريق، بل كان يرغب في المضي قدمًا، مؤكدًا لحاملي الطائرات الذين كانوا معه فأخبره أنه إذا لم يتجه الجبل إلى اليمين فإنه سيتجاوز قمته، حتى لو كانت عالية جدًا بحيث يصطدم رأسه بالسماء.

عندما وصل بريونيس إلى القمة، أُصيب بالدهشة عندما رأى القارورة محمولة كبثرة على أنف الجبل. أخذها، ونظر من خلالها، وعندما رأى الشيطان، الذي تلاشى وأصبح جافًا كحبة برقوق بعد سنوات من الحبس والصيام، وأشعة الشمس، والحزن، هتف مندهشًا:

ما هذه الآفة؟ يا لها من ظاهرة!

أنا شيطان شريف ومُحترم، قال الأسير بتواضع ولباقة. «إن فساد حماتي الخائنة، التي وقعتُ في قبضتها، حبسني هنا طوال السنوات العشر الماضية؛ حررني أيها المحارب الشجاع، وسأمنحك أي خدمة تطلبها».

"أود أن يتم تسريحي من الجيش"، قال بريونيس.

"سوف تحصل عليه؛ ولكن افتحه بسرعة، لأنه من الشذوذ الوحشي أن يتم دفع الثوري الأول في العالم إلى الزاوية في هذه الأوقات الثورية."

سحب بريونيس سدادة الزجاجة قليلًا، فانبعث منها بخارٌ كريهٌ وصعد إلى دماغه. عطس، وأعاد السدادة فورًا بضربةٍ عنيفةٍ من يده، فضغط على السدادة فجأةً، وأطلق السجين، وهو مضغوطٌ عليها، صرخة غضبٍ وألم.

ماذا تفعلين أيتها الدودة الحقيرة الأكثر خبثاً وخيانة من حماتي؟ صرخ.

"هناك شرط آخر"، أجاب بريونيس، "يجب أن أضيفه إلى معاهدتنا؛ يبدو لي أن الخدمة التي سأقدمها لك تستحق ذلك".

"و ما هذه الحالة أيها المحرر المتأخر؟" سأل الشيطان.

أريد فديتك بأربعة دولارات يوميًا طوال حياتي. فكّر في الأمر، فبناءً على ذلك، ستبقى في السجن أو تخرج.

"أيها البخيل البائس! ليس لدي مال!" صاح الشيطان.

"يا له من جواب!" أجاب بريونيس، "يا له من جوابٍ من سيدٍ عظيمٍ مثلك! يا صديقي، هذا جواب وزير الحرب! إن لم تستطع أن تدفع لي، فلا أستطيع مساعدتك."

قال الشيطان: "إذن أنت لا تصدقني، دعني أخرج فقط، وسأساعدك على تحقيق ما تريد كما فعلت مع كثيرين غيري. دعني أخرج، أقول، دعني أخرج."

أجاب الجندي: "بهدوء، لا داعي للعجلة. اعلم أنني سأضطر إلى الإمساك بك حتى تفي بوعدك لي؛ وإلا، فليس لدي ما أقوله لك."

"وقح، هل لا تثق بي إذن!" صاح الشيطان.

"لا" أجاب بريونيس.

"إن ما تريده يتعارض مع كرامتي"، قال الأسير بكل الغطرسة التي يمكن أن يعبر عنها كائن بحجمه.

"يجب أن أذهب الآن"، قال بريونيس.

"وداعًا"، قال الشيطان، حتى لا يقول وداعًا .

ولكن عندما رأى الأسير أن بريونيس قد ذهب، قفز يائسًا في القارورة، وهو يصرخ بصوت عالٍ للجندي.

"عد، عد يا صديقي العزيز"، قال؛ وتمتم في نفسه، "أود أن يتفوق عليك ثور في الرابعة من عمره، أيها الأحمق عديم الروح!" ثم صاح، "تعال، تعال، أيها الرفيق المحسن، حررني، وامسكني من ذيلي أو من أنفي، أيها المحارب الشجاع"؛ ثم تمتم في نفسه، "سينتقم لي أحدهم، أيها الجندي العنيد؛ وإذا لم يتمكن صهر الأم هولوفرنيس من فعل ذلك، فهناك من سيحرقكما وجهاً لوجه، في نفس النار، وإلا فلن يكون لي تأثير كبير".

عند سماع توسلات الشيطان، عاد بريونيس وفتح الزجاجة. فخرج صهر الأم هولوفرنيس كالفرخ من قشرته، يسحب رأسه أولًا ثم جسده، وأخيرًا ذيله الذي أمسكه بريونيس؛ وكلما حاول الشيطان قبضه، ازداد تماسكه.

وبعد أن توقف الأسير السابق، الذي كان يعاني من ضيق إلى حد ما، بين الحين والآخر لتمديد ذراعيه وساقيه، سلكوا الطريق إلى المحكمة، وكان الشيطان يتذمر ويتبع الجندي، الذي كان يحمل الذيل مثبتًا جيدًا بين يديه.

وعندما وصلوا ذهبوا إلى المحكمة، وقال الشيطان لمحرره:

"سأضع نفسي في جسد الأميرة،[159] وهي محبوبةٌ جدًا من والدها، وسأُكلفها آلامًا لا يقدر على شفائها أي طبيب؛ ثم تقدم أنت وعرضت عليها علاجها، مطالبًا بأربعة دولارات يوميًا، وصرفك. سأتركها لك بعد ذلك، وسنُسوّي حساباتنا.
لقد حدث كل شيء كما خطط له وتوقعه الشيطان، لكن بريونيس لم يرغب في التخلي عن ذيله، وقال:
أحسنت يا سيدي، لكن أربعة دولارات فدية لا تليق بك ولا بي ولا بالخدمة التي قمنا بها. ابحث عن طريقة تُظهر بها كرمًا أكبر. سيُكسبك هذا شرفًا في عالم لا تتمتع فيه، معذرةً على صراحتي، بأفضل الأخلاق.
قال الشيطان في نفسه: "ليتني أستطيع التخلص منك!"، "لكنني ضعيفٌ جدًا ومخدرٌ لدرجة أنني لا أستطيع الذهاب وحدي. يجب أن أتحلى بالصبر! ذلك ما يسميه الناس فضيلة. أوه، الآن أفهم لماذا يقع الكثيرون في قبضتي دون أن يمارسوه. هيا بنا إلى نابولي، فمن الضروري الخضوع لتحرير ذيلي. يجب أن أخضع لحكم القدر لإرضاء هذا المطلب الجديد."
نجح كل شيء وفقًا لرغبته. أصيبت أميرة نابولي بتشنجات عضال، ولزمت الفراش. كان الملك في غاية الضيق. قدّم بريونيس نفسه بكل ما أوتي من غطرسة، إذ كان يعلم أنه سيتلقى مساعدة الشيطان. كان الملك مستعدًا لاستخدام...[160] خدماته، لكنه اشترط أنه إذا لم يُشفِ الأميرة خلال ثلاثة أيام، كما وعد بثقة، فسيُشنق. لم يُبدِ بريونيس، واثقًا من النتيجة الإيجابية، أدنى اعتراض.
لسوء الحظ، سمع الشيطان هذا الترتيب، وقفز فرحًا عندما رأى بين يديه وسيلة الانتقام لنفسه.
لقد سببت قفزة الشيطان للأميرة ألمًا شديدًا لدرجة أنها توسلت إليهم أن يأخذوا الطبيب بعيدًا.
في اليوم التالي، تكرر هذا المشهد. أدرك بريونيس حينها أن الشيطان هو السبب، ونوى أن يُشنق. لكن بريونيس لم يكن رجلاً يُفقد عقله.

في اليوم الثالث، عندما وصل الطبيب المُدّعي، كانوا يُنصّبون المشنقة أمام باب القصر. ما إن دخل شقة الأميرة، حتى تضاعفت آلام المريضة، فبدأت تصرخ مُطالبةً بوضع حدٍّ لذلك المُدّعي.

قال بريونيس بجدية: "لم أستنفد كل مواردي بعد، تفضل يا صاحب السمو الملكي بالانتظار قليلًا". ثم خرج من الغرفة وأصدر أوامره باسم الأميرة بقرع جميع أجراس المدينة.

عندما عاد إلى الشقة الملكية، سأل الشيطان، الذي يكن كراهية شديدة لصوت الأجراس، وهو فضولي أيضًا، بريونيس عن سبب رنين الأجراس.

«إنهم يتصلون»، أجاب الجندي، «بسبب وصول حماتك، التي أمرت باستدعائها».

كاد الشيطان أن يسمع أن حماته[161] وصل، ثم طار بعيدًا بسرعة هائلة لم يستطع حتى شعاع الشمس أن يلتقطه. فخورًا كالطاووس، أصبح بريونيس منتصرًا في الميدان.

11- المقامر الكريم

بقلم تشارلز بيير بودلير

بالأمس، عبر حشد الشارع، وجدت نفسي متأثرًا بكائن غامض لطالما رغبت في معرفته، والذي تعرفت عليه فورًا، على الرغم من أنني لم أره قط. لقد تخيلت أنه كان لديه في نفسه، نسبيًا بالنسبة لي، رغبة مماثلة، لأنه أعطاني، أثناء مروره، إشارة مهمة للغاية في عينيه جعلتني أسرع إلى طاعته. اتبعته باهتمام، وسرعان ما نزلت خلفه إلى مسكن تحت الأرض، مدهش بالنسبة لي كرؤية، حيث أشرقت ترف لا يمكن لأي من المنازل الفعلية في باريس أن تعطيني مثالًا تقريبيًا عليه. بدا لي غريبًا أنني مررت كثيرًا بهذا الملاذ الهائل دون أن أكتشف المدخل. كان يسود هناك جو رائع، خانق تقريبًا، يجعل المرء ينسى في لحظة تقريبًا جميع أهوال الحياة الدقيقة. هناك تنفست حسيَّة كئيبة، مثل حسي مدخني الأفيون عندما كانوا على شاطئ جزيرة مسحورة، أشرقت عليها فترة ما بعد الظهر الأبدية، شعروا وكأنهم ولدوا في داخلهم، على أنغام الشلالات الهادئة، والرغبة في عدم رؤية أسرهم، ونسائهم، وأطفالهم مرة أخرى، [163]وأن لا نضطر مرة أخرى إلى أن نلقي على أسطح السفن بفعل العواصف.

كانت هناك وجوهٌ غريبة لرجال ونساء، موهوبة بجمالٍ آسرٍ بدا لي وكأنني رأيتهم منذ سنواتٍ مضت وفي بلدانٍ لا أتذكرها، مما ألهمني ذلك التعاطف الغريب والشعور الغريب بالخوف الذي أكتشفه عادةً في جوانب مجهولة.

لو أردتُ أن أصف، بطريقةٍ أو بأخرى، التعبير الفريد لعيونهم، لقلتُ إنني لم أرَ قطُّ إشراقةً ساحرةً كهذه تُعبّر بمثل هذا القدر من الحيوية عن رعب الملل والرغبة - عن الرغبة الخالدة في الشعور بأنهم أحياء.

أما أنا ومضيفي، فقد كنا، عند جلوسنا، صديقين حميمين، كما لو كنا نعرف بعضنا منذ الأزل. شربنا كميات هائلة من أنواع النبيذ الفاخرة، والأمر الأكثر غرابة هو أنه بعد ساعات، بدا لي أنني لستُ أكثر سُكرًا منه.

لكن المقامرة، تلك المتعة الخارقة، قلّصت، على فترات متفاوتة، سخاءنا، ولا يسعني إلا أن أقول إنني ربحت وخسرت روحي، ونحن نلعب، بإهمال بطولي وبهجة. الروح كائنٌ خفيٌّ، غالبًا ما يكون عديم الفائدة، وأحيانًا يكون مُزعجًا، لدرجة أنني لم أشعر، تجاه هذه الخسارة، بأكثر من ذلك الشعور الذي قد أشعر به لو فقدت بطاقة زيارتي في الشارع.

لقد قضينا ساعات في تدخين السيجار، الذي يمنح نكهته ورائحته الفريدة للروح حنينًا إلى الملذات والمشاهد المجهولة، وكنت مخمورًا بكل هذه الصلصات المتبلة، وتجرأت، في حالة من الألفة[164] الذي لم يبدو أنه يضايقه، أن يبكي، بينما أرفع كأسًا ممتلئًا بالنبيذ حتى حافته: "إلى صحتك الخالدة، أيها الماعز العجوز!"

تحدثنا عن الكون، عن خلقه ودماره في المستقبل؛ وعن أبرز أفكار القرن، أي عن التقدم والكمال، وعن جميع أنواع الشغف البشري عمومًا. في هذا الموضوع، كان سموه لا ينضب في نكاته التي لا تُدحض، وعبّر عن نفسه ببلاغة وبلاغة لم أجدها قط في أيٍّ من أشهر محاوري عصرنا. شرح لي عبثية الفلسفات المختلفة التي استحوذت على عقول البشر حتى ذلك الحين، بل وتفضل بأخذي على محمل الجد في بعض المبادئ الأساسية التي لا أرغب في مشاركتها مع أحد.

ولم يشكو بأي حال من السمعة السيئة التي عاش في ظلها، في الواقع، في جميع أنحاء العالم، وأكد لي أنه هو نفسه كان من بين جميع الكائنات الحية الأكثر اهتمامًا بتدمير الخرافة ، واعترف لي أنه كان خائفًا، نسبيًا فيما يتعلق بقوته المناسبة، مرة واحدة فقط، وكان ذلك في اليوم الذي سمع فيه واعظًا، أكثر دهاءً من بقية القطيع البشري، ينادي في منبره: "إخوتي الأعزاء، لا تنسوا أبدًا، عندما تسمعون تقدم الأضواء، أن أجمل خدعة للشيطان هي إقناعك بأنه غير موجود!"

لقد قادتنا ذكرى هذا الخطيب الشهير بشكل طبيعي إلى موضوع الأكاديميات، وقد أعلن لي مضيفى الغريب أنه لم يتردد، في كثير من الحالات، في إلهام الأقلام والكلمات وضمير الناس.[165] التربويين، وأنه

كان دائمًا تقريبًا يساعد شخصيًا، على الرغم من كونه غير مرئي، في جميع الاجتماعات العلمية.

شجّعني لطفه الشديد، فسألته إن كان لديه أي أخبار عن الله - فمن منا لا يملك ساعاته من الكفر؟ - خاصةً أنه الصديق القديم للشيطان. قال لي، بنبرة من اللامبالاة ممزوجة بحزن أعمق: "نُحيّي بعضنا البعض عندما نلتقي". أما بقية كلامه، فكان بالعبرية.

من غير المؤكد ما إذا كان سموه قد أعطى مثل هذه المقابلة الطويلة لإنسان بسيط، وكنت خائفة من إساءة استخدامها.

أخيرًا، وبينما كان الظلام يقترب، قال لي هذا الشخص الشهير، الذي تغنى به شعراء كثيرون، وخدمه فلاسفة كثيرون يعملون لمجده دون أن يدركوا ذلك: "أريدك أن تتذكرني دائمًا، وأن أثبت لك أنني -الذي يُقال عنه الكثير من الشر- جيد بما يكفي لاستخدام إحدى عباراتك المبتذلة. ولكي أعوّض عن الخسارة التي لا تُعوّض التي ألحقتها بروحك، سأرد لك الرهان الذي كان يجب أن تكسبه لو كان قدرك سعيدًا - أي إمكانية العزاء والتغلب، طوال حياتك، على هذا الشعور الغريب بالملل ، وهو مصدر كل عللك وكل بؤسك. لن تتشكل فيك رغبة أبدًا إلا وسأساعدك على تحقيقها؛ ستحكم على نظرائك المبتذلين؛ سيأتي المال والذهب والماس، قصور الجنيات، للبحث عنك وسيطلب منك قبولها دون..." بعد بذل أقل جهد للحصول عليها؛ يمكنك تغيير مسكنك كلما أردت؛ سيكون في وسعك التحكم في كل الأحاسيس[166] "بلا فتور، في بلاد حيث المناخ حار دائمًا، وحيث النساء عطرات كالزهور". مع هذا نهض وقال وداعا لي بابتسامة ساحرة.

لولا خجلي من إذلال نفسي أمام هذا الجمع الغفير، لسقطتُ طوعًا عند قدمي هذا المقامر الكريم، لأشكره على كرمه الذي لا يُضاهى. لكن شيئًا فشيئًا، بعد أن تركته، تسلل إليّ تحدٍّ لا شفاء منه؛ لم أعد أجرؤ على الإيمان بسعادةٍ عظيمة كهذه؛ وبينما كنتُ أخلد إلى النوم، أُعيدُ صياغة صلاتي الليلية بكل ما تبقى لي من إيمان، كرّرتُ في نومي: "إلهي، سيدي، إلهي! فليُوفِ الشيطان بوعده معي!"

12- الكتل الثلاث المنخفضة
قصة عيد الميلاد

بقلم ألفونس دوديه

أنا

"ديكان روميان بالكمأة، غاريغو؟"

نعم، يا صاحب الجلالة، ديكان روميان رائعان محشوان بالكمأة. كنتُ لأعرف شيئًا عنهما، فقد ساعدتُ بنفسي في حشوهما. كان من المفترض أن يُقال إن جلدهما سيتشقق أثناء تحميصهما، لكن إذا تمددا...

يا يسوع ماريا! أنا من عشاق الكمأة!... بسرعة، أعطني ثوبي يا غاريغو.. وهل رأيتَ شيئًا آخر في المطبخ غير الديك الرومي؟

نعم، كل أنواع الأشياء الجيدة... منذ الظهر، لم نفعل شيئًا سوى نتف ريش طيور التدرج والهدهد ودجاج الحظيرة ودجاج الغابة. كان الريش يطير في كل مكان... ثم أخرجوا ثعابين البحر والكارب الذهبي والسلمون المرقط من البركة، بالإضافة إلى...

"ما هو حجم سمك السلمون المرقط، غاريغو؟"

"بقدر هذا القدر من الاحترام.... هائل!"

يا إلهي! أظنني أراهم... هل وضعتَ الخمر في الأوعية؟

نعم، يا صاحب الجلالة، لقد وضعتُ النبيذ في الأوعية... لكن يا إلهي! لا يُقارن بما ستشربونه الآن، بعد انتهاء قداس منتصف الليل. لو رأيتم ذلك في قاعة طعام القصر! جميع القوارير مليئة بالنبيذ المتوهج بكل الألوان!... والطبق الفضي، ونبيذ الإبريق المطارد ، والزهور، واللمعان!... لن تُرى مثل هذه الوليمة في منتصف الليل أبدًا. دعا الماركيز النبيل جميع أمراء الحي. سيجلس أربعون منكم على الأقل على المائدة، دون احتساب مأمور المزرعة والموثق... يا له من حظٍّ عظيم يا صاحب الجلالة أن تكون واحدًا منهم!... بعد شمّة واحدة من تلك الديوك الرومية اللذيذة، تتبعني رائحة الكمأة في كل مكان... لذيذ!

هيا، هيا يا صغيرتي. لنتجنب شراهة الطعام، وخاصةً في ليلة الميلاد... أسرعي وأشعلي الشموع واقرعي الجرس الأول للقداس؛ فالوقت يقترب من منتصف الليل، ويجب ألا نتأخر عن الموعد.

دارت هذه المحادثة في ليلة عيد الميلاد من عام ألف وستمائة ونحوه، بين القس دوم بالاغوير (سابقًا رئيس دير البرنابيين، وهو الآن قسيس مدفوع الأجر لدى لوردات ترينكويلاغو)، وكاتبه الصغير غاريغو، أو على الأقل من ظنه كاتبه الصغير غاريغو، إذ لا بد أنكم تعلمون أن الشيطان قد اتخذ في تلك الليلة وجهًا مستديرًا وملامح ناعمة كالساكريستان الشاب، ليغري الأب الموقر ويوقعه في الإغراء، ويجعله يرتكب خطيئة الشراهة المروعة.

حسنًا، بينما كان غاريغو المزعوم (هممم!) يبذل قصارى جهده...[169] كانت أجراس الكنيسة البارونية تدق، وكان رجل الدين يرتدي ثيابه في خزانة الملابس الصغيرة بالقصر؛ ومع انشغال عقله بكل هذه الأوصاف الغذائية، ظل يقول لنفسه وهو يرتدي ملابسه:

"ديك رومي مشوي، ... سمك الشبوط الذهبي، ... سمك السلمون المرقط بهذا الحجم! ..."

في الخارج، كانت رياح الليل العاصفة تحمل موسيقى الأجراس، ومع هذا، بدأت الأضواء تظهر على الجوانب المظلمة لجبل فينتو، الذي ارتفعت على قمته أبراج ترينكويلاجو القديمة. حملت الأضواء عائلات المزارعين المستأجرين، الذين كانوا يأتون لسماع قداس منتصف الليل في القصر. كانوا يتسلقون التل في مجموعات من خمسة أو ستة معًا، ويغنون؛ الأب في المقدمة يحمل فانوسًا، والنساء ملفوفات بعباءات بنية كبيرة، يحتضن أطفالهن الصغار ويأوون تحتها. وعلى الرغم من البرد وتأخر الوقت، كان هؤلاء الناس الطيبون يسيرون بمرح، مبتهجين بفكرة أنه بعد انتهاء القداس سيكون هناك، كما هو الحال دائمًا في السنوات السابقة، طاولات معدة لهم في المطابخ. في بعض الأحيان كانت النوافذ الزجاجية في عربة بعض اللوردات، التي تسبقها حاملو المشاعل، تتألق في ضوء القمر على الصعود

الوعر؛ أو ربما يمر بغل يركض بأجراس رنانة، وعلى ضوء الفوانيس الضبابية يتعرف المستأجرون على عمدتهم ويحيونه عندما يمر:

"مساء الخير، سيد أرنوتون."

مساء الخير. مساء الخير يا صديقي.

كانت الليلة صافية، وكانت النجوم تتلألأ بضوء القمر.[170] صقيع؛ كانت ريح الشمال تهب، وأحيانًا تساقطت حبات بَرَد صغيرة رقيقة، تتساقط عن الملابس دون أن تبللها، متمسكةً بتقليد أن يكون عيد الميلاد أبيضًا بالثلج.

على قمة التل، كهدفٍ يتجه إليه الجميع، أشرق القصر بكتلته الضخمة من الأبراج والجملونات، وبرج كنيسته الذي يرتفع في السماء الزرقاء السوداء.

كانت مجموعة من الأضواء الصغيرة تتلألأ، تأتي وتذهب وتتحرك على جميع النوافذ؛ بدت كالشرارات التي تراها تتدفق في رماد الورق المحترق.

بعد عبور الجسر المتحرك والبوابة الخلفية، كان لا بد، للوصول إلى الكنيسة، من عبور الفناء الأول، الذي كان مليئًا بالعربات والمشاة وكراسي الهجن، وكان مُضاءً تمامًا بشعلة المشاعل ووهج نيران المطبخ. هنا سُمع صوت طقطقة الأسياخ الدوارة، وخشخشة القدور، وارتطام الكؤوس والأطباق الفضية في ضجيج تحضير الوليمة؛ بينما تصاعد فوق المكان بخار دافئ يفوح برائحة اللحم المشوي والأعشاب اللاذعة والصلصات المُعقّدة، وكأنه يقول للمزارعين، وكذلك للقسيس والمأمور، وللجميع:

"ما أجمل وجبة منتصف الليل التي سنتناولها بعد القداس!"

الثاني

تينغ-أ-رينج!—أ—رينج!

يبدأ قداس منتصف الليل في كنيسة القصر، وهي كاتدرائية مصغرة ذات أعمدة متقاطعة.[171] وأسقفٌ مُقببة، وأعمالٌ من خشب البلوط بارتفاع الجدران، وستائرٌ مُمتدة، وزخارفٌ مُدببةٌ مُتلألئة. يا له من عددٍ كبيرٍ من الناس! يا لها من فساتينٍ فخمة! أولًا، يجلس سيد ترينكويلاغو في المقاعد المنحوتة المُصطفة على جانبي الجوقة، مُرتديًا معطفًا من الحرير بلون السلمون، ويصطف حوله جميع النبلاء المدعوين.

على الجانب الآخر، على كراسي صلاة مغطاة بالمخمل، اتخذت الماركيزة الأرملة العجوز ذات الديباج الملون، وسيدة ترينكويلاج الشابة التي ترتدي غطاء رأس رفيعًا من الدانتيل المضفر على أحدث صيحات البلاط الفرنسي، أماكنهما. في الأسفل، يرتديان الأسود، مع شعر مستعار أنيق، ووجوه محلوقة، مثل ورقتين قاتمتين بين الحرير اللامع والدمشق المزخرف، يظهر المحضر توماس أرنوتون، وكاتب العدل السيد أمبروي. ثم يأتي رئيس الخدم البدين، والصفحات، والفرسان، والمضيفون، السيدة باربرا، مع جميع مفاتيحها معلقة بجانبها على خاتم من الفضة الأصلية. في النهاية، على النماذج، توجد الطبقة الدنيا، والخادمات، ومزارعو الكوتر وعائلاتهم. وأخيرًا، هناك في الأسفل، بالقرب من الباب، الذي يفتحونه ويغلقونه بعناية شديدة، يوجد السادة المساعدون، الذين يدخلون في الفترة الفاصلة بين صلصتين، ليستنشقوا رائحة القداس قليلاً؛ ويحملون معهم رائحة الطعام إلى الكنيسة، التي أصبحت الآن في احتفال كبير ودافئ بسبب عدد الشموع المضاءة.

هل منظر قبعاتهم البيضاء الصغيرة هو ما يشتت انتباه المحتفل؟ أليس جرس غاريغو؟ ذلك الجرس الصغير المجنون الذي يُهتز عند قدم المذبح باندفاع جهنمي يبدو دائمًا وكأنه... يقول: "هيا بنا نسرع، نسرع... كلما انتهينا أسرعنا، أسرعنا للوصول إلى المائدة." في الواقع، كلما رن جرس الشيطان هذا، ينسى القسيس قداسه، ولا يفكر إلا في وليمة منتصف الليل. يتخيل أنه يرى الطهاة ينشطون، والمواقد تشتعل بنيران أشبه بنيران الفرن، والديكين الروميين الرائعين، المحشوين، والمكدسين، والمزخرفين بالكمأة...

ثم يرى، وهو يمر، صفائح من أوراق صغيرة تحمل أطباقًا مغلفة بأبخرة مغرية، ويدخل بها القاعة الكبرى المُجهزة للوليمة. يا للروعة! هناك المائدة الضخمة الممتلئة والمُشرقة، والطواويس المُزينة بريشها، والدراجات الناشرة أجنحتها البنية المُحمرة، والقوارير الياقوتية، وأهرامات الفاكهة المُتلألئة بين الأغصان الخضراء، وتلك الأسماك الرائعة التي ذكرها غاريغو

(حسنًا، نعم، غاريغو!) مُلقاة على فراش من الشمر، بحراشفها اللؤلؤية اللامعة كما لو كانت قد خرجت لتوها من الماء، وباقات من الأعشاب العطرية في أنوفها الضخمة. إن رؤية هذه العجائب واضحةٌ جدًا لدرجة أن دوم بالاجوير يخيل إليه أن كل هذه الأطباق الرائعة تُقدم أمامه على مفرش المذبح المطرز، ويجد نفسه يردد صلاة "بينيديكيت" مرتين أو ثلاثًا بدلًا من " دومينوس فوبيسكوم" . وباستثناء هذه الأخطاء الطفيفة، يُلقي الرجل الكريم الصلاة بضمير حيّ، دون أن يتخطى سطرًا واحدًا، ودون أن يُغفل ركعةً واحدة؛ ويسير كل شيء على ما يُرام حتى نهاية القداس الأول؛ لأنكم تعلمون أنه في يوم عيد الميلاد، يجب على الكاهن المُقيم نفسه أن يُقيم ثلاثة قداديس متتالية.

"لقد تم ذلك!" يقول القسيس لنفسه[173] تنهد بارتياح؛ ثم، دون أن يفقد لحظة، أشار إلى كاتبه، أو إلى من افترض أنه كاتبه، و...

"تينج-أ-رينج...تينج-أ-رينج، أ-رينج!"

الآن يبدأ القداس الثاني، ومعه تبدأ أيضًا خطيئة دوم بالاجوير. "أسرع، أسرع، فلنسرع،" يناديه جرس غاريغو بصوته الخافت الحاد، وهذه المرة، يمسك المحتفل التعيس، المستسلم تمامًا لشيطان الشراهة، بكتاب القداس ويلتهم صفحاته بلهفة شهيته المفرطة. ينحني بجنون، وينهض، ويشير فقط إلى علامة الصليب والركوع، ويختصر جميع إيماءاته من أجل الانتهاء بشكل أسرع. بالكاد يمد ذراعيه عند الإنجيل، حتى يضرب صدره عند المعترف . إنه منافسة بينه وبين الكاتب حول من سيغمغم أسرع. يتم تمرير الآيات والردود على عجل وتصادمت مع بعضها البعض. الكلمات التي يتم نطقها نصف نطق، دون فتح الفم، وهو ما يستغرق الكثير من الوقت، تنتهي بغمغمات لا معنى لها.

" أورموس ملاحظة ... ملاحظة ... ملاحظة .... "

" أنا مذنب ... با ... با .... "

مثل مزارعي العنب في عجلة من أمرهم يعصرون العنب في الحوض، يقوم هذان الاثنان بالتجديف في اللاتينية الجماعية، مما يؤدي إلى إرسال البقع في كل اتجاه.

" دوم... حثالة!... " يقول بالاجير.

" ... ستوتو!... " يجيب غاريغو؛ والجرس الصغير الملعون يرن في آذانهم طوال الوقت، كالأجراس التي يضعونها على خيول البريد لحثها على الركض بسرعة. يمكنك أن تتخيل أنه بهذه السرعة، يتم التخلص من كتلة صغيرة بسرعة.

"هذا يجعل اثنين،" يقول القسيس وهو يلهث؛ ثم دون أن يأخذ وقتًا لالتقاط أنفاسه، كان أحمر اللون ومتعرقًا، ينزل درجات المذبح و...

"تينج-أ-رينج!...تينج-أ-رينج!..."

الآن يبدأ القداس الثالث. لم يبقَ سوى بضع خطوات للوصول إلى قاعة الطعام؛ ولكن، يا للأسف! كلما اقترب موعد عشاء منتصف الليل، ازداد شعور بالاجوير التعيس بنفاذ صبره وشراهته. أصبحت الرؤية أوضح؛ أسماك الشبوط الذهبية، والديوك الرومية المشوية هناك، هناك!... يلمسها،... يا إلهي! الأطباق تُدخّن، والنبيذ يُعطر الجو؛ وبصوتٍ غاضبٍ، يناديه الجرس الصغير:

"سريـع، سريـع، أسرع من ذلك!"

ولكن كيف يمكنه أن يذهب أسرع؟ شفتاه بالكاد تتحرك. لم يعد ينطق بالكلمات؛ ... إلا إذا فرض على السماء صراحةً وخدعها من كتلتها.... وهذا بالضبط ما يفعله الرجل التعيس!... من إغراء إلى إغراء؛ يبدأ بتخطي آية، ثم اثنتين. ثم تكون الرسالة طويلة جدًا - فهو لا يكملها، ويمر على الإنجيل بسرعة، ويمر أمام العقيدة دون الخوض فيها، ويتخطى صلاة الأب ، ويحيي المقدمة من مسافة بعيدة، وبخطوات سريعة يلقي بنفسه في اللعنة الأبدية، ويتبعه باستمرار غاريغو الحقير (Satanas، vade retro!)، الذي يؤيده بمهارة رائعة، ويحافظ على رداء الكاهن، ويقلب الأوراق

اثنتين في كل مرة، ويدفع مكاتب القراءة بمرفقيه، ويقلب الأواني، ويدق الجرس الصغير باستمرار بصوت أعلى وأعلى، وأسرع وأسرع.[175]

لقد كان ينبغي لك أن ترى الوجوه الخائفة لجميع الحاضرين، حيث كانوا ملزمين باتباع هذه القداس بمجرد تقليد الكاهن، دون أن يسمعوا كلمة واحدة؛ يقوم البعض عندما يركع الآخرون، ويجلسون عندما يقف الآخرون، وكل مراحل هذه الخدمة الفريدة مختلطة معًا في العديد من المواقف المختلفة التي يقدمها المصلون على المقاعد....

همست الأرملة العجوز وهي تهز غطاء رأسها في حيرة: " الدير يسير بسرعة... لا أحد يستطيع ملاحقته". يبحث السيد أرنوتون، بنظارته الفولاذية الكبيرة على أنفه، في كتاب صلاته عن مكان تلك الأشياء. لكن في أعماق قلوب هؤلاء الطيبين، الذين يفكرون في الاحتفال، لا يأسفون على إقامة القداس بهذه السرعة؛ وعندما يلتفت دوم بالاغوير بوجهه المشرق نحو الحاضرين وينادي بكل قوته: "لقد حان الوقت "، يردون عليه جميعًا بصوت واحد: " الله كريم " بفرح وحماس، كما لو كانوا يظنون أنهم قد جلسوا بالفعل على وليمة منتصف الليل ويشربون النخب الأول.

الثالث:

بعد خمس دقائق، كان حشد النبلاء جالسًا في القاعة الكبرى، والقسيس في وسطهم. كان القصر، المُضاء من أعلى إلى أسفل، يصدح بالأغاني والهتافات والضحك والضجيج؛ وكان القس بالاجوير الموقر يغرس شوكته في جناح طائر، ويغرق كل ندم على خطيئته في سيل من العبارات الملكية. النبيذ وعصائر الأطعمة الشهية. لقد أكل وشرب كثيرًا، أيها الرجل العزيز، حتى مات في ليلة نوبةٍ مروعة، دون أن يتاح له حتى وقتٌ للتوبة؛ ثم في الصباح، عندما صعد إلى السماء، أترك لكم أن تتخيلوا كيف استُقبل.

أُمر بالانسحاب بسبب شره. كان ذنبه جسيمًا لدرجة أنه محا حياة كاملة من الفضيلة... لقد حرمهم من قداس منتصف الليل... كان عليه أن يدفع ثمنه ثلاثمائة، ولن يدخل الجنة حتى يحتفل في كنيسته بهذه القداسات

الثلاثمائة بمناسبة عيد الميلاد بحضور جميع من أخطأوا معه وبسبب خطئه...

... والآن، هذه هي أسطورة دوم بالاغوير الحقيقية كما تُروى في بلاد الزيتون. في الوقت الحاضر، لم يعد قصر ترينكويلاج موجودًا، لكن الكنيسة لا تزال قائمة على قمة جبل فينتو، وسط مجموعة من أشجار البلوط الخضراء. بابها المتداعي يهتز في الريح، وعتبتها تخنقها النباتات؛ توجد أعشاش طيور في زوايا المذبح، وفي تجاويف النوافذ العالية، التي اختفى منها الزجاج الملون منذ زمن بعيد. ومع ذلك، يبدو أنه في كل عام في عيد الميلاد، يتجول ضوء خارق للطبيعة وسط هذه الأنقاض، ويرى الفلاحون، وهم يذهبون إلى القداسات ووجبات منتصف الليل، هذا الشبح للكنيسة مضاءً بمصابيح غير مرئية تحترق في الهواء الطلق، حتى في الثلج والرياح. قد تضحك على هذا إن شئت، ولكن أحد مزارعي الكروم في هذا المكان، واسمه غاريغو، وهو بلا شك من نسل غاريغو، أخبرني أنه في إحدى ليالي عيد الميلاد، عندما كان ثملًا بعض الشيء، فقد طريقه على تلة ترينكويلاغو؛[177] هذا ما رآه... حتى الساعة الحادية عشرة، لا شيء. كان كل شيء صامتًا، جامدًا، بلا حراك. فجأة، حوالي منتصف الليل، دوّى رنين من أعلى برج الكنيسة، رنين عتيق جدًا، بدا وكأنه على بُعد عشرة فراسخ. وسرعان ما رأى غاريغ أضواءً تتلألأ، وظلالًا غامضة تتحرك في الطريق المؤدي إلى التل. مرّوا تحت رواق الكنيسة، وهمسوا:

"مساء الخير، سيد أرنوتون!"

"مساء الخير، مساء الخير، أصدقائي!" ...

عندما دخل الجميع، اقترب كرمتي، الذي كان شجاعًا جدًا، في صمت، وعندما نظر من خلال الباب المكسور، التقى مشهد غريب بنظره. كان جميع من رآهم يمرون جالسين حول الجوقة، وفي الصحن المدمر، تمامًا كما لو كانت المقاعد القديمة لا تزال موجودة. سيدات جميلات يرتدين الديباج، مع أغطية رأس من الدانتيل؛ نبلاء مزينون من الرأس إلى القدمين؛ فلاحون يرتدون سترات مزهرة مثل أجدادنا؛ كلهم بنظرة قديمة باهتة

ومغبرة ومتعبة. من وقت لآخر، كانت طيور الليل، سكان الكنيسة المعتادين، الذين أيقظتهم كل هذه الأضواء، تأتي وتطير حول الشموع، التي ارتفعت ألسنة اللهب منها مستقيمة وغير محددة المعالم، كما لو كانت تحترق خلف حجاب؛ وما أثار ضحك غاريغ كثيراً هو شخصية معينة ترتدي نظارة فولاذية كبيرة، وكان يهز شعره المستعار الأسود الطويل باستمرار، والذي تشابك فيه أحد هذه الطيور، وكان يحافظ على نفسه منتصباً من خلال رفرفة أجنحته بصمت....

وفي الطرف الآخر، كان رجل عجوز صغير ذو هيئة طفولي راكعًا في منتصف الجوقة، وهو يهز جرسًا بلا صوت أو تصفيق، بينما كان الكاهن،[178] كان يرتدي الذهب القديم، ويأتي ويذهب أمام المذبح، يتلو الصلوات التي لم يسمع منها كلمة واحدة.... ومن المؤكد أن هذا كان دوم بالاجوير في فعل تلاوة قداسه المنخفض الثالث.

13- ألغاز الشيطان

بقلم فريدريك بيتشر بيركنز

لا جدوى من إنكار وجود شيطان شخصي. لم يمضِ على ذلك زمن طويل حتى أبدى أحد أعمق علمائنا اللاهوتيين استياءه من هذا الإنكار. صرخ الطبيب بحماس: "لا يوجد مثل هذا الشخص؟ لا تخبرني! أستطيع سماع ذيله ينكسر ويتكسر بين الكنائس في أي يوم!"

وإذا كان العدو، في الحقيقة، لا يزال نشطًا بقوة بين أبناء الله كما كان في أيام أيوب (أي في زمن سليمان، عندما اكتشف النقاد أن سفر أيوب قد كتب)، فمن المؤكد أنه لا يزال أكثر يقظة وماكرًا في حيله لإغلاق رهونه العقارية على أرواح الأشرار.

ومرة أخرى: من المرجح أكثر من أي وقت مضى ظهوره الشخصي في هذه الأيام الأخيرة. لقد أعلن هدير كامينغ المطول نهاية كل شيء لربع قرن؛ وسيشهد بالتأكيد تحقق نبوءته إذا استطاع فقط أن يحافظ عليها لفترة كافية. ولكن، مع أننا نشكك في صحة السبتيين الثانيين العاقلين فيما يتعلق بالسبب الدقيق للتجسد الشيطاني، ألا توجد مصادفة غريبة بين تصريحاته الصاخبة، وغيرها من الأدلة على تقارب المجال الروحي مع المجال الجسدي؟ [180]أليس هذا ربع قرنٍ من الزمان هو ربع قرن الروحانيين؟ ألم يشهد تطورَ العود؟ والاستبصار؟ ألم تبرز تعاليم الأشباح، وظهور الموتى، ورسائلهم، بشكلٍ جديدٍ كليًا، وباتت متماسكةً ومشابهةً، على الأقل، للواقع والقانون الثابت كما لم يُعرف من قبل؟ أجل، حقًا. من بين جميع عصور تاريخ العالم، فإن رفض المرء من معتقداته إما الأرواح الطيبة أو الشريرة، أو علم الملائكة أو علم الشياطين، أو الكائن الصالح الرئيسي أو الكائن الشرير الرئيسي، هو الأكثر سوءًا.

كان الدكتور هيكوك عرضةً للإغراء الشديد الذي وقع فيه لا محالة، علاوةً على كونه متزمتًا، مما يزيد من سعادتنا بحصوله على هذه المكانة المرموقة في النهاية؛ متزمت لدرجة أن كل من عرفه كان يُناديه دائمًا (عندما لا يكون

قريبًا) هيكوك-ألوروم. هذا اللقب الساحر مُنح له من قِبل رجل عجوز مجنون دخل معه في جدالٍ ذات مرة. يمتلك المجانين أساليبًا مُريبة للغاية للهرب من المأزق في التفكير؛ لكن هيكوك كان يعرف الكثير عن ذلك ؛ ولذلك اكتسب لقبه الرائع ليُعلّمه شيئًا آخر.

قلنا: المسؤولية مضاعفة. الأسباب الثلاثة هي:

1. كان مولودًا في الخارج.
2. كان اسكتلنديًا.
3. كان طبيبًا وجراحًا.

كانت الطريقة التي تعمل بها هذه الأسباب على النحو التالي (أتمنى أن يكون مسموحًا باستخدام كلمة أرتيماس وارد الغريبة والمرضية "هكذا:" مثل شراب السيدة ويجل المهدئ، فإنه "يلبي حاجة حقيقية"):[181]— لكونه مولودًا في الخارج، لم يكن الدكتور هيكوك يتمتع بالصلابة الأخلاقية التي يتمتع بها الأمريكيون الأصليون، ولذلك كان من السهل نسبيًا الوقوع في الخطيئة. ثانيًا، لكونه اسكتلنديًا، لم يكن مغرورًا تمامًا فحسب، بغرور لا يتزعزع كصخرة باس، تمامًا كما هو الحال أحيانًا مع غيره، بل كان، على وجه الخصوص، واثقًا تمامًا من إتقانه التام للميتافيزيقيا والمنطق والديالكتيك، أو كما كان يسميها، بإضفاء طابع ألماني متغطرس، الديالكتيك . الآن، في الأخيرين، يمكن للاسكتلندي أن يفعل شيئًا، لكنهم في الميتافيزيقيا يكونون ببساطة أغبياء؛ وهي صفة، في العناية الإلهية الغامضة، اقترنت باقتناع تام بالعكس تمامًا. لذا، لا ينبغي للإنسان أن يفرق بين هذه الصفات - ليس بسبب أي أمر إلهي، بل لأنه لا يوجد إنسان عاقل سيحاول إقناع اسكتلندي - أو أي شخص آخر، في هذا الشأن.

ثالثًا، كان طبيبًا وجراحًا؛ ورجال هذه المهنة يميلون إلى أن يصبحوا إما ماديين متشددين، أو مشيخيين كالفينيين ضمنيين متطرفين، "من الطبقة الراقية". وهم، علاوة على ذلك، إيجابيون، عنيدون، جريئون، واثقون بأنفسهم. لذا فهم بحاجة ماسة إلى ذلك. ألم يقل ماجندي لطلابه: "أيها السادة، المرض موضوع لا يعرف عنه الأطباء شيئًا"؟

لذا آمن الطبيب بوجود شيطان شخصي، وآمن بقدرته على التغلب عليه في مسابقة ذكاء. آه، لقد تعلم أكثر من خلال تجربة مروعة! كان الطبيب شابًا صغيرًا جافّ المظهر، بشعر رملي، ووجه مليء بالنمش، وعينين رماديتين صغيرتين، وحاجبين أبيضين بشكل غريب.[182] ورموشه، جعلته يبدو كما لو أنه أنهى مرحاضه بلمسة خفيفة من صندوق التجريف.
كان منتصب القامة، وسريع الحركة، وسريع البديهة، يشبه إلى حد كبير الرائد ويلينغتون دي بوتس. وكان وجهه عادةً ما يكتسي بنوع من الهدوء والسكينة المطمئنة، كتلك التي ينسبها الهندوس إلى بوذا. أعرف تاجر أدوات طبيب أسنان صغيرًا وسريع الانفعال في المدينة، قد يظنه البعض هيكوك-ألوروم في أي يوم.
حسنًا، حسنًا - ماذا فعل الطبيب؟ لماذا - قد يبدو الأمر سخيفًا، على الأرجح، لبعض غير المؤمنين - لكن في الحقيقة، اعترف لي الدكتور هيكوك بالقصة كاملة بنفسه: لقد عقد صفقة مع الشيطان! وبالفعل، كان رجلًا بغيضًا بشكل غير عادي، لدرجة أنه، ما لم يكن هناك فرضية كهذه، يستحيل تخيل كيف كان ليزدهر كما فعل. لقد كسب مرضى، وعالجهم أيضًا؛ وكسب المال؛ واستثمر بنجاح؛ واشترى واجهة من الحجر البني - منزلًا، وليس باروكة شعر مستعار - ثم اشترى عقارات أخرى؛ وبدأ في وضع اسمه على قوائم اشتراكات الجمعيات الخيرية، وعُيّن نائبًا لرئيس عدة شركات.
الأهم من ذلك كله، لا بد أن عونًا خارقًا سمح للدكتور هيكوك بالزواج من زوجته، السيدة هيكوك آنذاك والحالية. يا إلهي! لقد وصفتُ الطبيب بسهولة. لكن كم يصعب وصف الجمال من الوحش: هل فكرتَ في ذلك يومًا؟ كل ما يمكنني قوله هو أنها امرأة فاتنة الآن؛ ولا بد أنها كانت، عندما تزوجها الطبيب، من أجمل المخلوقات على الإطلاق - امرأة سمراء مفعمة بالحيوية، رشيقة، ذات عيون لامعة، بشعر أسود طويل كثيف وناعم، وحاجبين رقيقين مرسومين بقلم رصاص، وعينين ورديتين صغيرتين.[183] آذان، أنف رفيع مرتفع، عيون بنية كبيرة مندهشة، أسنان

مثالية، فم صغير كبرعم وردة، وشخصية جميلة للغاية لدرجة أن لا أحد يعتقد أنها لا تحشو - بالكاد حتى الفنانين الذين - أولئك منهم على الأقل الذين يعملون بأمانة في مدرسة الحياة - هم أفضل الحكام الموجودين على الحقيقة في الزي والجمال الشخصي. ولكن، علاوة على ذلك، كانت جيدة، مع الخير اللاواعي البريء لطفل صغير حلو؛ ومن بين جميع السحر الأنثوي - حتى وراء رشاقتها العليا في الحركة - كانت تمتلك أحلى صوت وأكثرها مقاومة - صوت جميل؛ كانت نغماته، سواء في الكلام أو الغناء، مثالية في الحلاوة، وذات جودة تعاطفية غريبة نافذة وفي الوقت نفسه مع اكتمال رائع في النطق والتعديل، كما لو كانت تستمتع بصوت موسيقاها الخاصة. لا شك أنها فعلت ذلك؛ ولكن كان ذلك دون وعي، مثل طائر. كان الصوت عذبًا، وجمال الروح ولطفها العميقين، كأي جمال بديع، أشعّ بحزنٍ ما في السرور الذي أفاضه. أيقظ مشاعرَ جمالٍ وكمالٍ لا متناهية، غامضة، وشوقًا لا حدود له.

لا جدوى من إخباري بأن روحًا كهذه - لا ينبغي أن تُعرف بهذا القدر من التواضع بين البشر - كان من الممكن أن تُسعدها رفقة هيكوك-ألوروم، بتأثيرات بشرية خالصة. لا! - لا أصدق ذلك - لن أصدقه - لا يمكن تصديقه. لا أستطيع إقناعك، بالطبع، لأنك لا تعرفها؛ ولكن إذا كنت تعرفها، فإلى جانب بقية الأدلة، وإذا كانت معرفتك مثل معرفتي، بناءً على شهادة شخصيتي...[184] "إن امتلاك الطبيب لزوجته كان حجر الأساس في قوس الأدلة الكاملة التي وجدت عليها تأكيدي المطلق على أنه أبرم تلك الصفقة."

بالتأكيد! صفقة مميزة للغاية أيضًا؛ فبينما اتفق الطرفان، كالعادة، على أن يخلف الدكتور هيكوك في كل ما قام به خلال عشرين عامًا، وعلى أن يتولى الطرف الثاني إحضاره في نهاية تلك المدة بالطريقة والشكل المعتادين، أُضيف بندٌ خاص. وهو أنه عندما يحين وقت رحيل الطبيب، يُترك سالمًا معافى، عقلًا وجسدًا ومالًا، شريطة أن يطرح على الشيطان ثلاثة أسئلة

متتالية، على أن يكون أيٌّ منها من النوع الذي لا يستطيع ذلك الروح الماكرة حلّها فورًا.
وهكذا عاش الدكتور هيكوك عشرين عامًا وازدهر، وبلغ ذروة مجده. مع ذلك، لم يزد وزنه رطلًا واحدًا من الأوفردوبوا، وهو أمر قد يبدو غريبًا، ولكنه طبيعي جدًا. من رأى رجلًا صغيرًا، جافًا، نحيلًا، رمليًا، مليئًا بالنمش، بحاجبين أبيضين، ازداد وزنه؟ علاوة على ذلك، قضى الطبيب كل وقت فراغه في البحث عن أسئلته الثلاثة المهمة؛ والدراسة الجادة، قبل كل شيء لهذا الغرض، تُعدّ مانعًا مؤكدًا للسمنة مثل بانتينغ.
كان يحفظ الميتافيزيقيين الاسكتلنديين عن ظهر قلب، بحكم منصبه إن جاز التعبير ؛ لكنه تخلى مبكرًا عن فكرة محاولة خداع الشيطان بمثل هذه الأكاذيب. ومع ذلك، فليُفهم أنه وجد سببًا لاستبعاد السير ويليام هاميلتون من بين هؤلاء المرتبكين.[185] تأمل مليًا، وبأملٍ كبير، في مسألة "كمية المسند"؛ لكنه اضطر للتخلي عنها أيضًا عندما اكتشف مدى صغر وجفاف اللحم الذي يهتز داخل قشرة الجوزة الكبيرة الصاخبة. قرأ القديس توما الأكويني، وبطرس دينز، وقرأ أيضًا عددًا كبيرًا من كتب الفقهاء القدامى، من الرومان والبروتستانت.
لقد استنفد كل ما تعلمه من نظرية التطور. درس وجرّب حتى حدود المعرفة المتاحة في مسألة أصل الحياة، ثم توغل وحده، قدر استطاعته، في الظلام الدامس الذي يحيط بنا، في هذا الشأن، وفي معظم المسائل الأخرى. شقّ طريقه بصعوبة بالغة عبر الجدل الدائر حول حرية الإرادة. أتقن أعمال السيدة هنري سي. كاري من جهة، وأعمال مائتين وخمسين رأسماليًا إنجليزيًا وأستاذًا جامعيًا أمريكيًا من جهة أخرى، حول مسألة الحماية أو التجارة الحرة. جمع، بجهد جهيد، مجموعة واسعة من الأسئلة المطروحة في جمعيات المناظرة وجمعيات طلاب الجامعات ذات الأسماء اليونانية الطويلة. باءت محاولته الأخيرة بالفشل. خطرت للدكتور هيكوك فكرة مفادها أنه من النشاط العفوي للعديد من العباقرة الشباب الأحرار، ستولد العديد من الأفكار الرائعة والموحية. وبعد أن رتب مجموعته، وجد

أنه من بين كل هذه الحجج الفكرية التي لا تُحصى، لم يكن هناك سوى سبعة عشر سؤالاً مطروحاً للنقاش! قرأ عليّ الطبيب مذكرة صغيرة طريفة تتضمن استنتاجاته بشأن هذه الحقيقة غير المتوقعة، والتي ربما تُطبع يوماً ما.

لقد حقق في العديد من الأشياء الأخرى أيضًا؛ من أجل شخص حاد الذكاء طبيب اسكتلندي مشيخي صغير، يعمل على خداع الشيطان لإخراجه من روحه، يستطيع إنجاز صفقة مذهلة في عشرين عامًا. حتى أنه ذهب إلى حد اعتبار الخدع المجردة؛ فإذا كان بإمكانه خداع العدو بالخدعة، فلماذا لا؟ الألم الوحيد في هذه الحالة هو إهانة الخضوع لخصم غير كفؤ - عدو لا يستحق فولاذه. لذا، فقد وزن أسئلة مثل البرهان المدرسي القديم: "هل تُدمر الكيمورا في الفراغ نوايا ثانية؟" وتلك النقطة الخلافية الجميلة التي أسكت بها السير توماس مور طلاب بروج المتحدين: " هل تُدمر الكيمورا في الفراغ نوايا غير قابلة للتجزئة؟"

ألقى نظرة سريعة على موضوع الألغاز؛ ومن بين رقاقات ورشته، وجدت نظرية بارعة في الألغاز. لديه تصنيف ومناقشة لها، من ابتكاره الخاص، بارع ومُرضٍ، يُقسّمها إلى مُحتملة وغير مُحتملة، وتحت كلٍّ منها إلى مُتشابهة ومُتباينة.

على سبيل المثال: لنُميّز بين الفئات الأربع بالحروف الأولى لتلك المصطلحات الأربعة: أ. ر.، أ. د.، ي. ر.، و ي. د.؛ ستجد أن معضلة الإمكانات اللانهائية (إن صح التعبير) يمكن دائمًا اختزالها تحت أحد هذه العناوين الأربعة. باستخدام الرموز، كما هو الحال في مناقشة القياس المنطقي - وبالمناسبة، فإن اللغز ليس سوى تنويعة ساخرة على القياس المنطقي، مغالطة مقصودة للتسلية (اقرأ كتاب واتلي للمنطق ، الجزء الثالث، وتأكد إن كان كذلك) - باستخدام الرموز، أقول، لديك هذه "الأشكال" الأربعة:

أ. (أ. ر.) لماذا أ مثل ب؟ (مجاب): مثل، لماذا هل يُعطى رجلٌ شابةً كلبًا صغيرًا، كشخصٍ يصعد التلَّ بسرعة؟ ج: لأنه يُعطي جروًا صغيرًا.

التنوع الفرعي ؛ يعتمد على انتهاك مبدأ مثل "مبدأ الوسط المُستبعد"، وهو مغالطةٌ مُفرطةٌ؛ مثل قضية "المغني الزنجي!" القديمة: لماذا يُشبه الفيل الطوبة؟ ج. لأنه لا يستطيع أيٌّ منهما تسلق شجرة.
II. (أ. د) لماذا يختلف أ عن ب؟ (قابل للإجابة) يُصاغ عادةً كالتالي: ما الفرق بين أ و ب؟ (الشكل الأول، إذا صيغ بنفس الأسلوب، سيصبح: ما وجه التشابه بين أ و ب؟): مثل: ما الفرق بين إشارات بنك الولايات المتحدة القديم وإشارات عبارات فولتون في الطقس الغائم؟ أ. إحداهما صفارة ضباب، والأخرى حفرية يمينية.
(U. R.) .III لماذا أ مثل ب؟ (غير قابل للإجابة): كما في سؤال تشارلز لامب الشهير، هل هذا أرنبك الخاص، أم شعر مستعار؟
رابعا (د. ع.) لماذا يختلف أ عن ب؟ (غير قابل للإجابة): أي، ما الفرق، إلخ، مثل، ما الفرق بين التشبيه والعائلة المريضة؛ أو بين الهيدروليكا ولعقات الجلد الخام؟
لكن دعوني لا أبالغ في التفاهة. جميع الأسئلة التي نأمل أن تكون صعبة، وضعها الدكتور هيكوك وصنفها. جمع مجموعة من القواعد حول هذا الموضوع، بل طوّر فلسفة متكاملة له، حدّد بموجبها أسئلةً أو فئاتٍ منها، باعتبارها قابلةً للحل. بعضها فكّر فيها بنفسه، والبعض الآخر أُجيب عنه بين الحين والآخر في كتابٍ علميٍّ مهد الطريق لجوهر أحد أهمّ أحجار رحاه.
لذا لم يكن الوقت الذي كان متاحًا له كافيًا حقًا؛ وفي الحقيقة، لم يقرر فعليًا أسئلته الثلاثة، إلا قبل أسبوع واحد فقط من اليوم المخيف الذي كان من المقرر أن يطرحها فيه.
أخيراً، كما يأتي كل يوم حساب لا محالة؛ جلس الدكتور هيكوك، حاملاً مذكرة في يده، في مكتبته المريحة حوالي الساعة الثالثة عصراً في أحد أيام الصيف الجميلة الدافئة، شاحباً كشرشف، قلبه يخفق بشدة كأكبر مطرقة بخار للسيد كروب في إيسن، فمه ولسانه جافان ومحمومان، وفي

يده إبريق ماء بارد يرتشف منه مراراً وتكراراً، مع أن حلقه بدا وكأنه يصده إلى "الحالة الكروية"، أو يشتته إلى بخار، كما يفعل الحديد المتوهج. كانت حوله سجلات جيش هائل من المشككين والمشككين الذين كان يطاردهم في أعمالهم، كما يشق المسافر طريقه عبر الغابة، بحثاً عن أعمق الشكوك وأبعد الاستفسارات.

أحيانًا، بمثل هذا النوع من الجرأة، بدلًا من العقل، الذي يدفع الرجل اليائس إلى محاولة تصديق ما يتوق إلى معرفته بإرادته، كان الدكتور هيكوك يقول لنفسه: "أعلم أنني أمسكتُ به!" ثم يبدو أن قلبه ينهار، يغرق فجأةً وبضعفٍ قاتل، بينما يلوح الجانب الآخر من قضيته المروعة أمامه، فيفكر: "لكن ماذا لو...؟" لم يُكمل سؤاله ؛ لم يستطع. أقصى ما يمكن أن يصل إليه هو نوع من التصلب الجليدي الخارجي للرضوخ للمحتوم.

كان هناك رنين على باب الشارع. أحضر الخادم بطاقةً على صينية فضية.

السيد أبولو ليون

قال الطبيب: "أدخلوا السيد". تكلم بصعوبة؛ إذ كان الجهد المبذول للسيطرة على انفعاله العصبي هائلاً، حتى إنه لم يكن يملك ما يكفي من ضبط النفس والطاقة العضلية للتعبير عن نفسه.

عاد الخادم، وأدخل إلى المكتبة رجلاً وسيمًا، شابًا، في منتصف العمر وحجمه متوسط، شاحب اللون، ذو عيون سوداء كبيرة حزينة، ويرتدي ملابس أنيقة للغاية وهادئة.

نهض الطبيب، ورحب بزائره بقدر من الثبات واللباقة، مما جعله يحظى بأكبر قدر من التقدير.

"كيف حالك يا سيدي؟" قال: "أنا سعيد" - لكنه أدرك أنه ليس كذلك، فتوقف فجأة.

«صحيح يا سيدي العزيز»، أجاب الضيف بصوتٍ موسيقيٍّ لكنّه حزينٌ بشكلٍ ملحوظ، أو بالأحرى صبور. «صحيحٌ تمامًا؛ ما أجوف هذه الصيغ! أكره جميع الأشكال والطقوس! لكنني سعيدٌ برؤيتك يا دكتور. الآن، هذه هي الحقيقة.»

لا شك! «لا شك فيه!» كما يقول الأيرلنديون. كذلك تسعد القطة برؤية فأر في مخلبها. خطرت في بال الطبيب أفكارٌ مشابهة؛ فابتسم بأقصى ما يستطيع من مودة، وطلب من الزائر الجلوس.

"شكرًا!" أجاب، وجلس على الكرسي الذي نقله الطبيب إلى الطاولة. وضع قبعة وقفازات على الطاولة. ساد صمت قصير، كما يحدث عادةً عندما يجلس صديقان براحة للحديث عن أمور عامة. قلب الزائر كتابًا أو كتابين موضوعين على الطاولة.

«الشيطان»، قرأ من إحداها؛ «أصله، عظمته، وانحطاطه. بقلم القس أ. ريفيل، د.

"آه!" علق بهدوء. "ألاحظ أنه فرنسي. لو كان إنجليزيًا، لظننتُ أنه كتب الكتاب من أجل قافية العنوان. هل تعلم يا دكتور، أظن أن عدم تصديقه سيستبدل شرطة واحدة بالنقطتين في درجة السيد الموقر! لا أعرف حالة نجاح أعظم في بعض مجالات العمل من أن يُنكر وجود المرء تمامًا."

أجبر الطبيب نفسه على الرد: "لا أعرف كيف حصلت على الكتاب هنا. ومع ذلك، فهو يقدم حججًا قوية. أعترف أنني أود التأكد من صحة كلامه. هل تسمح لنفسك بالاقتناع؟" فابتسم المسكين ابتسامة عريضة: لا يمكن اعتبارها ابتسامة.

حسنًا، سأبحث في الأمر. لقد فكرتُ في الأمر، ليس لأنني متأكد من قدرتي على الاختيار. وكما لاحظ الراحل ج. ميلتون بدقة، لا يود المرء أن يفقد كيانه الفكري، "حتى لو كان مليئًا بالألم". وابتسم ابتسامةً حزينة، ثم استأنف حديثه: "وكتاب مقدس أيضًا. طبعة جيدة جدًا. أتذكر أنني رأيتُ نصًا يفيد بأن شخصًا محترفًا حرص على البحث عن أخطاء الطباعة في إحدى طبعات جمعية الكتاب المقدس - هذه الطبعة تحديدًا، أعتقد؛ والشيء الوحيد الذي اكتشفه كان خطًا خاطئًا واحدًا. عمل دقيق للغاية - دقيق للغاية!

كان يقلب الأوراق بلا مبالاة وهو يتحدث، وأعاد الصوت إلى مكانه بسهولة. "يا لها من خرافة قديمة غريبة،" لاحظ، "أن بعض الشخصيات يشعرون

بعدم الارتياح من هذا العمل!" وألقى على الطبيب نظرة، وكأنه يسأل، بأرقّ طريقة في العالم، "هل وضعت هذا هناك لتخيفني؟"
أعتقد أن وجه الطبيب احمرّ قليلاً. لم يكن يتوقع ذلك حقًا، كما تعلمون - مع ذلك، في حال وجود أي تأثير وقائي -؟ لم يحدث أي ضرر على أي حال؛ وهذا تحديدًا ما لاحظه الضيف.
قال بصوته الهادئ الموسيقي: "لا بأس يا عزيزي!". ولا خير فيهما أيضًا، أظن أنهما أضافا إلى نفسيهما.
هناك ملاحظة متكررة، وهي أن من يعانون من بؤس أو عذاب لا يُقاس، يبدو أنهم يتمتعون برؤية حادة خارقة للطبيعة للتفاصيل الدقيقة، مثل بقع في السجادة، وأغصان في ورق الحائط، وخيوط على كم، وما شابه. ربما شعر الطبيب بهذا التأثير. لقد أبطأ هو الآخر قليلاً في التعامل مع الأزمة؛ وكذلك فعل زائره - لدوافع مختلفة بلا شك؛ وبينما كان جالسًا هناك، وقعت عيناه على البطاقة التي أُحضرت إليه للتو.
"أرجو المعذرة"، قال؛ "ولكن هل يجوز لي أن أسأل سؤالاً بخصوص بطاقتك؟"
"بالتأكيد يا دكتور: ما هو؟"
"لماذا - إنه من الحرية دائمًا أن نطرح أسئلة حول اسم رجل نبيل، ونحن الاسكتلنديون نهتم بشكل خاص[192] "حساس بشأن هذه النقطة؛ ولكنني كنت مهتمًا دائمًا بالموضوع العام لعلم الأمراض الرعوية."
أما الآخر، فقد جدد ترحيبه بسؤال الطبيب بابتسامة ودية وإشارة من يده باستخفاف.
حسنًا، السؤال هو: كيف توصلت إلى هذا الشكل من الاسم - السيد أبولو ليون؟
أوه! مجرد لمسة مني. إنها بطاقة متغيرة جديدة، كما أعتقد أنهم يسمونها. يوجد بها ترتيب مؤقت للحبر. خطر لي أنها قد تُساء استخدامها في حال استخدام أسماء مستعارة ؛ لكن ربما هذا ليس من شأني. يمكنك بسهولة

إزالة الاسم الأول، ويظهر اسم آخر أسفله. أنا دائمًا مهتم بالاختراعات. انظر.

وبينما تبادر إلى ذهن الدكتور هيكوك نص "لكنهم بحثوا عن اختراعات كثيرة"، أخرج الآخر منديلًا أبيض، وفرك البطاقة بإهمال، ثم وضعها أمام الطبيب. ربما كان التوتر على أعصاب الطبيب المسكين يُزعزعه في ذلك الوقت: ربما لم يكن قد رأى بشكل صحيح؛ لكنه بدا وكأنه لم يرَ سوى اسم واحد، كما لو كان مُركّبًا من الاسمين السابقين.

أبوليون

وبدا وكأنه بالحبر الأحمر بدلًا من الأسود؛ وبدت الخطوط وكأنها تزحف وتنبض وتتوهج، كما لو كان اللون الأحمر أحمر النار بدلًا من القرمزي. لكن الأحمر لونٌ مُرهِقٌ جدًا للعينين. ومع ذلك،[193] اعتقد الطبيب، على الرغم من دهشته، أنه من الأفضل عدم إثارة أي أسئلة أخرى، وقال فقط، ربما بصعوبة: "أنا فضولي للغاية، أنا متأكد!"

"حسنًا، يا دكتور،" قال السيد ليون، أو أيًا كان اسمه، "لا أريد أن أستعجلك، ولكن أعتقد أنه من الأفضل أن ننهي عملنا الصغير هنا؟"

أجل، أظن أنك لن تفكر في أي مسألة تتعلق بالتنازلات أو البدائل؟

"أخشى أن هذا الأمر غير وارد على الإطلاق،" كان الرد، بلهجة لطيفة للغاية، ولكن بوضوح تام.

ساد الصمت للحظة. بدا للدكتور هيكوك وكأن دقات قلبه تملأ الغرفة، فقد كانت قوية للغاية، وبدا الدم وكأنه يتدفق بقوة هائلة عبر الشرايين السباتية حتى أذنيه. فكر في نفسه: "هل سيُكتشف أنني قد فارقت الحياة بتدفق دموي إلى رأسي؟" لكنه - وهذا ما يحدث غالبًا بجهد دؤوب - استجمع قواه، وبجهد جبار سيطر على أعصابه المضطربة. ثم رفع مذكرته، وألقى نظرة خاطفة على الوجه الحزين الهادئ المقابل له، ثم تحدث.

كما تعلمون، يشرحون بين الحين والآخر تصويتًا، كما يسمونه، في الكونغرس. أعلم أن هذا لا يُحدث فرقًا؛ لكن يبدو لي أنني سأُوضح لكم مقصدي بشكل أوضح، لو قلتُ كلمة أو كلمتين فقط، عن أسباب اختياري.

انحنى الزائر بابتسامته المعتادة المليئة بالموافقة اللطيفة.
"أنا أدرك،" قال الدكتور هيكوك، "أن اختياري قد يبدو عاديًا تمامًا بالنسبة لمعظم الناس.[194] ومع ذلك، لا أحد يعلم أكثر منك، يا سيدي العزيز، أن أقدم الأسئلة هي الأحدث. فالحيوية التي تنبض بها، والتي تُثيرها بمجرد أن يبدأ التفكير، لا حدود لها، وتحافظ عليها ما دام الفكر قائمًا. في الواقع، أقول لك بصراحة، إنني لا أعتمد على الحداثة، بل على القدم.
انحنى مستمع الطبيب باهتمامٍ مُوافق. ولاحظ: "منطقٌ سليمٌ تمامًا". وتابع الطبيب:
أستطيع القول - وفي هذه الحالة لن أُتهم بالغرور - إنني قد لخصتُ تقريبًا جميع المسائل العالقة. إنها تُصنف تمامًا كما تُصنف الأسئلة التي نعتبرها عادةً محلولة: تحت المواضيع الثلاثة التي تتعلق بها - الله، والخلق العاقل، والخلق غير العاقل. والآن، اخترتُ أسئلتي وفقًا لذلك - سؤال واحد لكل قسم من هذه الأقسام. سيتضح قريبًا ما إذا كنتُ قد نجحتُ في استيفاء الشروط اللازمة. لكن كما ترون، لم أنحني لأيّ ذريعة أو توسّل. لقد سعيتُ لحماية نفسي بالاستخدام الشريف للعقل الذكوري.
"ملاحظاتك تثير اهتمامي بشدة"، لاحظ الحضور. "ولا سيما أنها تتوافق بدقة مع أفكاري المعتادة - على الأقل، على حد علمي مما قلته. في الواقع، لنفترض أنك طلبت مني مساعدتك في حل مسائل مستعصية. كنتُ ملزمًا، على ما أظن، بالامتثال قدر استطاعتي؛ ولو فعلتُ ذلك، لكانت تصريحاتك هذه هي..." كان ينبغي أن أقدم لكَ المقدمة التي قدمتها - معذرةً -. أظن أنني أستطيع تقريبًا طرح الأسئلة. حسنًا؟
كان كل هذا لطيفًا ومجاملًا للغاية؛ لكنه لم يُشجّع الطبيب إطلاقًا. حتى أنه ظنّ أنه لمس سخريةً، كما لو أن مُحاوره كان يقول: "ابتعد أيها الطائر العجوز! كان هذا طُعمي الذي كنت تتغذى عليه: أنت في مأمنٍ كافٍ؛ إنها شبكتي التي تُمسك بك."
" السؤال الأول ،" قال الدكتور هيكوك بثبات: "التوفيق بين المعرفة المسبقة والقدر المسبق لله مع الإرادة الحرة للإنسان؟"

"أعتقد ذلك، بالطبع،" علق الآخر. ثم نظر مباشرة في عيني الطبيب الرماديتين الصغيرتين الحادتين بعينيه السوداوين العميقتين الكئيبتين، ورفع إصبعه السبابة النحيل. "بكل سرور. التصالح هو ضميرك يا دكتور! افعل ما تعلم أنه صواب، وستجد أنه لا يوجد ما يستدعي التصالح - أنه لا جدال بينك وبين خالقك!"

نُطقت الكلمات بجديةٍ بالغةٍ واقتناعٍ مُريع. كان لدى الطبيب ضمير، مع أنه وجد نفسه مُجبرًا عمليًا، من أجل النجاح، على استخدام قدرٍ كبيرٍ من الإكراه معه - بل وحبسه، كما هو الحال، في مصحةٍ خاصةٍ للمجانين، بتهمةٍ لا أساس لها من الصحة بالجنون. لكن هذا الشيء العنيد لم يمت، ولم يفقد صوابه؛ والآن فجأةً، ومن آخر مكانٍ كان متوقعًا، جاء استدعاءٌ لم تكن شدته مُبررةً.[196] كان بإمكان البراغي أن تصمد. خرج ضمير الطبيب من سجنه، وتوجه مباشرةً إلى ساحة المعركة، وقال:

"أترك السؤال الأول."

وأطاع.

«أعترف بذلك»، قال. «ولكن كيف لي أن أتوقع منك حقيقةً جوهريةً عظيمةً، دينيًا ونفسيًا، هكذا ؟ »

«آه! سيدي العزيز»، كان الرد، «لقد أخطأتَ في هذا الخط الفكري، تمامًا كما أخطأ كثيرون غيرك. الحقيقة واحدة، لله، وللإنسان، وللشيطان».

السؤال الثاني ، قال الدكتور هيكوك: "التوفيق بين نظرية التطور، وعلاقة الانتقاء الطبيعي والعلاقة الجنسية، وخلود الروح المسؤول".

"بالتأكيد،" وافق الآخر، وكأنه يقول، "كما توقعت تمامًا."

لا علاقة منطقية لأي نظرية في الخلق بأي مبدأ من مبادئ الخلود. ما دافع الخلق؟ - لكان هذا سؤالاً! لو سألتني ذلك ! لكن سؤال "من أين جاء البشر؟" لا علاقة له بسؤال "هل عليهم واجبات الآن وقد وجدوا هنا؟". الأمران متلازمان، لأنهما لا يختلفان. لا يمكن الجزم بأي تناقض بين مقياس ياردة ووزن ستة وخمسين رطلاً.

أومأ الطبيب برأسه، ثم جلس، ثم تناول كوبًا من الماء، وضغط بيده على قلبه. "حسنًا، إذن"، قال لنفسه، "مرة أخرى! لو اضطررتُ للوقوف هذه الخمس عشرة دقيقة، فسأكون في عالم آخر!"

انفتح باب الغرفة الداخلية، ودخلت السيدة.[197] دخلت هيكوك وهي تغني، تحمل على سبابتها الوردية الجميلة قطعة قماش رقيقة تشبه باقة الزهور. كانت تنظر إليها ببهجة بالغة.

"انظري يا عزيزتي!" قالت: "كم هو جميل تمامًا!"

انطلق الرجلان، ونهضت السيدة أيضًا. لم تكن على علم بالزيارة، ولم تكن قد لاحظت، حتى تلك اللحظة، أن زوجها لم يكن وحيدًا.

بالطبع، لم يُعطِها الدكتور هيكوك مفتاح خزانته السرية قط؛ لأنه كان رجلاً داهية. كان يُحبها أيضًا؛ وظن أنه عوضها عن غيابها خلال المحنة. لقد أنجزت تسوقها بسرعة غير مسبوقة.

من الصعب الجزم لماذا انزعج الزائر. ربما فاجأه صوتها. كانت موسيقاها المبهجة، كنسخة مزخرفة من نغماته العذبة المؤثرة، كافية لجعله يعترف بها كأخت - من السماء. انزعج على أي حال.

قال الطبيب وهو في حيرة: "سيد ليون، زوجتي". انحنى السيد ليون، وكذلك السيدة.

«أرجو المعذرة يا سادة، أنا متأكدة»، قالت. «لم أكن أعلم أنكم مشغولون يا عزيزي. هناك عاصفة رعدية قادمة. عدتُ إلى المنزل في الوقت المناسب».

«آه! - مجرد رهان صغير، حول بعض الألغاز»، قال الطبيب. ربما يُعذر على كذبه. لم يُرد إزعاجها دون داعٍ.

قالت بلهفة: "أخبرني! أنت تعلم كم أستمتع بها!"

"حسنًا،" قال الطبيب، "ليس بالضبط النوع العادي. كان عليّ أن أخلط صديقي هنا بواحد من ثلاثة أسئلة؛ وقد تغلب عليّ في اثنتين منها بالفعل. لديّ فرصة واحدة فقط.

"واحد فقط؟" سألت مبتسمةً. "يا له من رجلٍ ذكيّ يا صديقتي! ظننتُ أن لا أحدَ سيُحيّركِ يا عزيزتي. انتظري، دعيني أَسألكِ السؤالَ الآخر."
بدأ كلا الرجلين من جديد: لقد كانت مفاجأة كبيرة.
"ولكن هل أنت رجل متزوج يا سيد ليون؟" سألته بخجل.
«لا يا سيدتي»، أجابها بانحناءة رقيقة للغاية - «لديّ أم، لكن ليس لديّ زوجة. اسمحي لي أن أقول، لو كنتُ أستطيع تصديق وجود نسخة منك في الوجود، لكنتُ فعلتُ ذلك في أقرب وقت ممكن».
يا له من خطابٍ شجاع! قالت السيدة. شكرًا جزيلًا لك يا سيدي، وانحنت له انحناءةً لطيفة. "إذن أنا متأكدةٌ تمامًا من سؤالي يا سيدي. هل أجيب يا عزيزي؟"
قرر الطبيب بسرعة. "لقد انتهى أمري على أي حال"، فكر. "بدأت أرى أن الشرير العجوز هو من دس هذه الأسئلة في رأسي بنفسه. لقد ألمح إلى ذلك. لا أعرف، لكنني أفضل أن تسألني. أعتقد أنه من الأفضل أن تقتلني، على أن أمدّ له سكين التقطيع بنفسي."
"من كل قلبي يا عزيزتي"، قال الطبيب، "إذا وافق السيد ليون".
بدا السيد ليون منزعجًا بعض الشيء؛ لكن أسلوبه كان مثاليًا، حيث أجاب بأنه يأسف لأنه بدا وكأنه يعارض، لكنه كان يخشى أن ظروف رهانهم الصغير لن تسمح بذلك.
"أرجو المعذرة، أنا متأكد من ذلك، لكوني غير مهذب إلى هذا الحد،"قالت الفتاة الصغيرة الجميلة المفعمة بالحيوية وهي تهمس ببضع كلمات في أذن زوجها.
وهذا ما قالته
ما لي فهو لك يا عزيزتي. خذيه. اسأليه - بز، بز، بز.
أومأ الطبيب برأسه. وقفت السيدة هيكوك بجانبه وابتسمت، وهي لا تزال تمسك بإصبعها الوردي الجميل الشيءَ الهشّ اللامع الذي ذُكر آنفًا؛ وأدارته حتى استدار تمامًا. قالت: "أليس هذا عشقًا للقبعة؟"
"نعم،" قال الطبيب بصوت عالٍ. "أوافق على السؤال."

السؤال الثالث: ما هو وجه هذا ؟
وأشار إلى غطاء المحرك. لا بد أنه غطاء محرك، لأن السيدة هيكوك كانت تُسميه كذلك. ما كان ينبغي لي أن أعرفه من مجموعة الأشياء في منظار متعدد الألوان، مُكدّسة معًا.
وقفت السيدة أمامه، ودارت القماشة الرائعة مرارًا وتكرارًا، بنظرة تحدٍّ ماكرة لا إرادية بغاية اللطف. تجمد قلب الطبيب.
"ضعها، من فضلك"، قال السيد ليون، بالطريقة الأكثر براءة في العالم.
"أوه، لا!" ضحكت. "أعلم أنني مجرد امرأة، لكنني لستُ بهذه السذاجة! لكن دعني أخبرك: أيها الرجال، ارتدوها، إن كنتم تعتقدون أن ذلك سيساعدكم!" ومدّت له اللغز.
واثقًا من قدرته على التمييز، أمسك السيد ليون بمزيج الجنيات من البريق والخيوط والريش والزهور، ولمسه بهذا النوع من الخوف الخجول الذي يستخدمه العزاب مع[200] يا صغيري. وقف أمام الكوب فوق رف الموقد. وضعه أولًا على رأسه، بحيث يكون أحد طرفيه أمامه، ثم الآخر. ثم وضعه بطول رأسه، وجرّب ربط أحد الخيطين تحت أذنيه. ثم وضعه، والطرف الآخر لأعلى؛ بحيث يسبح على رأسه كقارب، بمقدمة عالية ومؤخرتها. فعل كل هذا مرارًا وتكرارًا، بعناية وحرص واضحين.
ثم عاد ببطء، وعاد إلى مقعده. كان الظلام قد بدأ يخيّم، مع أنهم لم يلاحظوا ذلك؛ إذ كان هدير الرعد قد بدأ يتسارع، وكان من الممكن سماع هبوب رياحه القوية، المحمّلة برائحة المطر، وتناثرت بضع قطرات كبيرة على النافذة.
ضحكت زوجة الطبيب الجميلة بمرح وهي تشاهد الانزعاج المتزايد لدى الزائر، الذي أعاد القبعة، بلطف غير منقوص، ولكن بتقييد واضح في السلوك.
نظر إلى أسفل، وقرع على الطاولة، ثم رفع بصره، ففزع الطبيب وزوجته من الغضب الشديد المفاجئ في الوجه الوسيم الداكن. ثم نهض واتجه إلى النافذة. نظر للحظة، ثم قال:

صدقوني، ستكون عاصفة قوية جدًا! السحب ثقيلة جدًا . لو كنتُ مُصيبًا، لَحدث شيء ما. أشعر بالكهرباء في الهواء.

بينما كان لا يزال يتحدث، دوّت أول صاعقة رعدية فوق رأسه. كانت واحدة من تلك الانفجارات القريبة، المفاجئة، والرهيبة للغاية من سحب ثقيلة جدًا. قريبٌ جدًا، حيث يندفع البرق والرعد معًا من الهواء، مُحيطين بك، كما لو كنتَ فيهما. كان انفجارًا صوتيًا لا يُطاق، وضوءًا أبيضًا كثيفًا ينبعث من برق قريب جدًا. تشبثت السيدة المسكينة بزوجها، وهي في حالةٍ من الرعب الشديد. أما هو، المسكين، فربما كان خائفًا أكثر، منهكًا مما عاناه، ففقد وعيه تمامًا. لا تلوموه: ربما كان كلب بولدوغ من حديد الزهر ليفقد وعيه.

ظنت السيدة هيكوك أن زوجها قد مات بسبب الصاعقة، فصرخت صرخة مروعة. ثم لمسته، ولما رأت ما حدث، سكبته ماءً باردًا من الإبريق على الطاولة. وسرعان ما استعاد وعيه.

"أين هو؟" قال.

لا أعلم يا عزيزتي. ظننتُكِ ميتة. لا بد أنه رحل. هل أصاب المنزل؟

"رحلت؟ الحمد لله! شكرًا لك يا عزيزتي!" صرخ الطبيب.

لأنها لم تكن تعرف أي سبب كافٍ لكل هذه المشاعر، أجابته:

يا حبيبتي، إياكِ أن تقولي إن النساء لسن عمليات. كان هذا سؤالًا عمليًا، كما ترين. لكن ألم يخطر ببالكِ ذلك؟ يا لها من رائحة غريبة! أوزون: أليس هذا ما كنتِ تخبرينني عنه؟ يا للعجب، أن يكون لهذا البرق رائحة!

"أعتقد أنه لا يوجد شك في ذلك"، لاحظ الدكتور هيكوك.

لقد رحل السيد أبولو ليون بالفعل، لكن لا أحد يستطيع أن يقول كيف أو متى رحل.

"عزيزتي،" قال الدكتور هيكوك، "أنا معجبٌ جدًا بقبعتكِ هذه! لا عجب أنها حيرته.[202] أحيِّر الشيطان نفسه. أعتقد جازمًا أنني سأسميه "ألغاز الشيطان" خاصتك.

ولكنه لم يخبرها أبدًا ما هو اللغز.

14- جولة الشيطان

حكاية الجولف الفلمنكي

بقلم تشارلز ديولين

[القصة التالية، التي ترجمتها الآنسة إيزابيل بروس من كتاب Le Grand Choleur للسيد تشارلز ديولين (Contes du Roi Gambrinus)، تقدم قدرًا كبيرًا من المعلومات حول الجولف الفرنسي والفلمندي. وكما سيرى أي قارئ، تمثل هذه اللعبة القديمة مرحلة تطور بين الجولف والهوكي. الهدف هو ضرب الكرة بأقل عدد ممكن من الضربات إلى نقطة معينة؛ ولكن بعد كل ثلاث ضربات، يُسمح للخصم بـ décholer ، أو القيام بضربة واحدة للخلف، أو الدخول في خطر. وهنا يأتي عنصر الهوكي. تخلص من هذا العنصر، ودع كل رجل يضرب كرته الخاصة، وبدلاً من الضرب إلى نقطة - لنقل بوابة المقبرة - دع الرجال "يضعون" في الحفر، وتصبح اللعبة الفلمنكية هي الجولف. إنها ذات تاريخ عريق. يعطي دوكانج، في معجمه للغة اللاتينية المنخفضة، Choulla ، الفرنسية choule = "Globulus ligneus qui clava propellitur" - كرة خشبية تضرب بهراوة. كان رأس المضرب من الحديد (راجع كروساري). ويتجلى ذلك في صورة مصغرة في كتاب قداس يعود تاريخه إلى عام 1504، تُظهر فلاحين يلعبون لعبة "تشول" بمضارب تشبه إلى حد كبير "نيبليكس". يستشهد دوكانج بمراجع مختلفة من المخطوطات تعود إلى عامي 1353 و1357 وتواريخ أخرى أقدم بقرن من أقدم إشاراتنا الاسكتلندية إلى لعبة الجولف. تُلعب اللعبة حاليًا في بلجيكا باستخدام مضرب حديدي غريب الشكل وكرة من خشب الزان. يُمثل السيد زولا (جيرمينال ، ص 310) عمال مناجمه وهم يلعبون لعبة "تشول" ، أو "تشول" ، ويقول إنهم يضربون كرات لمسافة تزيد عن 500 ياردة. التجارب التي أُجريت في ويمبلدون مع بلجيكي [204]يشير النادي الذي أرسله السيد تشارلز ميشيل إلى أن السيد زولا قد بالغ في تقدير المسافة. لكن السيد زولا والسيد ديولين يتفقان على جعل اللاعبين

يركضون خلف الكرة. ويضيف السيد هنري جيدوز أن لعبة مماثلة تسمى سول تُلعب في مقاطعات مختلفة من فرنسا. ويشير إلى لايسنيل دي لا سال. قد يكون اسم تشولي مرتبطًا بكلمة كولبي الألمانية ، وقد يكون الجولف هو الشكل الذي تتخذه هذه الكلمة في اللغة السلتية. كل هذا يجعل الجولف قديمًا جدًا؛ لكن السؤال الذي يطرح نفسه، هل "الحفر" التي يلعب بها لاعبو الجولف من أصل اسكتلندي أم هولندي؟ هناك العديد من الصور الفلمنكية القديمة للجولف؛ هل يُظهر أي منها لاعبين في وضع "الخروج"؟ ويقال إن هناك مثل هذه الصورة في نوشاتيل.

أ. لانغ .

أنا

كان يا ما كان، في قديم الزمان، يعيش في قرية كوك، قرب كوندي سور ليسكو، صانع عجلات يُدعى روجر. كان رجلاً طيبًا، لا يكل في رياضته وكدّه، بارعًا في رفع الكرة بضربة من مضربه كما في تركيب عجلة العربة. يعلم الجميع أن لعبة الغولف تتمثل في توجيه كرة من خشب الكرز نحو نقطة محددة بمضرب ذي رأس يشبه حذاءً حديديًا صغيرًا بدون كعب.

من ناحيتي، لا أعرف لعبة أكثر تسلية؛ وعندما تكاد البلاد تنتهي من الحصاد، فإن الرجال والنساء والأطفال، كل شخص، يقود كرته كما يحلو له، وليس هناك ما هو أكثر بهجة من رؤيتهم وهم يسيرون في صفوف يوم الأحد مثل سرب من الزرزور عبر حقول البطاطس والأراضي المحروثة.

الثاني

حسنًا، في أحد أيام الثلاثاء، كان يوم الثلاثاء البدين، وضع صانع عجلات كوك طائرته جانبًا، وكان يرتدي قميصه ليذهب ويشرب علبة البيرة الخاصة به في كوندي، عندما دخل اثنان من الغرباء، وهما يحملان الهراوة في أيديهما.

"هل يمكنك أن تضع عمودًا جديدًا لناديتي، يا سيدي؟" قال أحدهم.

ما الذي تسألونني عنه يا أصدقاء؟ يوم كهذا! لن أدفع أدنى ثمنٍ لقطعة ذهبية. ثم، هل يلعب أحدٌ الغولف في ثلاثاء المرافع؟ من الأفضل أن تذهبوا لمشاهدة عروض المومرز في شارع كوندي الرئيسي.
أجاب الغريب: "لا نهتم بتدحرج المومرز. لقد تنافسنا في الغولف ونريد أن نلعبها. هيا، لن ترفض مساعدتنا، أنت الذي يُقال إنه من أفضل لاعبي البلاد؟"
"إذا كانت مباراة، فهذا أمر مختلف"، قال روجر.
رفع أكمامه، وعلق مئزره، وفي غمضة عين قام بتعديل العمود.
"كم أنا مدين لك؟" سأل المجهول وهو يسحب محفظته.
"لا شيء على الإطلاق، يا إيمان؛ الأمر لا يستحق ذلك."
أصر الغريب، ولكن دون جدوى.
الثالث
قال لصانع العجلات: "أنت صادقٌ جدًا، يا صديقي، لدرجة أنني لا أستطيع أن أكون مدينًا لك. سأمنحك ثلاث أمنيات.[206]"
"لا تنسى أن تتمنى الأفضل " ، أضاف رفيقه.
عند سماع هذه الكلمات ابتسم صانع العجلات بدهشة.
"ألستما من بين المتسكعين في كابيليت؟" سأل وهو يغمز بعينه.
كان المتسكعون في تقاطع طرق كابيليت يعتبرون من أكثر المهرجين جنونًا في كوندي.
"من تظننا؟" أجاب المجهول بنبرة صارمة، ولمس بهراوته محورًا مصنوعًا من الحديد، والذي تحول على الفور إلى محور من الفضة الخالصة.
"فمن أنت إذن،" صرخ روجر، "حتى تكون كلمتك بمثابة نقود سائلة؟"
"أنا القديس بطرس، ورفيقي هو القديس أنطونيوس، شفيع لاعبي الجولف."
قال صانع عجلات كوك: "تفضلوا بالدخول أيها السادة"، وأدخل القديسين إلى الصالة الخلفية. قدّم لهما كراسي، وذهب ليحضر إبريقًا من البيرة من القبو. قرع كلٌّ منهما كأسه، وبعد أن أشعل كلٌّ منهما غليونه:

قال روجر: "بما أنكم من أهل الخير، أيها القديسون، فقد منحتوني ثلاث أمنيات، فاعلموا أنني لطالما رغبت في ثلاث. أتمنى، أولًا، ألا يتمكن من يجلس على جذع الدردار عند بابي من النهوض دون إذني. أحب الرفقة، ويُملّني البقاء وحيدًا دائمًا."

هز القديس بطرس رأسه ودفع القديس أنطونيوس عميله.[207]

الرابع

عندما ألعب الورق مساء الأحد في نادي "فايتنج كوك"، تابع صانع العجلات، "ما إن تقترب الساعة من التاسعة حتى يأتي حارس المرمى ليطردنا. أتمنى ألا يُطرد من يضع قدميه على مئزري الجلدي من المكان الذي فرشته فيه."

هز القديس بطرس رأسه، وكرر القديس أنطونيوس بصوت مهيب:

"لا تنسى ما هو الأفضل ."

أجاب صانع عجلات كوك بنبل: "الأفضل أن أكون أول لاعب غولف في العالم. كلما رأيتُ أستاذي يلعب الغولف، ينتفض قلبي غضبًا. لذا أريد مضربًا يحمل الكرة عاليًا كبرج كوندي، ويضمن لي الفوز بالمباراة بلا منازع."

"فليكن"، قال القديس بطرس.

قال القديس أنطونيوس: "كان من الأفضل لك أن تطلب خلاصك الأبدي".

أجاب الآخر: "باه!". "لديّ متسع من الوقت للتفكير في هذا؛ فأنا لم أستعد للرحلة الطويلة بعد."

خرج القديسان وتبعهما روجر، وكان فضوليًا أن يكون حاضرًا في مثل هذه اللعبة النادرة؛ ولكن فجأة، بالقرب من كنيسة القديس أنطونيوس، اختفيا.

ثم ذهب صانع العجلات لرؤية الممثلين وهم يتدحرجون في الشارع الرئيسي في كوندي.

عندما عاد، قرابة منتصف الليل، وجد عند زاوية بابه الهراوة المطلوبة. ولدهشته الكبيرة، لم يكن سوى رأس حديدي صغير معيب متصل بعصا. بائسًا مهترئًا. ومع ذلك، أخذ هدية القديس بطرس ووضعها بعيدًا بعناية.

الخامس

في صباح اليوم التالي، تفرق آل كونديين في أرجاء البلاد، ليلعبوا الغولف، ويتناولوا الرنجة الحمراء، ويشربوا الجعة، لينفضوا عنهم دخان الخمر، ويستعيدوا نشاطهم بعد إرهاق الكرنفال. حضر صانع عجلات كوك أيضًا، ومعه مضربه البائس، وضرب ضربات رائعة، حتى أن جميع اللاعبين تركوا ألعابهم لمشاهدته يلعب. في الأحد التالي، أثبت براعته؛ فشيئًا فشيئًا انتشرت شهرته في جميع أنحاء البلاد. من على بُعد عشرة فراسخ، سارع أمهر اللاعبين للقدوم والهزيمة، وعندها لُقّب بلاعب الغولف العظيم.

قضى يوم الأحد بأكمله يلعب الغولف، وفي المساء استراح بلعبة زواج في نادي "فايتنج كوك". فرش مئزره تحت أقدام اللاعبين، ولم يكن الشيطان نفسه ليطردهم من الحانة، فما بالك بشرطي الريف. صباح الاثنين، أوقف الحجاج الذين كانوا ذاهبين للعبادة في كنيسة نوتردام دي بون سيكور؛ وحثهم على الاستراحة ، ولم يسمح لهم بالذهاب قبل أن يُقرّ لهم بالشفاء.

باختصار، لقد عاش حياة ممتعة للغاية يمكن لأي شخص فليمنجي طيب أن يتخيلها، ولم يندم إلا على شيء واحد - وهو أنه لم يتمنى أن تدوم هذه الحياة إلى الأبد.

السادس

في أحد الأيام، وُجد أقوى لاعبي مونس، المدعو باترنوستري، ميتًا على حافة مخبأ. كان رأسه مكسورًا، وبالقرب منه كان نَيبليك أحمر اللون من الدم.

لم يتمكنوا من تحديد من فعل هذا، ولأن باترنوستري كان يردد دائمًا أنه لا يخشى في لعبة الغولف إنسانًا ولا شيطانًا، فقد خطر ببالهم أنه تحدى مينهير فان بيلزيبوث، وأنه عاقبه على ذلك بضربة على رأسه. مينهير فان بيلزيبوث، كما يعلم الجميع، أعظم مقامر على الأرض وتحتها، لكن اللعبة التي يتأثر بها بشكل خاص هي الغولف. عندما يلعب في فلاندرز، يقابله المرء دائمًا، ممسكًا بالعصا، كلاعب فليمنغ حقيقي.

كان صانع عجلات كوك مولعًا جدًا بباتيرنستر، الذي كان، بعده، أفضل لاعب غولف في البلاد. حضر جنازته برفقة بعض لاعبي الغولف من قرى كوك، ولا سيغون، ولا كو دو لاياتشي.

وعند عودتهم من المقبرة ذهبوا إلى الحانة ليشربوا، كما يقولون، تخليداً لذكرى الموتى، وهناك انغمسوا في الحديث عن لعبة الجولف النبيلة.

وعندما افترقا عند غروب المساء:

"رحلة سعيدة لكم"، قال اللاعبون البلجيكيون، "وأتمنى أن يحفظكم القديس أنطونيوس، شفيع لاعبي الجولف، من لقاء الشيطان في الطريق!"

"ما شأني بالشيطان؟" أجاب روجر. "لو تحداني لهزمته سريعًا!"

هرول الرفاق من حانة إلى أخرى دون أي مغامرة؛ لكن جرس الذئب دق منذ فترة طويلة معلناً انسحابهم إلى برج كوندي عندما عاد كل واحد منهم إلى عرينه.

السابع

بينما كان يُدخل المفتاح في القفل، ظنّ صانع العجلات أنه سمع ضحكةً ساخرة. التفت، فرأى في الظلام رجلاً طوله ستة أقدام، انفجر ضاحكًا مرة أخرى.

"على ماذا تضحك؟" قال بغضب.

"بماذا؟ حسنًا، بالثقة التي تفاخرت بها قبل قليل بأنك ستجرؤ على مواجهة الشيطان."

"لماذا لا، إذا كان قد تحداني؟"

«حسنًا يا سيدي، أحضر هراواتك. أتحداك!» قال مينهير فان بيلزيبوث، إذ كان هو نفسه. تعرّف عليه روجر من رائحة الكبريت التي تفوح من جلالته دائمًا.

"ما هو الرهان؟" سأل بحزم.

"روحك؟"

"ضد ماذا؟"

"كل ما تريد."

تأمل صانع العجلات.
"ماذا يوجد في حقيبتك؟"
"غنائمي لهذا الأسبوع."
"هل روح باترنوستري بينهم؟"
"بالتأكيد! وأولئك الخمسة لاعبي الغولف الآخرين؛ ماتوا، مثله، دون اعتراف."
"ألعب لك روحي ضد روح باترنوستري."
"منتهي!
الثامن
توجه الخصمان إلى الحقل المجاور واختارا باب مقبرة كوندي كهدف لهما.[22] ضرب بيلزبوث الكرة على كومة متجمدة، وبعد ذلك قال، وفقًا للعرف:
"من هنا، وأنت مستلقٍ، في كم دورة من ثلاث ضربات سوف تركض؟"
"في اثنين"، أجاب لاعب الجولف العظيم.
ولم يكن خصمه مندهشا قليلا، إذ كانت المسافة من هناك إلى المقبرة ربع فرسخ تقريبا.
"ولكن كيف سنرى الكرة؟" تابع صانع العجلات.
"صحيح!" قال بيلزيبوث.
لمس الكرة بهراوته، وفجأة أشرقت في الظلام مثل دودة متوهجة هائلة.
"إلى الأمام!" صرخ روجر.
ضرب الكرة برأس مضربه، فارتفعت إلى السماء كنجمةٍ تلتحق بأخواتها.
بثلاث ضربات، قطعت ثلاثة أرباع المسافة.
«هذا جيدا!» قال بيلزيبوث، وقد تضاعفت دهشته. «حان دوري للعب الآن!»
بضربة واحدة من المضرب، قذف الكرة فوق أسطح كوك حتى كادت تصل إلى ميزون بلانش، على بُعد نصف فرسخ. كانت الضربة عنيفة لدرجة أن الحديد اصطدم بالنار في حصاة.

يا قديس أنطونيوس الكريم! أنا تائهٌ إن لم تنقذني، همس صانع عجلات كوك.

ضرب مرتجفًا؛ ولكن رغم ارتعاش ذراعه، بدا أن العصا اكتسبت قوة جديدة. في الضربة الثانية، انطلقت الكرة كما لو كانت من تلقاء نفسها واصطدمت بباب المقبرة.

"بقرني جدي!" صرخ بيلزيبوث، "لن يُقال إنني هُزمت على يد ابن ذلك الأحمق آدم. انتقم لي."

"لماذا نلعب؟"

"روحك وروح باترنوستري ضد أرواح لاعبي الجولف."

التاسع

لعب الشيطان بقوة، "يضغط" بشراسة؛ وكان مضربه يشتعل مع كل ضربة بوابل من الشرر. طارت الكرة من كوندي إلى بون سيكور، إلى بيرنويلز، إلى ليوز. ثم دارت بعيدًا إلى تورناي، على بُعد ستة فراسخ من هناك.

خلّف وراءه ذيلًا مضيءً كالمذنب، وتبعه لاعبا الجولف، إن صح التعبير، على مساره. لم يستطع روجر قط أن يفهم كيف ركض، أو بالأحرى طار بهذه السرعة، ودون تعب.

باختصار، لم يخسر مباراة واحدة، وكسب أرواح لاعبي الغولف الستة الراحلين. أدار بيلزيبوث عينيه كقط غاضب.

"هل نستمر؟" قال صانع عجلات كوك.

"لا،" أجاب الآخر، "إنهم ينتظرونني في سبت السحرة على تلة كوبيمونت.

"هذا اللص"، قال جانباً، "قادر على سرقة كل صيدي".

واختفى.

عاد إلى منزله، وأغلق لاعب الجولف العظيم أبوابه[213] في كيس وذهب إلى السرير، مسحورًا بفوزه على مينهير فان بيلزيبوث.

إكس

بعد عامين، استقبل صانع عجلات كوك زيارةً لم يكن يتوقعها. دخل رجلٌ عجوز، طويل القامة، نحيف، أصفر البشرة، إلى الورشة حاملاً منجلاً على كتفه.

"هل ستعيد لي منجلك إلى المقبض الجديد، يا سيدي؟"

"لا يا إيمان، منجلي لا يُخلع أبدًا."

"فكيف يمكنني أن أخدمك؟"

"من خلال اتباعي فقد جاءت ساعتك."

"قال لاعب الجولف العظيم، يا شيطان، هل يمكنك الانتظار قليلاً حتى أنتهي من هذه العجلة؟"

فليكن! لقد بذلتُ جهدًا كبيرًا اليوم، ودخنتُ سيجارةً بجدارة.

في هذه الحالة، يا سيدي، اجلس هناك على الكرسي . لديّ في خدمتك تبغ فاخر بسعر سبعة بنس للرطل.

"هذا جيد، يا فيث؛ أسرعي."

وأشعل الموت غليونه وجلس عند الباب على جذع الدردار.

عاد صانع عجلات كوك إلى عمله ضاحكًا في كمّه. بعد ربع ساعة، ناداه الموت:

"يا فيث، هل ستنتهي قريبًا؟"

أصم صانع العجلات أذنيه وواصل التخطيط وهو يغني:[214]

"Attendez-moi sur l'orme;

Vous m'attendrez longtemps.

لا أظنه يسمعني، قال الموت. هوا يا صديقي، هل أنت مستعد؟

"Va-t-en voir s'ils viennent، جان،

Va-t-en voir s'ils viennent،"

أجاب المغني.

"هل يضحك علي الوحش؟" قال الموت لنفسه.

وحاول النهوض.

لدهشته الكبيرة، لم يستطع أن يفصل نفسه عن السبب . عندها أدرك أنه كان رياضة ذات قوة متفوقة.

قال لروجر: "دعنا نرى. ماذا ستأخذ لتتركني؟ هل تريد أن أطيل عمرك عشر سنوات؟"

"J'ai de bon tabac dans ma tabatière،"

غنى لاعب الجولف العظيم.

"هل ستستغرق عشرين عامًا؟"

“Il pleut، il pleut، bergère؛

Rentre tes blancs moutons.”

"هل ستقبل بخمسين، أيها صانع العجلات؟ - فليُعجب بك الشيطان!"

قال صانع عجلات كوك:

رحلة سعيدة يا عزيزي دوموليت،

إنطلاق سان مالو بلا تجديف”.

وفي هذه الأثناء، كانت ساعة كوندي قد ضربت للتو[215] أربعة، وكان الأولاد خارجين من المدرسة. فاجأهم منظر هذا البلشون الكبير الجاف، وهو يكافح على الأرض ، كشيطان في إناء ماء مقدس، وسرعان ما أسعدهم.

ولم يخطر ببالهم قط أن الموت عندما يجلس عند باب العجوز يراقب الشباب، ففكروا في أنه من المضحك أن يخرجوا ألسنتهم في وجهه، ويغنون في جوقة:

رحلة سعيدة يا عزيزي دوموليت،

إنطلاق سان مالو بلا تجديف”.

"هل ستستغرق مائة عام؟" صرخ الموت.

هاين؟ كيف؟ ماذا؟ ألم تكن تتحدث عن إطالة عمري مئة عام؟ أوافق من كل قلبي يا سيدي؛ لكن دعنا نفهم: لستُ بهذا الغباء لأطلب إطالة عمري.

" إذن ماذا تريد؟"

منذ الكِبر، لا أطلب إلا الخبرة التي تُمنح تدريجيًا. يقول المثل: "إذا كان الشباب يعرفون، فسيتمكن الكبار!". أتمنى أن أحافظ على قوة الشاب لمئة عام، وأن أكتسب معرفة الشيخ.
"فليكن الأمر كذلك"، قال الموت، "سأعود في هذا اليوم بعد مائة عام".
رحلة سعيدة يا عزيزي دوموليت،
إنطلاق سان مالو بلا تجديف".
الحادي عشر
بدأ لاعب الجولف العظيم حياة جديدة. في البداية، تمتع بسعادة غامرة، ثم ازدادت هذه السعادة بفضل يقينه لم تنتهِ هذه الحرب منذ مئة عام. بفضل خبرته، أدرك جيدًا كيفية إدارة شؤونه، لدرجة أنه ترك مطرقته وأغلق متجره.
مع ذلك، واجه إزعاجًا لم يكن يتوقعه. فقد أفزعته مهارته الرائعة في الجولف اللاعبين الذين أسعدهم في البداية، وكان ذلك سببًا في عدم عثوره على من يلعب ضده.
لذلك، غادر الكانتون وانطلق في رحلاته عبر فلاندرز الفرنسية وبلجيكا وجميع الملاعب التي تُقام فيها لعبة الجولف النبيلة. بعد عشرين عامًا، عاد إلى كوك ليُعجب به جيل جديد من لاعبي الجولف، ثم غادر ليعود بعد عشرين عامًا.
يا للأسف! على الرغم من سحرها الظاهري، سرعان ما أصبح هذا الوجود عبئًا عليه. علاوة على ذلك، كان يُملّ من الفوز في كل مناسبة؛ فقد سئم من المرور كاليهودي التائه عبر الأجيال، ومن رؤية أبناء أصدقائه وأحفادهم وأبناء أحفادهم يشيخون ثم ينقرضون. كان يُجبر باستمرار على تكوين صداقات جديدة، كانت تتلاشى مع تقدم العمر أو موت رفاقه؛ كل شيء تغير من حوله، أما هو فلم يتغير.
لقد نفد صبره من هذا الشباب الأبدي الذي حكم عليه بتذوق نفس الملذات إلى الأبد، وكان يتوق أحيانًا إلى معرفة أفراح الشيخوخة الأكثر هدوءًا. في أحد الأيام، وجد نفسه أمام مرآته، يفحص ما إذا كان شعره قد

بدأ في النمو. لم يعد هناك شيء يبدو جميلاً بالنسبة له الآن مثل الثلج على جبهة الرجل العجوز.

الثاني عشر

علاوة على ذلك، سرعان ما زادته التجربة حكمةً لدرجة أنه لم يعد يستمتع بأي شيء. وإن كان يخطر بباله أحيانًا في الحانة استخدام مئزره لقضاء الليل في لعب الورق، فهمس له: "ما فائدة هذا الإفراط؟" "لا يكفي أن يعجز المرء عن تقصير أيامه، بل يجب عليه أيضًا أن يتجنب التسبب في المرض".

وصل إلى حدّ حرمان نفسه من متعة شرب الجعة وتدخين الغليون. فلماذا إذًا الانغماس في الملذات التي تُنهك الجسد وتُضعف العقل؟

بل ذهب الوغد إلى أبعد من ذلك، فتوقف عن ممارسة الغولف! أقنعته التجربة بأن هذه اللعبة خطيرة، تُسبب ارتفاعًا في درجة الحرارة، وهي مُهيأة بشكل كبير للإصابة بنزلات البرد، والزكام، والروماتيزم، والتهاب الرئتين.

وبالإضافة إلى ذلك، ما هي الفائدة، وما هو المجد العظيم الذي نجنيه من أن نصبح أول لاعب جولف في العالم؟

ما فائدة المجد نفسه؟ أملٌ باطل، باطلٌ كدخان الغليون.

عندما حرمته التجربة من أوهامه واحدًا تلو الآخر، شعر لاعب الجولف التعيس بإرهاقٍ قاتل. أدرك أنه خدع نفسه، وأن للوهم ثمنًا باهظًا، وأن أعظم سحرٍ للشباب ربما يكمن في قلة خبرته.[218]

لقد وصل بذلك إلى المدة المتفق عليها في العقد، وبما أنه لم تكن لديه جنة هنا على الأرض، فقد سعى من خلال حكمته التي اكتسبها بصعوبة إلى إيجاد طريقة ذكية للتغلب على جنة في الأعلى.

الثالث عشر

وجده الموت في كوك وهو يعمل في دكانه. علّمته التجربة، على الأقل، أن العمل هو أبقى المتع.

"هل أنت مستعد؟" قال الموت.

"أنا أكون."
أخذ ناديه، ووضع عشرين كرة في جيبه، وألقى كيسه على كتفه، وربط ساقيه دون أن يخلع مئزره.
"ما هو هدفك في النادي؟"
"حسنًا، للعب الجولف في الجنة مع راعيّ القديس أنطونيوس."
"فهل تظن إذن أنني سأقودك إلى الجنة؟"
"يجب عليك ذلك، حيث إن لدي نصف دزينة من الأرواح التي يجب أن أحملها إلى هناك، والتي أنقذتها ذات مرة من براثن بيلزيبوث."
من الأفضل أن تنقذ نفسك. في الطريق يا عزيزي دوموليت !
رأى لاعب الجولف العظيم أن الحاصد العجوز يحمل له ضغينة، وأنه سوف يقوده إلى جنة الضالين.
وبعد ربع ساعة طرق المسافران باب الجحيم.
"توك، توك!"
"من هناك؟"
"صانع عجلات كوك"، كما قال لاعب الجولف العظيم.
"لا تفتح الباب"، صرخ بيلزيبوث، "هذا الوغد يفوز في كل منعطف؛ فهو قادر على إخلاء إمبراطوريتي من السكان".
ضحك روجر في كمّه.
«يا إلهي! أنتَ لستَ مُخلِّصًا»، قال الموت. «سآخذكَ إلى حيثُ لن تشعرَ بالبرد أيضًا».
كانوا في المطهر أسرع من أن يقوم المتسول بإفراغ صندوق الفقراء.
"توك-توك!"
"من هناك؟"
"صانع عجلات كوك"، كما قال لاعب الجولف العظيم.
«لكنه في حالة خطيئة مميتة»، صرخ الملاك المناوب. «أخرجوه من هنا، لا يستطيع الدخول».

"على الرغم من ذلك، لا أستطيع أن أتركه يراوح بين السماء والأرض"، قال الموت. "سأعيده إلى كوك".

"حيث سيأخذونني كشبح. شكرًا لكم! ألا تزال الجنة موجودة؟"

الرابع عشر

لقد كانوا هناك في نهاية ساعة قصيرة.

"توك، توك!"

"من هناك؟"

"صانع عجلات كوك"، كما قال لاعب الجولف العظيم.

قال القديس بطرس وهو يفتح الباب نصف فتح: «آه! يا بني، أنا حزينٌ جدًا. لقد أخبرك القديس أنطونيوس منذ زمنٍ بعيد أنه من الأفضل أن تطلب خلاص روحك».

"هذا صحيح يا قديس بطرس" أجاب روجر بخجل.[220] الهواء. "وكيف حاله، ذلك القديس أنطونيوس المبارك؟ ألا يمكنني أن أعود للحظة لأردّ عليه ما قام به من زيارة؟"

"ها هو قادم"، قال القديس بطرس وهو يفتح الباب على مصراعيه.

في غمضة عين، ألقى لاعب الجولف الماكر بنفسه في الجنة، وفك مئزره، وتركه يسقط على الأرض، وجلس عليه.

صباح الخير يا قديس أنطونيوس، قال بتحيةٍ رائعة. «كما ترى، كان لديّ متسعٌ من الوقت لأفكّر في الجنة، فها نحن ذا!»

"ماذا! أنت هنا!" صرخ القديس أنطونيوس.

"نعم، أنا وشركتي،" أجاب روجر، وهو يفتح كيسه وينثر على السجادة أرواح لاعبي الجولف الستة.

"هل لديكم القدرة على الرحيل الآن، جميعكم؟"

"مستحيل"، قال لاعب الجولف العظيم وهو يظهر مئزره.

قال القديس أنطونيوس: "لقد استغلّنا هذا اللص. تعالَ يا قديس بطرس، في ذكرى لعبتنا للغولف، ودعه يدخل مع روحه. علاوة على ذلك، فقد عاش مطهره على الأرض."

"إنها ليست سابقة جيدة جدًا"، همس القديس بطرس.

"باه!" أجاب روجر، "إذا كان لدينا عدد قليل من لاعبي الجولف الجيدين في الجنة، فأين الضرر؟

الخامس عشر

وهكذا، بعد أن عاش طويلاً، ولعب الجولف كثيرًا، وشرب الكثير من علب البيرة، تم قبول صانع عجلات كوك، الملقب بـ"الغولف العظيم"، في الجنة؛ لكنني أنصح ألا يقتدي به أحد، لأن هذه ليست الطريقة الصحيحة تمامًا، وقد لا يكون القديس بطرس دائمًا مطيعًا إلى هذا الحد، على الرغم من أنه يجب تقديم تنازلات كبيرة للاعبي الجولف.

15- أسطورة جبل سان ميشيل

بقلم جاي دي موباسان

رأيتها أول مرة من كانكال، قلعة الجنيات هذه في البحر. كوّنتُ انطباعًا غامضًا عنها كظل رماديّ مُحدَّد على خلفية سماء ضبابية. رأيتها مجددًا من أفرانش عند غروب الشمس. كانت الرمال الممتدة حمراء، والأفق أحمر، والخليج اللامتناهي كله أحمر. القلعة الصخرية التي ترتفع هناك في الأفق كمقرّ ملكيّ غريب، كقصر أحلام، غريبة وجميلة - هذه وحدها بقيت سوداء في ضوء النهار القرمزي.

في صباح اليوم التالي، عند بزوغ الفجر، توجهتُ نحوها عبر الرمال، وعيناي مثبتتان على هذه الجوهرة العملاقة، بحجم جبل، منحوتة كالحجر الكريم، ودقيقة كالدانتيل. كلما اقتربتُ منها، ازداد إعجابي بها، فلا شيء في العالم أروع منها أو أكمل منها.

لقد فوجئت وكأنني اكتشفت مسكن إله، وتجولت عبر تلك القاعات المدعومة بأعمدة هشة أو ضخمة، ورفعت عيني في دهشة إلى تلك الأبراج التي تبدو وكأنها صواريخ تنطلق نحو السماء، وإلى ذلك التجمع الرائع من الأبراج، والتماثيل الغريبة، والزخارف النحيلة والساحرة، والألعاب النارية المنتظمة من الحجر، ودانتيل الجرانيت، وهي تحفة فنية من الهندسة المعمارية الضخمة والدقيقة.

بينما كنت أنظر إلى أعلى في نشوة في نورماندي السفلى[223] جاء إليّ أحد الفلاحين وأخبرني بقصة الشجار الكبير بين القديس ميخائيل والشيطان.

قال أحد العباقرة المتشككين: "لقد خلق الله الإنسان على صورته، ورد الإنسان الجميل".

هذه المقولة حقيقةٌ أبدية، وسيكون من المثير للاهتمام للغاية كتابة تاريخ الآلهة المحلية في كل قارة، وكذلك تاريخ القديسين الشفعاء في كل مقاطعة من مقاطعاتنا. للزنجي أصنامه الشرسة آكلة البشر؛ وللمسلم

متعدد الزوجات جنته بالنساء؛ أما اليونانيون، كشعب عملي، فقد ألهوا جميع الأهواء.
كل قرية في فرنسا تقع تحت تأثير بعض القديسين الحاميين، الذين تم تصميمهم وفقًا لخصائص السكان.
القديس ميخائيل يراقب نورماندي السفلى، القديس ميخائيل، الملاك المتألق والمنتصر، حامل السيف، بطل السماء، المنتصر، قاهر الشيطان.
ولكن هذه هي الطريقة التي يفهم بها فلاح نورماندي السفلى، الماكر والمخادع والمناور، ويحكي عن الصراع بين القديس العظيم والشيطان.
ولكي يهرب من حقد جاره، الشيطان، بنى القديس ميخائيل لنفسه، في المحيط المفتوح، هذا المسكن الذي يليق برئيس الملائكة؛ وفقط مثل هذا القديس يستطيع أن يبني مسكنًا بهذا الروعة.
ولكن لأنه كان لا يزال يخشى اقتراب الشرير، فقد أحاط ممتلكاته بالرمال المتحركة، التي كانت أكثر غدرا حتى من البحر.
كان الشيطان يعيش في كوخ متواضع على التل، لكنه كان يمتلك كل المستنقعات المالحة، والأراضي الغنية حيث تنمو أفضل المحاصيل، والوديان المشجرة وكل الأراضي الخصبة.[224] تلال البلاد، بينما كان القديس يحكم الرمال فقط. لذلك كان الشيطان غنيًا، بينما كان القديس ميخائيل فقيرًا كفأر كنيسة.
وبعد بضع سنوات من الصيام، سئم القديس من هذا الوضع وبدأ يفكر في تسوية مع الشيطان، لكن الأمر لم يكن سهلاً على الإطلاق، حيث كان الشيطان مسيطراً على محاصيله.
فكّر في الأمر ستة أشهر تقريبًا؛ ثم في صباح أحد الأيام، سار نحو الشاطئ.
كان الشيطان يتناول حساءه أمام بابه عندما رأى القديس. اندفع نحوه على الفور، وقبّل طرف كمّه، ودعاه للدخول، وقدّم له بعض المرطبات.
شرب القديس ميخائيل وعاءً من الحليب ثم بدأ: "لقد جئت إلى هنا لأقترح عليك صفقة جيدة".
فأجاب الشيطان بصراحة وثقة: "هذا يناسبني".

ها هي. أعطني كل أراضيك.
أصبح الشيطان منزعجًا، وأراد أن يتكلم: "لكن-"
تابع القديس: "اسمعوا أولاً. أعطوني جميع أراضيكم. سأتولى جميع الأعمال، الحرث، البذر، التسميد، كل شيء، وسنتقاسم المحصول بالتساوي. ما رأيكم في ذلك؟"
قبل الشيطان، وهو كسول بطبيعته، طلبًا إضافيًا، ولم يطلب سوى القليل من سمك البوري الرمادي اللذيذ الذي يُصطاد حول الجبل المنعزل. ووعد القديس ميخائيل بالسمك.
فأمسكوا بأيدي بعضهم البعض وبصقوا على الأرض ليظهروا أن الأمر صفقة، ثم تابع القديس: "انظر هنا، حتى لا يكون لديك ما تشكو منه، اختر الجزء الذي تفضله من المحاصيل: الجزء الذي لا تريد أن تشكو منه".[225] "الذي ينمو فوق الأرض أو الجزء الذي يبقى في الأرض."
صرخ الشيطان: "سآخذ كل ما سيكون فوق الأرض."
قال القديس: "إنها صفقة رائعة!" ثم انصرف.
وبعد ستة أشهر، وفي كل أنحاء مملكة الشيطان الشاسعة، لم يعد من الممكن رؤية أي شيء سوى الجزر واللفت والبصل والسالسفي، كل النباتات التي جذورها اللذيذة لذيذة وأوراقها عديمة الفائدة لا تصلح لأي شيء سوى تغذية الحيوانات.
أراد الشيطان أن ينقض العقد، ووصف القديس ميخائيل بأنه محتال.
لكن القديس، الذي كان قد نما لديه شغفٌ بالزراعة، عاد ليرى الشيطان وقال: "في الحقيقة، لم أفكر في ذلك إطلاقًا؛ كان مجرد حادث، ليس خطأي. ولأكون منصفًا معك، سأدعك هذا العام تأخذ كل ما تحت الأرض."
"حسنًا"، أجاب الشيطان.
وفي الربيع التالي، كانت كل أراضي الأرواح الشريرة مغطاة بالقمح الذهبي، والشوفان بحجم الفاصوليا، والكتان، واللفت الرائع، والبرسيم الأحمر،

والبازلاء، والملفوف، والخرشوف، وكل شيء ينمو إلى حبوب أو فاكهة في ضوء الشمس.

مرة أخرى، لم ينل الشيطان شيئًا، وهذه المرة فقد أعصابه تمامًا. استعاد حقوله، وظلّ أصمًا عن كل اقتراحات جاره الجديدة.

مرّ عام كامل. من أعلى قصره المنعزل، نظر القديس ميخائيل إلى الأراضي البعيدة الخصبة، وشاهد الشيطان يُدير العمل، ويأخذ محاصيله، ويدرس القمح. فاستشاط غضبًا، واستشاط غضبًا.[226] لما عجز عن خداع الشيطان، قرر الانتقام منه، فخرج ليدعوه إلى العشاء يوم الاثنين التالي.

لقد كنتَ سيئ الحظ في تعاملك معي، قال؛ أعلم ذلك، لكنني لا أريد أي ضغينة بيننا، وأتوقع منك أن تتناول العشاء معي. سأحضر لك بعض الطعام اللذيذ.

الشيطان، الذي كان جشعًا وكسولًا، قبل العرض بشغف. وفي اليوم المحدد، ارتدى أجمل ثيابه وانطلق إلى القلعة.

أجلسه القديس ميخائيل لتناول وجبة شهية. بدايةً، كانت هناك فطيرة "فول أو فنت" محشوة برؤوس الديكة وكلى الديك، مع كرات اللحم، ثم سمكتا بوري كبيرتان مع صلصة الكريمة، وديك رومي محشو بالكستناء منقوعة في النبيذ، ولحم ضأن من المستنقعات المالحة طري كالكعكة، وخضراوات تذوب في الفم، وفطيرة ساخنة لذيذة تُقدم وهي تدخن وتنشر رائحة الزبدة اللذيذة.

كانوا يشربون عصير التفاح الطازج الحلو الفوار والنبيذ الأحمر المسكر، وبعد كل طبق كانوا يفتحون شهيتهم بمشروب براندي التفاح القديم.

شرب الشيطان وأكل حتى شبع قلبه، وفي الواقع تناول كمية كبيرة حتى أصبح غير مرتاح للغاية وبدأ يتقيأ.

ثم نهض القديس ميخائيل غاضبًا وصاح بصوتٍ كالرعد: "ماذا! أمامي أيها الوغد! تجرؤ - أمامي -"

هرب الشيطان مذعورًا، فأخذ القديس عصاً وطارده. ركضوا عبر القاعات، داروا حول الأعمدة، صعدوا السلالم، راكضين.[227] على طول الأفاريز،

يقفز من غرغول إلى غرغول. كان الشيطان المسكين، الذي كان مريضًا بشدة، يركض بجنون محاولًا الهرب. أخيرًا، وجد نفسه على قمة آخر شرفة، عند القمة تمامًا، حيث كان يُرى الخليج الشاسع، بمدنه البعيدة ورمالها ومراعيها. لم يعد بإمكانه الهرب، فتقدم القديس من خلفه وركله ركلة عنيفة، قذفته في الفضاء كقذيفة مدفع.

انطلق في الهواء كالرمح، وسقط سقطةً ثقيلةً أمام بلدة مورتين. انغرست قرونه ومخالبه عميقًا في الصخر، مما يُخلّد إلى الأبد آثار سقوط الشيطان.

ثم وقف مرة أخرى، يعرج، مشلولاً إلى نهاية الزمان، وبينما كان ينظر إلى هذا القصر المشؤوم في المسافة، الذي يقف في مواجهة غروب الشمس، أدرك جيدًا أنه سيُهزم دائمًا في هذا الصراع غير المتكافئ، وذهب يعرج، متجهًا إلى بلدان بعيدة، تاركًا لعدوه حقوله وتلاله ووديانه ومستنقعاته.

وهكذا انتصر القديس ميخائيل، شفيع نورماندي، على الشيطان.

كان شعب آخر ليحلم بهذه المعركة بطريقة مختلفة تمامًا.

16- البابا الشيطاني

بقلم ريتشارد جارنيت

"لذا فلن تبيعني روحك؟" قال الشيطان.

"شكرًا لك،" أجاب الطالب، "أفضل أن أحتفظ بها لنفسي، إذا كان الأمر سواء بالنسبة لك."

لكن الأمر ليس سواءً بالنسبة لي. أريده بشدة. هيا، سأكون متسامحًا. قلتُ عشرين عامًا. يمكنكِ الحصول على ثلاثين عامًا.

هز الطالب رأسه.

"أربعون!"

هزة أخرى.

"خمسون!"

كما في السابق.

قال الشيطان: "أعلم أنني سأفعل حماقة، لكنني لا أطيق رؤية شاب ذكي ونشيط يُلقي بنفسه في البحر. سأقدم لك عرضًا آخر. ليس لدينا أي مساومة حاليًا، لكنني سأدفعك في هذه الدنيا للأربعين عامًا القادمة. في هذا اليوم، بعد أربعين عامًا، أعود إليك وأطلب منك نعمة؛ لا روحك أو عقلك أو أي شيء ليس في قدرتك على منحه. إن منحتها، فنحن في عداد المفقودين؛ وإن لم تمنحها، فسأطير معك. ما رأيك في هذا؟"

فكّر الطالب لبضع دقائق، ثم قال أخيرًا: "موافق".

لم يكد الشيطان يختفي، وهو ما حدث على الفور، حتى كبح رسول جماح جواده المُدخّن عند بوابة جامعة قرطبة (لا بد أن القارئ الحكيم قد لاحظ بالفعل أنه ما كان يُسمح للوسيفر بدخول جامعة مسيحية)، وسأل عن الطالب جيربرت، فقدّم له ترشيح الإمبراطور أوتو لرئاسة دير بوبيو، مُقدّرًا، كما جاء في الوثيقة، فضيلته وعلمه، وهو أمرٌ يكاد يكون معجزًا في شابٍ كهذا. كان هؤلاء الرسل يزورون جيربرت باستمرار خلال مسيرته المزدهرة. رئيس دير، أسقف، رئيس أساقفة، كاردينال، تُوّج في النهاية بابا في 2 أبريل

999، وحمل لقب سيلفستر الثاني. كان الاعتقاد السائد آنذاك أن العالم سوف ينتهي في العام التالي، وهي الكارثة التي بدت للكثيرين أكثر وضوحًا منذ انتخاب رئيس القساوسة الذي لم تكن شهرته كعالم لاهوتي، على الرغم من أنها ليست قليلة، مساوية بأي حال من الأحوال لسمعته كساحر. مع ذلك، دار العالم بلا هوادة خلال العام المخيف، وفي أوائل العام الأول من القرن الحادي عشر، كان جيربرت جالسًا بسلام في مكتبه، يُطالع كتابًا في السحر. امتلأت خزانة كتبه بمجلدات في الجبر والتنجيم والكيمياء والفلسفة الأرسطية وغيرها من المطالعات الخفيفة؛ وعلى طاولة وُضعت ساعة مُحسّنة من اختراعه، بجانب إدخاله للأرقام العربية، إرثه الرئيسي للأجيال القادمة. وفجأة، سُمع صوت أجنحة، ووقف لوسيفر بجانبه.

"لقد مرّ وقت طويل،" قال الشيطان، "منذ أن حظيت بشرف رؤيتك. لقد اتصلت الآن لأذكرك "أنت من عقدنا الصغير الذي أبرم في هذا اليوم منذ أربعين عامًا."

قال سيلفستر: "تذكر أنه لا يجوز لك أن تطلب أي شيء يتجاوز قدرتي على القيام به".

قال لوسيفر: "ليس لديّ أي نية كهذه. بل على العكس، سأطلب منك معروفًا لا يمكنك منحه إلا أنت. أنت البابا، وأتمنى أن تجعلني كاردينالًا."

"أفترض،" أجاب جيربرت، "أنني أتوقع أن أصبح البابا في المنصب الشاغر القادم."

"هذا توقع"، أجاب لوسيفر، "والذي قد يكون من المعقول بالنسبة لي أن أتقبله، بالنظر إلى ثروتي الهائلة، وكفاءتي في المؤامرات، والحالة الحالية للكلية المقدسة".

قال جيربرت: "لا شك أنك ستسعى إلى تقويض أسس الإيمان، ومن خلال مسار من الفجور والانحلال، ستجعل الكرسي الرسولي بغيضًا ومحتقرًا".

"بل على العكس،" قال الشيطان، "سأقضي على الهرطقة، وعلى كل علم ومعرفة تؤدي إليها حتمًا. لن أسمح لأحد بالقراءة إلا للكاهن، وسأقتصر قراءته على كتاب الصلوات. سأحرق كتبكم مع عظامكم في أول فرصة

سانحة. سألتزم باللياقة الصارمة في السلوك، وسأحرص بشدة على ألا أرخِ برشامًا واحدًا من النير الهائل الذي كنت أصنعه لعقول وضمائر البشرية."

"إذا كان الأمر كذلك،" قال جيربرت، "دعنا ننطلق!"

"ماذا!" صرخ لوسيفر، "أنت على استعداد لمرافقتي إلى المناطق الجهنمية!"

"بالتأكيد، بدلاً من أن تكون شريكًا في الحرق، "أفلاطون وأرسطو، وأفسح المجال للظلام الذي كنت أحاربه طوال حياتي."

أجاب الشيطان: "يا جيربرت، هذا تافهٌ حقًّا. ألا تعلم أنه لا يمكن لأي رجلٍ صالحٍ أن يدخل مملكتي؟ لو كان هذا ممكنًا، لأصبحت إمبراطوريتي لا تُطاق، وأُجبرت على التنازل عن العرش؟"

"أنا أعلم ذلك"، قال جيربرت، "ولذلك تمكنت من استقبال زيارتك بهدوء."

قال الشيطان والدموع في عينيه: "يا جيربرت، أطرح عليك هذا السؤال: هل هذا عدل، هل هذا نزاهة؟ أتعهد بتعزيز مصالحك في الدنيا؛ وأفي بوعدي على أكمل وجه. لقد حصلت بفضلي على منصب لم تكن لتطمح إليه لولا ذلك. لطالما شاركتُ في انتخاب بابا، لكنني لم أساهم قط في منح التاج لشخصية مرموقة بفضل فضائلها وعلمها. أنت تستفيد من مساعدتي استفادة كاملة، والآن تستغل ظرفًا طارئًا لتحرمني من نصيبي المعقول. لقد عرفتُ دائمًا أن الصالحين أكثر مراوغة من الخطاة، ويعقدون صفقات أشد قسوة."

أجاب جيربرت: "لوسيفر، لطالما سعيتُ لمعاملتك كرجل نبيل، آملاً أن تُرضيني بذلك. لن أسأل إن كان من طبعي أن أسعى لترهيبي لأُذعن لطلبك بتهديدي بعقوبة كنتَ تعلم جيداً أنه لا يُمكن تنفيذها. سأغض الطرف عن هذه المخالفة البسيطة، وسأُقرّ بأكثر مما طلبت." لقد طلبت أن تصبح كاردينالًا. سأجعلك بابا—"

"ها!" صرخ لوسيفر، وغمر توهج داخلي جلده المغطى بالسخام، كما تم إحياء ضوء الجمرة الخافتة عن طريق التنفس عليها.

«لمدة اثنتي عشرة ساعة»، تابع جيربرت. «بعد انقضاء تلك المدة، سندرس الأمر بمزيد من التفصيل؛ وإذا كنتَ، كما أتوقع، أكثر حرصًا على التخلي عن كرامتك البابوية مما كنتَ لتفترضه، فأعدك بأن أمنحك أي هبة تطلبها ضمن سلطتي، بما لا يتعارض صراحةً مع الدين أو الأخلاق.»

"انتهى!" صرخ الشيطان. نطق جيربرت بكلمات غامضة، وفي لحظة، احتوت الشقة على اثنين من الباباوات سيلفستر، لا يمكن التمييز بينهما إلا من خلال ملابسهما، وأن أحدهما كان يعرج قليلاً بقدمه اليسرى.

قال جيربرت: "ستجدون الملابس البابوية في هذه الخزانة"، وأخذ معه كتاب السحر، وتسلل عبر باب مُقنّع إلى غرفة سرية. وعندما أُغلق الباب خلفه، ضحك ضحكة مكتومة، وتمتم في نفسه: "مسكين لوسيفر! بِيعَ مجددًا!"

يبدو أنه لم يكن يعلم أن لوسيفر قد بِيعَ. اقترب من لوح فضي كبير كان بمثابة مرآة، وتأمل مظهره الشخصي بشيء من عدم الرضا.

"أنا بالتأكيد لا أبدو بمظهر جيد بدون قروني"، قال في نفسه، "وأنا متأكد من أنني سأفتقد ذيلي بشدة".

ومع ذلك، فإن التاج والقطار كانا بمثابة تعويض عادل عن[233] كانت أطرافه ناقصة، وبدا لوسيفر الآن كبابا بكل ما للكلمة من معنى. كان على وشك استدعاء رئيس المراسم وعقد مجمع كنسي، عندما انفتح الباب بقوة، ودخل سبعة كرادلة الغرفة، ملوحين بالخناجر.

"يسقط الساحر!" صرخوا وهم يمسكون به ويكممونه.

"الموت للساراسينيين!"

"يمارس الجبر، والفنون الشيطانية الأخرى!"

"يعرف اليونانية!"

"يتحدث العربية!"

"يقرأ العبرية!"

"أحرقوه!"

"اخنقه!"

"فليُعزل من منصبه بواسطة مجلس عام"، قال أحد الكرادلة الشباب عديمي الخبرة.
"حاشا لله!" قال رجل عجوز حذر بصوت خافت .
ناضل لوسيفر بشدة، لكن جسده الضعيف، الذي كان محكومًا عليه بالبقاء فيه للإحدى عشرة ساعة القادمة، سرعان ما استُنزف. مُقيّدًا وعاجزًا، أغمي عليه.
قال أحد كبار الكرادلة: "أيها الإخوة، لقد صرّح طاردو الأرواح الشريرة أن الساحر أو أي شخص آخر متحالف مع الشيطان يحمل على جسده عادةً علامة ظاهرة على تحالفه الجهنمي. أقترح أن نبدأ فورًا بالبحث عن هذه الوصمة، وقد يُسهم اكتشافها في تبرير إجراءاتنا أمام العالم".
"أوافق بشدة على اقتراح أخينا آنو"، قال آخر، "على الرغم من أنه من غير الممكن أن نوافق على هذا الاقتراح". "إننا لا نستطيع أن نكتشف مثل هذه العلامة، إذا كنا نرغب بالفعل في العثور عليها."
وبناءً على ذلك، تم البدء في البحث، ولم يتقدم البحث كثيرًا حتى سمعت صرخة متزامنة من الكرادلة السبعة تشير إلى أن تحقيقاتهم جلبت المزيد من الضوء أكثر مما كانوا يتوقعون.
لقد كان للأب الأقدس قدم مشقوقة!
طوال الدقائق الخمس التالية، ظلّ الكرادلة في حالة ذهول تام، صامتين، مذهولين من الدهشة. ومع استعادتهم تدريجيًا رباطة جأشهم، بدا جليًا لأيّ مراقب حسن النية أن البابا قد ازداد احترامًا لهم بشكل ملحوظ.
"إن هذا الأمر يتطلب تفكيرًا ناضجًا للغاية"، كما قال أحدهم.
"لقد كنت دائمًا خائفًا من أننا قد نتحرك بشكل متسرع للغاية"، قال آخر.
"قال ثالث: مكتوب أن الشياطين يؤمنون، وبالتالي فإن الأب الأقدس ليس هرطوقيًا على أي حال."
قال آنو: "أيها الإخوة، هذا الأمر، كما أشار أخونا بينو جيدًا، يتطلب بالفعل نقاشًا جادًا. لذلك، أقترح، بدلًا من إغراق قداسته بالوسائد، كما كان

مخططًا في البداية، أن نحجزه مؤقتًا في الزنزانة المجاورة، وبعد قضاء الليلة في التأمل والصلاة، نستأنف النظر في الأمر غدًا صباحًا."
"أبلغ مسؤولي القصر،" قال بينو، "أن قداسته قد تقاعد لأداء عباداته، ولا يرغب في أن يزعجه أحد تحت أي ظرف من الظروف."
"إنها عملية احتيال تقية"، قال آنو، "لم يقم أحد من "كان الآباء قد ترددوا للحظة في الالتزام."
رفع الكرادلة لوسيفر، الذي كان لا يزال فاقدًا للوعي، وحملوه بحذر، بل برقةٍ تكاد تكون رقة، إلى الغرفة المخصصة لاحتجازه. تمنى كلٌّ منهم أن يتأخر على أمل شفائه، لكن كلًّا منهم شعر أن عيون إخوته الستة كانت عليه: فانصرفوا جميعًا في آنٍ واحد، وكلٌّ منهم يحمل مفتاح الزنزانة.
استعاد لوسيفر وعيه بعد ذلك مباشرةً تقريبًا. كانت لديه فكرة مُربكة للغاية عن الظروف التي أوقعته في ورطة كبيرة، ولم يستطع إلا أن يقول لنفسه إنه إذا كانت هذه هي المصاحبات المعتادة للكرامة البابوية، فإنها لا تروق له على الإطلاق، وتمنى لو أنه تعرّف عليها في وقت أبكر. لم يكن الزنزانة مظلمة تمامًا فحسب، بل كان باردًا بشكل مُريع، ولم يكن لدى الشيطان المسكين في هيئته الحالية أي مخزون كامن من الحرارة الجهنمية ليستمد منها. اصطكت أسنانه، وارتجف في كل عضو، وشعر بأنه يُفترسه الجوع والعطش. هناك احتمال كبير في تأكيد بعض كُتّاب سيرته أنه في هذه المناسبة اخترع المشروبات الروحية الحارة؛ ولكن حتى لو فعل، فإن مجرد تخيل كأس من البراندي لن يزيد إلا من معاناته. وهكذا مرت ليلة يناير الطويلة بشكل متعب، وبدا أن لوسيفر على وشك الموت من العدم، عندما دار مفتاح في القفل، ودخل الكاردينال آنو بحذر، حاملاً مصباحًا، ورغيفًا، ونصف قطعة من خبز مشوي بارد، وزجاجة من النبيذ.
"أثق،" قال وهو ينحني بلطف، "أنني قد أُعفى من أي خرق طفيف للآداب قد أجعل نفسي مسؤولاً عن الصعوبة التي أواجهها[236] "إنني أعمل جاهداً على تحديد ما إذا كان "قداستك" أو "جلالتك الجهنمية" في ظل الظروف الحالية هي شكل الخطاب الأكثر ملاءمة لي لاستخدامه."

"بوب-بوب-بوب-بوو"، قال لوسيفر، الذي كان لا يزال لديه اللقمة في فمه.

يا إلهي! هتف الكاردينال، "أرجو غفران قداسة جهنميتك. يا له من سهو مؤسف!"

وبعد أن حرر لوسيفر من قيوده، بدأ في التأمل، فسقط الشيطان عليه بشراهة.

"لماذا، إن جاز لي التعبير،" تابع آنو، "لم تُخبرنا قداستكم أنك الشيطان ؟ لما رُفعت عليك يدٌ حينها. لقد بحثتُ طوال حياتي عن جمهورٍ رحب بي الآن. ما سبب هذا الريبة من آنو المخلص، الذي خدمك بإخلاصٍ وحماسٍ طوال هذه السنوات؟"

أشار لوسيفر بشكل واضح إلى الكمامة والأغلال.

"لن أسامح نفسي أبدًا"، احتجّ الكاردينال، "على ما تحمّلته من مسؤولية في هذه العملية المؤسفة. فإلى جانب تلبية احتياجات جلالتكم الجسدية، لا أجد في قلبي ما يُعبّر عن توبتي. لكنني أتوسّل إلى جلالتكم أن تتذكروا أنني ظننتُ أنني أخدم جلالتكم بإسقاطي ساحرًا اعتاد إرسال جلالتكم في مهمات، وقد يسجنكم في صندوق ويلقيكم في البحر في أي وقت. إنه لأمرٌ مؤسف أن يُضلّل بهذا الشكل أشدّ خدام جلالتكم إخلاصًا."

"أسباب الدولة"، اقترح لوسيفر.

قال الكاردينال: "أرجو ألا يكونوا قد عادوا إلى العمل". "ومع ذلك، فإن المجمع المقدس قد استوعب الأمر برمته، لذا لا داعي للتعمق في هذا الجانب من الموضوع. أطلب الآن بتواضع الإذن للتشاور مع جلالتكم، أو بالأحرى، مع قداستكم، بما أنني على وشك التحدث عن أمور روحية، بشأن النقطة المهمة والحساسة المتعلقة بخليفة قداستكم. لا أعلم كم من الوقت تنوي قداستكم شغل الكرسي الرسولي؛ لكنكم تعلمون بالطبع أن الرأي العام لن يسمح لكم بالاحتفاظ به لفترة أطول من فترة حبرية بطرس. لذا، لا بد أن يخلو المنصب يومًا ما؛ وأُقرّ بتواضع بأنه لا يمكن شغل

المنصب بشخص أكثر توافقًا مني مع شاغل المنصب الحالي، أو من يمكنه الاعتماد عليه بشكل أكبر لتنفيذ جميع آرائه ونواياه."

وشرع الكاردينال في سرد تفاصيل مختلفة من حياته الماضية، والتي بدت مؤكدة لتأكيده. ومع ذلك، لم يبتعد كثيرًا حتى أزعجه صوت صرير مفتاح آخر في القفل، ولم يمضِ وقت طويل حتى همس بصوت مؤثر: "احذروا بينو"، قبل أن يختبئ تحت الطاولة.

زُوِّد بينو أيضًا بمصباح ونبيذ وأطعمة باردة. وبعد أن حذَّره المصباح الآخر وبقايا وجبة لوسيفر من أن أحد زملائه كان معه مُسبقًا، وأنه لا يعلم عدد من سيُشاركون في المعركة، تطرّق بإيجاز إلى مسألة البابوية، وفضّل مطالبه بنفس أسلوب آنو. وبينما كان يُحذِّر لوسيفر بشدة من هذا الكاردينال، باعتباره شخصًا قادرًا على... كان سيخدع الشيطان نفسه، فدار مفتاح آخر في القفل، وهرب بينو من تحت الطاولة، حيث أدخل آنو أصابعه في عينه اليمنى على الفور. صرخة خفيفة كتمتها نوبة سعال لوسيفر.

كان الكاردينال رقم 3، وهو فرنسي، يحمل لحم خنزير بايون، وأبدى نفس اشمئزاز بينو عندما رأى نفسه مُستَبَقًا. كانت طلباته معتدلة، لكن لا أحد يعلم أين كان سيتوقف لو لم يخشَه قدوم الكاردينال رقم 4. حتى ذلك الوقت، لم يطلب سوى محفظة نقود لا تنضب، وسلطة استدعاء الشيطان حسب الرغبة ، وخاتم إخفاء يسمح له بالوصول بحرية إلى عشيقته، التي كانت للأسف امرأة متزوجة.

كان الكاردينال رقم 4 يريد بشكل رئيسي أن يتم وضعه في طريق تسميم الكاردينال رقم 5؛ وكان الكاردينال رقم 5 يفضل نفس الالتماس الذي قدمه الكاردينال رقم 4 الموقر.

طالب الكاردينال السادس، وهو إنجليزي، بعودة منصبي رئيس أساقفة كانتربري ويورك، مع ضمان وحدتهما، ومنحهما إعفاءً غير محدود. وفي سياق خطابه، استخدم عبارة " غير قابلين للرفض" ، التي انتبه لها لوسيفر على الفور.

لا يُعرف ما كان الكاردينال السابع سيطلبه، لأنه لم يكد يفتح فمه حتى انقضت الساعة الثانية عشرة، واستعاد لوسيفر نشاطه بجسده، فأرسل أمير الكنيسة يدور إلى الطرف الآخر من الغرفة، وشقّ الطاولة الرخامية بضربة واحدة من ذيله. انكمش الكرادلة الجالسين والمتجمعين، وانكمشوا أمام بعضهم البعض، واستمتعوا في الوقت نفسه بمشهد قداسته وهو يندفع عبر السقف الحجري، الذي انفرج كفيلم لمروره، ثم انغلق كما لو لم يحدث شيء. بعد الصدمة الأولى من الفزع، اندفعوا بالإجماع إلى الباب، لكنهم وجدوه مغلقًا من الخارج. لم يكن هناك مخرج آخر، ولا وسيلة لإطلاق الإنذار. في هذه الحالة الطارئة، كان سلوك الكرادلة الإيطاليين قدوة حسنة لزملائهم من الطبقة الراقية. قالوا وهم يهزون أكتافهم: " بيسوجنا بازيينزيا ". لا شيء يمكن أن يفوق الأدب المتبادل بين الكرادلة آنو وبينو، إلا أدب الاثنين اللذين حاولا تسميم بعضهما البعض. وقد اعتُبر الفرنسي قد انتهك بشكل خطير قواعد السلوك الحميدة عندما أشار إلى هذا الظرف الذي وصل إلى مسامعه وهو تحت الطاولة: وأقسم الإنجليزي بشدة على الوضع الذي وجد نفسه فيه لدرجة أن الإيطاليين في ذلك الوقت سجلوا في صمت قسمًا بأن لا يصبح أي فرد من أمته بابا أبدًا، وهي القاعدة التي تم الالتزام بها حتى يومنا هذا باستثناء واحد.
وفي هذه الأثناء، توجه لوسيفر إلى سيلفستر، الذي وجده مرتديًا كل شارات كرامته؛ والتي، كما لاحظ، اعتقد أن زائره ربما قد نال ما يكفي منها.
أجاب لوسيفر: "أعتقد ذلك حقًا. ولكن في الوقت نفسه، أشعر أنني أُكافأ تمامًا على كل ما مررت به بفضل ثقة أصدقائي ومعجبيّ بي، وقناعتي بأنه لا داعي لذلك". أن أُكرّس قدرًا كبيرًا من اهتمامي الشخصي للشؤون الكنسية. أطالب الآن بالنعمة الموعودة، والتي لن يتعارض منحها لك بأي حال من الأحوال مع مهامك، لأنها عمل رحمة. أطالب بإطلاق سراح الكرادلة، وبدفن مؤامرتهم ضدك، التي عانيتُ منها وحدي، في طيّ النسيان.

قال جيربرت مع تعبير عن خيبة الأمل: "كنت آمل أن تتمكن من حملهم جميعًا بعيدًا".

"شكرًا لك،" قال الشيطان. "من مصلحتي أن أتركهم حيث هم."

وهكذا فُتح باب الزنزانة، وخرج الكرادلة خجولين ومحبطين. وإن كانوا، في نهاية المطاف، قد ارتكبوا أذى أقل مما توقعه لوسيفر منهم، فسبب ذلك هو حيرتهم التامة مما مضى، وعجزهم التام عن فهم سياسة جيربرت، الذي كرّس نفسه منذ ذلك الحين، حتى مع التباهي، للأعمال الصالحة. لم يتمكنوا قط من التأكد تمامًا مما إذا كانوا يتحدثون إلى البابا أم إلى الشيطان، وعندما كانوا يُطلقون، تحت تأثير هذا الانطباع، عباراتٍ وصفها جيربرت، عن حق، بأنها طائشة ومتهورة وفضيحة. أزعجوه بإشارات إلى بعض الأمور المذكورة في مقابلاتهم مع لوسيفر، والتي ظنوا، بطبيعة الحال، ولكن خطأً، أنه مُلِمٌّ بها، وأزعجوه بإيماءاتهم وضحكاتهم المستمرة وهم ينظرون إلى أطرافه السفلية. ولإلغاء هذا الإزعاج، وفي الوقت نفسه إسكات الشائعات غير السارة المتنوعة التي انتشرت بطريقة ما، ابتكر جيربرت مراسم تقبيل قدمي البابا، والتي استمرت حتى يومنا هذا بشكل مشوه بشكل خطير.[241] إن ذهول الكرادلة عندما اكتشفوا أن الأب الأقدس قد فقد حافره يفوق كل وصف، وذهبوا إلى قبورهم دون أن يحصلوا على أدنى فهم للسر.

17- السيدة لوسيفر

بقلم ريتشارد جارنيت

جلس لوسيفر يلعب الشطرنج مع الإنسان من أجل روحه.

كان من الواضح أن اللعبة كانت تسير على نحو سيء بالنسبة للرجل. لم يتبقَّ له سوى بيادق، قليلة وتعاني. أما لوسيفر، فكان لديه قلعتان، وأحصنة، وبالطبع أساقفة.

كان من الطبيعي في مثل هذه الظروف ألا يكون الإنسان في عجلة من أمره للتحرك. لكن لوسيفر نفد صبره.

"من المؤسف"، قال أخيرًا، "أننا لم نحدد فترة زمنية معينة يجب على اللاعب خلالها أن يتحرك أو يستقيل".

يا لوسيفر، ردّ الشاب بلهجةٍ مُفجعة، ليس فقدان روحي الوشيك هو ما يُفقدني إنسانيتي، بل فقدان خطيبتي. عندما أفكر في حزن السيدة أديليزا، مثال الجمال الأرضي! خنقت الدموع نطقه، فتأثر لوسيفر.

"هل جمال السيدة أديليزا في الهدوء متسامٍ إلى هذا الحد؟" سأل.

"إنها وردة، زنبقة، ماسة، نجمة الصباح!"

«إن كان الأمر كذلك»، ردّ لوسيفر، «فأطمئن نفسك. لن تحتاج السيدة أديليزا إلى أي عزاء. سأتقمص شخصيتك وأغازلها بدلًا منك».

لم يبدُ أن الشاب قد نال كل العزاء من هذا الوعد الذي لا شك أن لوسيفر قد دبّره. فقام بخطوة يائسة. وفي لحظة، هزمه الشيطان، واختفى.

"يا إلهي، لو كنت أعلم ما سيؤول إليه هذا الأمر، لما تورطت فيه"، هكذا خاطب الشيطان نفسه، وهو يرتدي زي أسيره ويستقر في شقته، يفحص الأغراض التي عليه الآن أن يرتبها. شملت معاطف وقمصانًا وياقات وربطات عنق ورقائق معدنية وسيجارًا وما شابه ذلك حسب الرغبة ؛ وقليلًا جدًا غير ثلاثة تحديات وعشرة أوامر دفع وأربعة وسبعين فاتورة غير مدفوعة، مصفوفة بأناقة حول المرآة. وللثناء على الشاب المسكين، لم تكن هناك أي أغراض شخصية ، إلا من السيدة أديليزا نفسها.

لاحظ الشيطان عنوانهم بعناية، فانطلق، ولم ينقذه من قبضة اثنين من المحضرين المتربصين على الدرج الرئيسي سوى جهله بتضاريس الفندق، مما دفعه إلى استخدام الدرج الخلفي. قفز إلى سيارة أجرة، فهرب من عطار وصانع أحذية، وسرعان ما وجد نفسه عند قدمي السيدة أديليزا.

لم يُخبَر بنصف الحقيقة. يا له من جمال، يا له من ذكاء، يا له من صواب في المبدأ! خرج لوسيفر من حضرتها شيطانًا غارقًا في الحب. لم تُؤثِّر فيه والدة ميرلين بنصف الانطباع؛ ولم تجد أديليزا حبيبها، ولو جزءًا من مئة، مثيرًا للاهتمام كما بدا ذلك الصباح.

توجه لوسيفر على الفور إلى المدينة، حيث افترض[244] بهيئةٍ مناسبةٍ للمناسبة، تفاوض على قرضٍ دون أدنى صعوبة. أُسقطت جميع الديون على الفور، وانبهرت أديليزا بفخامة وتنوع الهدايا التي كانت تتلقاها باستمرار.

كاد لوسيفر أن يحضرها لتسمية اليوم، عندما أُبلغ أن رجلاً ذو مظهر ديني يرغب في خدمته.

«يريد مالًا لكنيسة أو بعثة جديدة، على ما أظن»، قال. «أظهره».

لكن عندما أُدخل الزائر، اكتشف لوسيفر بانزعاج أنه ليس رجل دين أرضيًا، بل قديس سماوي؛ قديس أيضًا لم يستطع لوسيفر أن ينسجم معه قط. لقد خدم في الجيش على الأرض، وكان خطابه مقتضبًا ودقيقًا وحاسمًا.

"لقد اتصلت،" قال، "لإبلاغك بتعييني مفتشًا للشياطين."

صرخ لوسيفر بذهول: "ماذا! إلى مكتب صديقي القديم مايكل!"

قال القديس باقتضاب: "كبيرٌ في السن. أكبر من عمر العالم بملايين السنين. أظنه في مثل عمرك."

ارتجف لوسيفر، متذكرًا المهمة التي كان يُكلف بها آنذاك. تابع القديس: أنا مكنسة جديدة، ومُطالبةٌ بالكنس. أُحذّرك من أنني أريد أن أكون صارمة، وهناك مسألة صغيرة يجب أن أُصلحها فورًا. ستتزوج خطيبة ذلك الشاب المسكين، أليس كذلك؟ الآن تعلم أنه لا يمكنك الزواج منه إلا إذا أعطيته زوجتك.

"يا صديقي العزيز،" صرخ لوسيفر، "يا له من أمر رائع." "إنها فرصة سعيدة لا يمكن التعبير عنها والتي تفتحها لي!"

قال القديس: "لا أعرف ذلك. عليّ أن أذكرك أن سلطة العوالم الجهنمية مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بشخص ملكة تلك العوالم. إن انفصلت عنها، فستفقد فورًا كل سلطتك وممتلكاتك. لا يهمني إن فعلتَ شيئًا، ولكن عليك أن تفهم أنه لا يمكنك أن تأكل كعكتك وتحتفظ بها أيضًا. صباح الخير!"

من يصف الصراع الدائر في قلب لوسيفر؟ إن كان هناك شغفٌ أقوى من التعلق بأديليزا في تلك اللحظة، فهو النفور من زوجته، وكان الاثنان مجتمعين لا يُقاوَمان تقريبًا. إلا أن يخلع نفسه عن عرشه، وينحدر إلى منزلة شيطانٍ بائس!

ولما أحس أنه غير قادر على اتخاذ قرار، أرسل إلى بليعال، وعرض عليه الأمر، وطلب مشورته.

يا للأسف أن مفتشنا الجديد لن يسمح لك بالزواج من أديليزا! رثى مستشاره. لو فعلت، فرأيي الشخصي هو أنك بعد ثمانٍ وأربعين ساعة ستهتم بها كما تهتم الآن بالسيدة لوسيفر، لا أكثر ولا أقل. هل نواياك نبيلة حقًا؟

"نعم،" أجاب لوسيفر، "إنها ستكون مباراة لوسيفر."

«كلما زاد غباءك»، ردّ بليعال. «إذا أغريتها بارتكاب معصية، فستكون لك دون أي شرط».

"أوه، يا بيليال،" قال لوسيفر، "لا أستطيع أن أجبر نفسي على أن أكون مغريًا بكل هذا البراءة والجمال."

وكان يعني ما قاله.

"حسنًا، دعني أحاول،" اقترح بيليال.

"أنت؟" أجاب لوسيفر بازدراء، "هل تتخيل أن أديليزا ستنظر إليك؟"

"لماذا لا؟" سأل بيليال وهو ينظر إلى نفسه بارتياح في الزجاج.

كان أحدبًا، أحول العينين، أعرج، وكانت قرونه منتصبة تحت شعره المستعار.
انتهى النقاش إلى رهان: بعده لن يكون هناك تراجع للوسيفر.
قُدِّم ياكيمو الجهنمي إلى أديليزا بصفته أجنبيًا مرموقًا، وسرعان ما واصل دعواه بنجاحٍ فاق توقعات لوسيفر. لكن شيئًا واحدًا حمّاه، وإن كان حيّره، هو عجز أديليزا التام عن فهم ما يقصده. في النهاية، اضطر إلى توضيح الأمر بإحضار كنزٍ ضخم، عرضه على أديليزا مقابل تخليها عن حبيبها.
عاصفة الغضب التي أعقبت ذلك كادت أن تجرف أي شيطان عادي، لكن بيليال أصغى بثبات. عندما استنفدت أديليزا طاقتها، حشدها مبتسمًا على حبها لحبيب لا يستحق، وتعهد بتقديم دليل على خيانته لها. اشتعلت أديليزا غيرةً، فوافقت، وفي لحظة وجدت نفسها في العوالم الجهنمية.
وصل أديليزا إلى بانديمونيوم، كما خطط بيليال، مباشرةً بعد تلقيه رسالة من لوسيفر، الذي انتصر حبه أخيرًا في حضنه، والذي أرسل برقية تنازله عن العرش واستقالة السيدة لوسيفر إلى خطيبة أديليزا. كان الشاب المسكين قد انتُشل للتو من الأعماق، وحاصرته جحافل من...[247] الشياطين تُلحّ عليه بخنوعٍ شديدٍ بشتى أنواع الكنوز لقبوله. حدّق به عاجزًا حائرًا، عاجزًا عن إدراك مكانته ولو للحظة. في الخلفية، شياطينٌ جادةٌ وصارمة، أمراء عالم الجحيم، يناقشون الرحيل الجديد، ويتشاورون تحديدًا في كيفية تسليمه للسيدة لوسيفر - وهي مهمةٌ لم يبدُ أن أحدًا يطمح إليها.
"ابق حيث أنت"، همس بيليال لأديليزا، "لا تتحرك: سوف تثبت ثباته خلال خمس دقائق".
لا يمكن لكل هذا الصخب والحشائش والثرثرة التي يصدرها الشياطين في ظل الظروف العادية أن تمنع أديليزا من الاقتراب من حبيبها: ولكن ما كل هذا الجحيم بالنسبة للغيرة؟
في وقت أقصر مما وعد، عاد بيليال برفقة السيدة لوسيفر. تباين رداء هذه السيدة الأسود، الملطخ بالدماء، بشكل جميل مع بشرتها الصفراء الكبريتية؛ عوض طول أظافرها الاستثنائي غياب الشعر؛ كانت بعمر ألف

مليون عام، ولولا قوتها العضلية اللافتة، لكانت تبدو كأي عام مضى. كان الغضب الذي ألقاه بها كلام بيليال أمرًا لا يوصف؛ ولكن عندما وقعت عيناها على الشاب الوسيم، بدا أن نظامًا مختلفًا من الأفكار قد استحوذ على عقلها.

"دع الوحش يذهب!" صاحت، "ومن يهتم؟ تعالَ يا حبيبي، واعتلي العرش معي، وشاركنا الإمبراطورية وكنوز لوسيفريتا الحبيبة."

"إذا لم تفعل ذلك، فارجع إلى الخلف"، قاطعه بيليال.

ما كان يمكن أن يكون قرار الشاب لو كانت السيدة لوسيفر تحمل تشابهًا أكبر مع السيدة فولكان، سيكون من غير اللائق تمامًا الاستفسار، لأن السؤال لم ينشأ أبدًا.

"خذوني بعيدًا!" صرخ، "خذوني بعيدًا، إلى أي مكان! إلى أي مكان بعيدًا عن متناولها! يا أديليزا!"

وقفت أديليزا بجانبه مقيدة. كانت تُلقي نظرةً منتصرةً على ملكة الجحيم المُضطربة، حين تغير تعبير وجهها فجأةً، وصرخت بصوتٍ عالٍ. وقف أمامها مُحبّان، مُتشابهان في كل ملامحهما وكل تفاصيل زيّهما، لا يُمكن تمييزهما إطلاقًا، حتى بعين الحب.

في الواقع، سارع لوسيفر إلى إلقاء نفسه عند قدمي أديليزا وتوسل إليها ألا تؤجل سعادته بعد الآن، وقد صُدم بخبر هروبها من بيليال. وخوفًا من فقدان زوجته وممتلكاته وحبيبته، انطلق إلى العوالم السفلى بسرعة هائلة لم يتسنَّ له وقت لتغيير زيه. ومن هنا جاء الالتباس الذي حيّر أديليزا، ولكنه في الوقت نفسه حمى نفسها من أن تُمزّقها إربًا على يد السيدة لوسيفر التي لا تقل عنها حيرة.

وعندما أدرك لوسيفر حالة القضية، عاد بكل مشاعره النبيلة إلى مظهره الطبيعي، وتم إدخال مخالب السيدة لوسيفر على الفور في شاربه.

"عزيزتي! حبيبتي!" شهق بصوت عالٍ قدر استطاعتها، "هل هذه هي الطريقة التي ترحب بها لوسي-بوسي الخاصة بها؟"

"من هو هذا الشخص؟" سألت السيدة لوسيفر.

"أنا لا أعرفها" صرخ لوسيفر البائس. لم أرها من قبل. خذوها بعيدًا؛ احتجزوها في أعمق زنزانة!
"لا، إن كنتُ أعرف ذلك،" أجابت السيدة لوسيفر بحدة. "لا يمكنكِ تحمّل فراقها، أليس كذلك؟ ستُثيرين فضولها رغماً عني، أليس كذلك؟ خذي هذا! وهذا! أقول، اطرديهما! اطرديهما!"
"بالتأكيد، يا حبي العزيز، بالتأكيد"، أجاب لوسيفر.
يا سيدي، صرخ مولوك وبعلزبول معًا، "يا إلهي، فلينظر جلالتك فيما يفعله. المفتش—"
صرخ لوسيفر: "أزعج المفتش! ألا تظن أنني أخشى سيدتك ألف مرة أكثر من جميع القديسين في التقويم؟ هيا،" مخاطبًا أديليزا وخطيبها، "انصرفا! ستجدان جميع ديونكما مدفوعة، ورصيدًا جيدًا في البنك. اخرج! اهرب!"
لم ينتظروا حتى أُخبروا مرتين. تثاءبت الأرض. اتسعت أبواب تارتاروس. وجدوا أنفسهم على جانب جبل شديد الانحدار، يجوبون أسفله بجنون، متشابكي الأيدي. لكن مع ركضهم السريع، لم يكفوا عن سماع لسان السيدة لوسيفر.

18- إبليس

بقلم أناتول فرانس

كان أندريا تافي، الرسام وصانع الفسيفساء في فلورنسا، يشعر برعبٍ شديد من شياطين الجحيم، وخاصةً في ساعات الليل، عندما تُترك الأمور لقوى الظلام لتنتصر. ولم تكن مخاوف الرجل النبيل غير معقولة، ففي تلك الأيام، كان لدى الشياطين سبب وجيه لكراهية الرسامين، الذين سلبوهم أرواحًا أكثر من صورة واحدة، مما يستطيع راهبٌ صغيرٌ صالحٌ أن يفعله في ثلاثين عظة. لا شك أن الراهب، لغرس رعبٍ مُخلّصٍ في قلوب المؤمنين، سيصف بأقصى ما يمكن... قواه "يوم الغضب، يوم الحداد"، وهو تحويل الكون إلى رماد، كما اختبر داود وسيبيلا ، مستعيرًا صوته العميق وزئيره بين يديه مُحاكيًا البوق الأخير لرئيس الملائكة. ولكن ها هو ذا! كان كل شيء "ضجيجًا وغضبًا، لا يُشير إلى شيء"، بينما لوحة مُعروضة على جدار كنيسة أو في الدير، تُظهر يسوع المسيح جالسًا على العرش الأبيض العظيم ليدين الأحياء والأموات، تُخاطب بلا انقطاع عيون الخطاة، ومن خلال عيونهم تُؤدِّب أولئك الذين أخطأوا بالعين أو بغيرها.

كان ذلك في أيامٍ كان فيها أساتذةٌ ماهرون يصوّرون في سانتا كروس بفلورنسا وكامبو سانتو بيزا أسرار العدالة الإلهية. رُسمت هذه الأعمال وفقًا للرواية الشعرية التي كتبها دانتي أليغييري، الرجل المثقف في اللاهوت والقانون الكنسي، في الأيام الخوالي عن رحلته إلى الجحيم والمطهر والفردوس، حيث استطاع بفضل فضائل سيدته العظيمة الفريدة أن يشق طريقه حيًا. لذا، كان كل شيء في هذه اللوحات تثقيفيًا وصادقًا، ويمكننا القول بالتأكيد إن قراءة السجل الكامل والواسع أقل فائدة من التأمل في مثل هذه الأعمال الفنية التمثيلية. علاوة على ذلك، حرص أساتذة فلورنسا على الرسم، تحت ظلال بساتين البرتقال، على العشب المزين بالنجوم الزهرية، سيداتٍ جميلات وفرسانًا شجعانًا، والموت يتربص بهم بمنجله، وهم يتحدثون عن الحب على أنغام العود والكمان. لم يكن هناك ما هو

أنسب لهداية الخطاة ذوي العقول الجسدية الذين يشربون نسيان الله على ألسنة النساء. ولتوبيخ الطماعين، كان الرسام يُظهر للشيطان وهم يسكبون الذهب المنصهر في حلق الأسقف أو رئيسة الدير. الذي كلفه ببعض الأعمال ثم سرق راتبه.
لهذا السبب كان الشياطين في تلك الأيام أعداءً لدودين للرسامين، وخاصةً رسامي فلورنسا، الذين تفوقوا على غيرهم في دقة الذكاء. وكانوا يلومونهم بشكل رئيسي على تصويرهم في زيٍّ بشع، برؤوس طيور وأسماك، وأجساد ثعابين، وأجنحة خفافيش. وسيتجلى هذا الاستياء الشديد الذي شعروا به بوضوح في تاريخ سبينيلو الأريتزي.
نشأ سبينيلو سبينيلي في عائلة نبيلة من المنفيين الفلورنسيين، وكان لطفه يتناسب مع لطف مولده؛ إذ كان أمهر رسامي عصره. أنجز أعمالاً كثيرة وعظيمة في فلورنسا؛ وتوسل إليه أهل بيزا أن يُكمل لوحات جيوتو الجدارية في كامبو سانتو الخاص بهم، حيث يرقد الموتى تحت الورود في تراب مقدس شُحن من القدس. وأخيرًا، بعد أن عمل لسنوات طويلة في مدن مختلفة وجمع الكثير من الذهب، تمنى أن يرى مرة أخرى مدينة أريتسو الطيبة، أمه. لم ينس أهل أريتسو كيف كان سبينيلو، في شبابه، بعد أن التحق بأخوية سانتا ماريا ديلا ميزيريكورديا، يزور المرضى ويدفن الموتى في وباء عام ١٣٨٣. وكانوا ممتنين له أيضًا لأنه نشر شهرة مدينتهم في جميع أنحاء توسكانا من خلال أعماله. ولهذا السبب رحبوا به بحفاوة بالغة لدى عودته.
كان لا يزال مفعمًا بالحيوية في شيخوخته، فتولى مهامًا مهمة في بلدته الأم. كانت زوجته تقول له:
أنت غني يا سبينيلو. هل تستريح وترحل؟ يا شباب، أطلب منكم أن ترسموا بدلاً مني. من اللائق أن ينهي الإنسان أيامه في هدوءٍ دينيٍّ هادئ. من المُغري أن يُقيم الله إلى الأبد آثاراً دنيوية جديدة، مجرد أبراج بابل الوثنية. كفّوا عن ألوانكم وورنيشاتكم يا سبينيلو، وإلا ستُدمر راحة بالكم.

لذا كانت السيدة الطيبة ستعظ، لكنه رفض الاستماع، لأن فكرته الوحيدة كانت زيادة ثروته وشهرته. وبدلًا من الاكتفاء بما حققه، رتب سعرًا مع حراس سانت أنيولو لتاريخ القديس ميخائيل، الذي كان من المفترض أن يغطي جوقة الكنيسة بأكملها ويحتوي على عدد لا نهائي من الشخصيات. ألقى بنفسه في هذا المشروع بحماس غير عادي. أعاد قراءة أجزاء الكتاب المقدس التي كانت ستلهمه، وشرع في دراسة كل سطر وكل كلمة من هذه المقاطع بعمق. لم يكتف بالرسم طوال اليوم في ورشته، بل استمر في العمل على السرير واللوح؛ بينما عند الغسق، كان يسير أسفل التل الذي ترفع أريتسو جدرانها وأبراجها بفخر على جبهته، لا يزال غارقًا في التفكير. ويمكننا القول إن قصة رئيس الملائكة كانت محددة بالفعل في ذهنه عندما بدأ في رسم الأحداث بالطباشير الأحمر على جص الجدار. سرعان ما انتهى من تتبع هذه الخطوط العريضة؛ ثم انصرف إلى رسم المشهد فوق المذبح العالي، المشهد الذي فاق كل المناظر الأخرى في تألقه. فقد كان قصده من ذلك تمجيد قائد جيوش السماء على النصر الذي حققه قبل بدء الزمان. وبناءً على ذلك، صوّر سبينيلو القديس ميخائيل وهو يقاتل في الهواء ضد الثعبان ذي الرؤوس السبعة والقرون العشرة، وصوّر بسرور، في الجزء السفلي من الصورة، الأمير[254] الشيطان، لوسيفر، في هيئة وحشٍ مُرعب. بدت الشخصيات وكأنها تنمو من تلقاء نفسها تحت يده. فاق نجاحه أقصى آماله؛ كان وجه لوسيفر بشعًا لدرجة أن أحدًا لم يستطع الهروب من كابوسه القبيح. طارد الوجه الرسام في الشوارع، حتى أنه كان يرافقه إلى مسكنه.

عندما حلّ الليل، استلقى سبينيلو على فراشه بجانب زوجته ونام. في نومه، رأى ملاكًا وسيمًا كالقديس ميخائيل، لكنه أسود؛ فقال له الملاك:

سبينيلو، أنا لوسيفر. أخبرني، أين رأيتني حتى ترسمني بهذه الصورة المخزية؟

أجاب الرسام العجوز وهو يرتجف أنه لم يره قط بعينيه، ولم ينزل حياً إلى الجحيم مثل السيد دانتي أليغييري؛ ولكن عندما رسمه بهذه الطريقة، كان يهدف إلى التعبير بخطوط وألوان مرئية عن بشاعة الخطيئة.
هز لوسيفر كتفيه، وبدا فجأة أن تلة سان جيميجنانو تهتز وتتأرجح.

«سبينيلو»، تابع، «هل تسمح لي بالنقاش معي قليلًا؟ أنا لستُ منطقيًا بخيلًا؛ من تُصلي إليه يعلم ذلك.»
ولما لم يتلق لوسيفر أي رد، واصل حديثه بهذه الشروط:
سبينيلو، لقد قرأتَ الكتب التي تحكي عني. أنت تعرفُ مشروعي، وكيف تخلّيتُ عن السماء لأصبحَ أميرَ هذا العالم. مغامرةٌ هائلةٌ وفريدةٌ، لو لم يُهاجم العمالقةُ الإلهَ جوبيتر بنفس الطريقة، كما رأيتَ أنتَ،[255] "سبينيلو، تم تسجيله على قبر قديم حيث تم نحت هذه الحرب التيتانيكية في الرخام."
قال سبينيلو: «صحيح، لقد رأيتُ القبر، على شكل برميل كبير، في كنيسة سانتا ريباراتا في فلورنسا. إنه عملٌ رومانيّ رائع».
"ولكن،" أجاب لوسيفر مبتسمًا، "لم يتم تصوير العمالقة على شكل ضفادع أو حرباء أو مخلوقات بشعة ومروعة مماثلة."
«صحيح»، أجاب الرسام، «ولكنهم لم يهاجموا الإله الحقيقي، بل صنمًا زائفًا للوثنيين. إنه فرق شاسع. الحقيقة واضحة يا لوسيفر، لقد رفعتَ راية الثورة على الملك الحقيقي والحقيقي للأرض والسماء».
قال لوسيفر: "لن أنكر ذلك. وكم من الخطايا تتهمني بها بسبب ذلك؟"
«سبعة، هذا يكفي»، أجاب الرسام، «والخطايا المميتة جميعها».
"سبعة!" هتف ملاك الظلام؛ "حسنًا! الرقم قانوني. كل شيء في تاريخي، المرتبط ارتباطًا وثيقًا بتاريخ الله، يُحسب بالسبعات. يا سبينيلو، أنت تعتبرني مغرورًا وغاضبًا وحسودًا. لا أعترض، طالما أنك تُقر بأن المجد كان غايتي الوحيدة. هل تعتبرني طماعًا؟ مُسلّمٌ به مجددًا؛ الطمع فضيلة

للأمراء. أما الشراهة والشهوة، فإذا اعتبرتني مذنبًا، فلن أشتكي. يبقى الكسل."

وبينما كان ينطق بالكلمة، عقد لوسيفر ذراعيه على صدره، وهز رأسه الكئيب، وألقى بخصلات شعره المشتعلة:

قل لي يا سبينيلو، هل تعتقد حقًا أنني كسول؟ هل تعتبرني جبانًا؟ هل تعتقد أنني...[256] أني في ثورتي أظهرتُ نقصًا في الشجاعة؟ كلا! لا يمكنك. حينها كان الأمر مجرد تصويري في صورة بطل، بوجهٍ مُتكبّر. لا يجب أن تظلم أحدًا، ولا حتى الشيطان. ألا ترى أنك تُهين من تُصلي إليه، عندما تُعطيه عدوًا ضارًا وحشي؟ يا سبينيلو، أنت جاهلٌ جدًا بالنسبة لرجلٍ في سنك. لديّ جرأةٌ كبيرةٌ على شدّ أذنيك، كما يفعلون مع تلميذٍ ضعيف التكوين.

وعند هذا التهديد، وعندما رأى ذراع لوسيفر ممتدة نحوه بالفعل، صفق سبينيلو بيده على رأسه وبدأ يصرخ من الرعب.

استيقظت زوجته الصالحة مذعورة، وسألته عما يزعجه. أخبرها بأسنانه المصطكّة كيف رأى لوسيفر للتوّ، وكيف كان يخشى سماعه.

"لقد أخبرتك بذلك"، ردت السيدة الفاضلة، "كنت أعلم أن كل تلك الشخصيات التي ستستمر في رسمها على الجدران ستؤدي في النهاية إلى جنونك".

"لستُ مجنونًا"، احتجّ الرسام. "رأيته بأم عينيّ؛ وهو جميل المنظر، وإن كان فخورًا وحزينًا. أول شيء غدًا سأمحو الصورة البشعة التي رسمتها، وأضع مكانها الشكل الذي رأيته في حلمي. فلا يجب أن نظلم حتى الشيطان نفسه."

"من الأفضل أن تنام مجددًا"، وبخته زوجته. "أنت تتكلم هراءً محضًا، بل وغير مسيحي أيضًا."

حاول سبينيلو النهوض، لكن قواه خارت، فسقط فاقدًا للوعي على وسادته. بقي بضعة أيام يعاني من حمى شديدة، ثم مات.

19- الشيطان

بقلم مكسيم غوركي

الحياة عبء في الخريف، موسم الاضمحلال والموت الحزين!

الأيام الرمادية، والسماء الباكية الخالية من الشمس، والليالي المظلمة، والرياح الهادرة المتذمرة، وظلال الخريف السوداء الثقيلة - كل ذلك يدفع سحب الأفكار القاتمة فوق الروح البشرية، ويملؤها بخوف غامض من الحياة حيث لا شيء دائم، كل شيء في حالة تدفق أبدي؛ تولد الأشياء، تتحلل، تموت... لماذا؟... لأي غرض؟...

أحيانًا تخوننا القوة في مواجهة الأفكار المظلمة التي تُحاصر الروح في أواخر الخريف، لذا على من يريد تخفيف مرارته أن يلتقِ بها في منتصف الطريق. فهذه هي الطريقة الوحيدة التي تُمكّنه من الفرار من فوضى اليأس والشك، والولوج إلى أرض الثقة بالنفس.

لكنه طريقٌ شاق، يمر عبر شجيراتٍ شائكة تُمزّق القلب الحي، وعلى هذا الطريق يتربص الشيطان دائمًا. إنه ذلك الشيطان الأعظم، الذي عرّفنا عليه غوته العظيم...

قصتي هي عن هذا الشيطان.

لقد عانى الشيطان من الملل.

إنه حكيم جدًا لدرجة أنه لا يسخر من كل شيء.

يعلم أن هناك ظواهر في الحياة لا يستطيع الشيطان نفسه أن يسخر منها؛ على سبيل المثال، لم يستخدم قط مشرطه الحاد في سخريته لحقيقة وجوده الجليلة. في الحقيقة، شيطاننا المفضل أكثر جرأة منه ذكاءً، ولو دققنا النظر فيه، لوجدنا أنه، مثلنا، يُضيع معظم وقته في تفاهات. لكن من الأفضل أن نترك هذا الأمر وشأنه؛ فنحن لسنا أطفالًا نكسر أفضل ألعابهم لنكتشف ما فيها.

تجول الشيطان ذات مرة في المقبرة في ظلمة ليلة خريفية: شعر بالوحدة، فصفّر بصوت خافت وهو ينظر حوله باحثًا عن شيء يصرف انتباهه. صفّر أغنية قديمة - أغنية والدي المفضلة -

"عندما، في أيام الخريف،
ورقة من غصنها ممزقة
"وعلى الأعالي تحملها الريح."

وغنّت الريح معه، تهبّ فوق القبور وبين الصلبان السوداء، وزحفت غيوم خريفية ثقيلة ببطء فوق السماء، وسقت بدموعها الباردة مساكن الموتى الضيقة. صرّرت الأشجار الحزينة في المقبرة بخجل تحت ضربات الريح، ومدّت أغصانها العارية إلى السحب الصامتة. كانت الأغصان تلتقطها الصلبان بين الحين والآخر، ثمّ مرّ فوق فناء الكنيسة صوتٌ خافت، متثاقل، مرعب...

وكان الشيطان يصفر، وفكر:

"أتساءل كيف يشعر الموتى في مثل هذا الطقس! لا[259] لا شك أن الرطوبة تنزل عليهم، ورغم أنهم محصنون ضد الروماتيزم منذ يوم وفاتهم، إلا أنني أظن أنهم لا يشعرون بالراحة. كيف لو اتصلتُ بأحدهم وتحدثتُ معه؟ سيكون ذلك مصدر تشتيت لي، وربما له أيضًا. سأتصل به! في مكان ما هنا، دفنوا صديقًا قديمًا لي، كاتبًا... كنتُ أزوره في حياته... لمَ لا نجدد معرفتنا؟ أمثاله دقيقون للغاية. سأبحث إن كان القبر يرضيه تمامًا. لكن أين قبره؟

والشيطان الذي يعرف كل شيء كما هو معروف، تجول طويلاً حول المقبرة، قبل أن يجد قبر المؤلف....

"أوه هناك!" نادى وهو يطرق بمخالبه على الحجر الثقيل الذي كان معارفه تحته.

"استيقظ!"

"لماذا؟" جاء الجواب الممل من الأسفل.

"أنا بحاجة إليك."

"لن أستيقظ."
"لماذا؟"
"من أنت على أية حال؟"
"أنت تعرفني."
"الرقيب؟"
"هاهاهاها! لا!"
"ربما شرطي سري
"لا، لا!"
"وأنت لست ناقدًا أيضًا؟"
"أنا الشيطان."
"حسنًا، سأخرج في دقيقة واحدة."
ارتفع الحجر من القبر، فانفجرت الأرض، وخرج منه هيكل عظمي. كان هيكلًا عظميًا عاديًا، تمامًا كما يدرس الطلاب علم التشريح: إلا أنه كان متسخًا، بلا أسلاك، وفي محاجره الفارغة كان يضيء ضوء فوسفوري أزرق بدلًا من العينين. زحف خارجًا من الأرض، وهز عظامه ليتخلص من التراب الملتصق بها، مُصدرًا صوتًا جافًا خشخشيًا معها، ثم رفع جمجمته، ونظر بعينيه الزرقاوين الباردتين إلى السماء الكئيبة المغطاة بالغيوم. قال الشيطان: "أتمنى أن تكون بخير!"
"كيف لي أن أكون؟" أجاب المؤلف باقتضاب. تكلم بصوت غريب ومنخفض، كما لو أن عظمتين تصطدمان ببعضهما.
"أوه، عذراً على تحيتي!" قال الشيطان بلطف.
"لا بأس!... ولكن لماذا ربّتني؟"
"أردت فقط أن أتجول معك، على الرغم من أن الطقس سيئ للغاية.
"أعتقد أنك لست خائفًا من الإصابة بنزلة برد؟" سأل الشيطان.
"لا على الإطلاق، لقد اعتدت على الإصابة بنزلات البرد طوال حياتي."
نعم، أتذكر أنك متّ باردًا جدًا.

"أفترض أنني فعلت! لقد صبّوا عليّ ما يكفي من الماء البارد طوال حياتي."
ساروا جنبًا إلى جنب على الدرب الضيق، بين القبور والصلبان. سقط شعاعان أزرقان من عينيّ الكاتب على الأرض، فأضاءا الطريق للشيطان. هطل عليهما مطر خفيف، وعبرت الريح بحرية بين ضلوع الكاتب العارية. ومن خلال صدره حيث لم يعد هناك قلب.
"نحن ذاهبون إلى المدينة؟" سأل الشيطان.
"ما الذي يثير اهتمامك هناك؟"
"الحياة يا سيدي العزيز" قال المؤلف بحماس.
ماذا! هل لا يزال له معنى بالنسبة لك؟
"لقد فعل ذلك بالفعل!"
"ولكن لماذا؟"
كيف لي أن أقول ذلك؟ يقيس الإنسان كل شيء بمقدار جهده، وإذا حمل حجرًا عاديًا من قمة جبل أرارات، أصبح ذلك الحجر جوهرة له.
"المسكين!" ابتسم الشيطان.
"ولكن الرجل السعيد أيضًا!" رد المؤلف ببرود.
هز الشيطان كتفيه.
غادروا ساحة الكنيسة، وأمامهم كان هناك شارع - صفين من المنازل، وبينهما كان الظلام دامسًا، حيث كانت المصابيح البائسة تثبت بوضوح عدم وجود ضوء على الأرض.
"أخبرني،" قال الشيطان بعد توقف، "كيف يعجبك قبرك؟"
"لقد اعتدت على ذلك الآن، وكل شيء على ما يرام: إنه هادئ للغاية هناك."
"أليس الجو رطبًا هناك في الخريف؟" سأل الشيطان.
قليلاً. لكنك تعتاد على ذلك. أكبر مصدر إزعاج يأتي من أولئك الحمقى الذين يتجولون في المقبرة ويتعثرون بقبري بالصدفة. لا أعرف كم من الوقت مضى وأنا في قبري، فأنا وكل ما حولي ثابت، ومفهوم الزمن غير موجود بالنسبة لي."

"لقد بقيت في الأرض أربع سنوات، وسوف تصبح خمس سنوات قريبًا"، قال الشيطان.
حقًا؟ حسنًا، كان هناك ثلاثة أشخاص عند قبري خلال تلك الفترة. هؤلاء الملعونون يُثيرون قلقي. أحدهم، كما ترى، أنكر وجودي على الفور: قرأ اسمي على شاهد القبر وقال بثقة: "لم يكن هناك رجل كهذا قط! لم أقرأ له قط، مع أنني أتذكر اسمه: عندما كنت صبيًا، عاش رجل بهذا الاسم وكان يملك محلًا للوساطة في شارعنا". ما رأيك؟ نُشرت مقالاتي لمدة ستة عشر عامًا في أشهر الدوريات، وصدرت كتبي ثلاث مرات خلال حياتي في طبعات منفصلة.
"لقد صدرت نسختان أخريان منذ وفاتك"، أبلغه الشيطان.
حسنًا، أرأيت؟ ثم جاء اثنان، وقال أحدهما: "أوه، هذا هو ذاك الرجل!" أجاب الآخر: "بلى، هذا هو!". "نعم، كانوا يقرأونه في اللغة القديمة." "يقرؤون الكثير منها." "بماذا كان يُبشر؟" "أوه، عمومًا، أفكار عن الجمال والخير، وما إلى ذلك." "أوه، نعم، أتذكر." "كان لسانه ثقيلًا." "هناك الكثير منها في الأرض: نعم، روسيا غنية بالمواهب"... ورحل أولئك الحمقى. صحيح أن الكلمات الدافئة لا ترفع درجة حرارة القبر، ولا أُبالي بذلك، ومع ذلك يُؤلمني. وآه، كم تمنيت أن أُشاركهم ما في قلبي!"
"كان ينبغي عليك أن تعاقبهم بقسوة!" ابتسم الشيطان.[263]
لا، لم يكن ذلك ليُجدي نفعًا. ففي مطلع القرن العشرين، سيكون من السخافة أن يُوبّخ الموتى، كما سيكون الأمر صعبًا على الماديين.
وشعر الشيطان مرة أخرى بالملل يسيطر عليه.
لطالما تمنى هذا الكاتب في حياته أن يكون عريسًا في كل الأفراح وجثة في كل المآتم، والآن وقد مات كل شيء فيه، لا تزال أنانيته حية. هل للإنسان أي أهمية في الحياة؟ الروح البشرية وحدها هي المهمة، والروح وحدها تستحق التصفيق والتقدير... ما أشد إزعاج الناس! كان الشيطان على وشك أن يقترح على الكاتب العودة إلى قبره، عندما لمعت في رأسه فكرة شريرة. كانا قد وصلا لتوّهما إلى ساحة، وأحاطت بهما أكوام ضخمة من المباني

من جميع الجهات. غطت السماء المظلمة الرطبة الساحة؛ بدت وكأنها تستقر على الأسطح وتنظر بنظرة قاتمة إلى الأرض القذرة.
"قل،" قال الشيطان وهو يميل بلطف نحو المؤلف، "ألا تريد أن تعرف كيف حال زوجتك؟"
"لا أعلم إن كنت أريد ذلك أم لا" تحدث المؤلف ببطء.
"أرى أنك جثة كاملة!" نادى الشيطان لإزعاجه.
"أوه، لا أعرف؟" قال المؤلف وهو يهز عظامه بخفة. "لا أمانع رؤيتها؛ لكنها لن تراني، وإن رأتني، فلن تتعرف عليّ!"
"بالطبع!" طمأنه الشيطان.
"أنت تعلم، لقد قلت ذلك فقط لأنها لم ترغب في أن أبقى بعيدًا عن المنزل لفترة طويلة"، أوضح المؤلف.
وفجأة، اختفى جدار منزل، أو أصبح شفافًا كالزجاج. رأى المؤلف داخل الشقق الكبيرة، فكانت في غاية الدفء والضيافة.
"تجهيزات أنيقة!" صر على عظامه موافقًا: "تجهيزات رائعة جدًا! لو كنتُ أعيش في مثل هذه الغرف، لكنتُ على قيد الحياة الآن."
"أنا أيضًا أحبه،" قال الشيطان مبتسمًا. "وهو ليس باهظ الثمن - يكلف حوالي ثلاثة آلاف فقط."
همم، أليس هذا باهظ الثمن؟ أتذكر أن أكبر عمل لي كلّفني 815 روبلًا، وعملتُ عليه عامًا كاملًا. لكن من يسكن هنا؟
"زوجتك" قال الشيطان.
"أُعلن! هذا جيد... لها."
"نعم، وها هو زوجها يأتي."
إنها جميلةٌ جدًا الآن، وما أجمل ملابسها! زوجها، كما تقول؟ يا له من رجلٍ وسيم! يبدو أشبه بشخصٍ برجوازيٍّ، لطيف، لكنه غبيٌّ بعض الشيء! يبدو وكأنه ماكر، حسنًا، الوجه الذي يُرضي المرأة.
"أتريدني أن أتنهد لك؟" اقترح الشيطان ونظر إلى الكاتب نظرة خبيثة. لكنه كان منشغلاً بالمشهد الذي أمامه.

يا لهما من وجهين سعيدين ومبهجين! من الواضح أنهما راضيان عن حياتهما. أخبريني، هل تحبه؟
"أوه نعم، كثيرًا جدًا!"
"ومن هو؟"
"موظف في متجر للقبعات."
«بائع في محل قبعات نسائية»، كرر المؤلف ببطء ولم ينطق بكلمة لفترة.
نظر إليه الشيطان وابتسم ابتسامةً مرحة.
"هل يعجبك ذلك؟" سأل.
تحدث المؤلف بجهد:
"كان لدي بعض الأطفال.... أعرف أنهم على قيد الحياة.... كان لدي بعض الأطفال.... ابن وابنة.... اعتدت أن أعتقد حينها أن ابني سيصبح رجلاً صالحًا بمرور الوقت...."
"هناك الكثير من الرجال الصالحين، لكن ما يحتاجه العالم هو الرجال الكاملون"، قال الشيطان ببرود وأطلق صافرة مسيرة مرحة.
"أعتقد أن الكاتب ربما يكون مُربيًا سيئًا ... وابني ..."
اهتزت جمجمة المؤلف الفارغة بحزن.
انظروا كيف يحتضنها! إنهم يعيشون حياةً هانئة! هتف الشيطان.
نعم. هل هذا الكاتب غني؟
"لا، لقد كان أفقر مني، لكن زوجتك غنية."
زوجتي؟ من أين حصلت على المال؟
"من بيع كتبك!"
"آه!" قال المؤلف وهو يهز جمجمته العارية الفارغة. "آه! إذًا، هذا يعني ببساطة أنني عملت لدى كاتب معين؟"
"أعترف أن الأمر يبدو بهذه الطريقة"، تدخل الشيطان بمرح.
فنظر المؤلف إلى الأرض وقال للشيطان: أعدني إلى قبري!

... كان الوقت متأخرًا. هطل المطر، وغطت السحب الكثيفةالسماء، والمؤلف يهز عظامه وهو يسير بسرعة إلى قبره.... وكان الشيطان يسير خلفه ويصفر بمرح.
قارئي، بالطبع، غير راضٍ. قارئي مُتخم بالأدب، وحتى من يكتبون لإرضائه فقط، نادرًا ما يُرضونه. في هذه الحالة، قارئي أيضًا غير راضٍ لأنني لم أذكر شيئًا عن الجحيم. ولأن قارئي مُقتنعٌ تمامًا بأنه سيجد طريقه إليه بعد الموت، فإنه يرغب في معرفة شيء عن الجحيم في حياته. في الحقيقة، لا أستطيع أن أخبر قارئي بأي شيء مُفرح في هذا الصدد، لأنه لا وجود للجحيم، ولا جحيم ناري يسهل تخيله. ومع ذلك، هناك شيء آخر، أفظع بكثير.
في اللحظة التي يقول فيها الطبيب لأصدقائك عنك: "لقد مات!" ستدخل إلى فضاء لا يقاس، مضاء، وهذا الفضاء هو فضاء وعي أخطائك.
أنت ترقد في القبر، في نعش ضيق، وحياتك البائسة تدور حولك مثل العجلة.
إنه يتحرك ببطء شديد، ويمر أمامك من خطوتك الواعية الأولى إلى اللحظة الأخيرة في حياتك.
سوف ترى كل ما أخفيته عن نفسك طوال حياتك، كل الأكاذيب ودناءة وجودك: سوف تفكر من جديد في كل أفكارك الماضية، وسوف ترى كل خطوة خاطئة قمت بها، - سيتم تجاوز كل حياتك، حتى أدق تفاصيلها!
ولزيادة عذابك، ستعرف أنه على هذا الطريق الضيق والغبي الذي عبرته، يسير الآخرون، ويدفعون بعضهم بعضًا، ويسارعون،[267] والكذب... وأنت تفهم أنهم يفعلون كل هذا فقط لكي يكتشفوا مع مرور الوقت مدى العار الذي ينتابهم من العيش في مثل هذه الحياة البائسة الخالية من الروح.
ورغم أنك تراهم يسارعون نحو هلاكهم، فلن تتمكن بأي حال من تحذيرهم: لن تتحرك ولن تبكي، ورغبتك اليائسة في مساعدتهم ستمزق روحك إلى أشلاء.

تمر حياتك أمامك، وترى ذلك من البداية، وليس هناك نهاية لعمل ضميرك، ولن تكون هناك نهاية... ولن تكون هناك نهاية أبدًا لهول عذاباتك... أبدًا!

20- الشيطان والرجل العجوز

بقلم جون ماسفيلد

في قديم الزمان، في شمال تشيستر، كان هناك رجلٌ لم يُفلح قط. لم يُفلح أي شيءٍ سعى إليه، ومع تدهور حالته، ابتعد عنه أصدقاؤه، وزاد يأسه. لذا، في إحدى الليالي، بينما كان وحيدًا في غرفته، يُفكر في الإيجار المستحق بعد يومين أو ثلاثة، والمال الذي لم يستطع جمعه، صرخ قائلًا: "ليتني أستطيع بيع روحي للشيطان مثل ذلك الرجل الذي تحكي عنه الكتب القديمة".

والآن بينما كان يتحدث، ضربت الساعة الثانية عشرة، وبينما كانت تدق، بدأت شرارة تحترق في أرجاء الغرفة، وبدأ الهواء فجأة يفوح برائحة الكبريت، وقال صوت:

هل ستناسبك هذه الشروط؟

ثم رأى أحدهم قد وضع رقًا هناك. التقطه وقرأه، وفي يأسٍ لا يدري ما يفعل، أجاب: "نعم"، ونظر حوله باحثًا عن قلم.

«خذ ووقّع»، قال الصوت مرة أخرى، «ولكن فكّر أولًا فيما تفعله؛ لا تفعل شيئًا بتهوّر. فكّر جيدًا».

ففكر قليلا، ثم قال: "نعم، سأوقع"، ثم تلمس طريقه إلى القلم.

"دم من إبهامك الأيسر وعلامتك" قال الصوت.

ثم وخز إبهامه الأيسر ووقع.

قال الصوت: «هذا عربونك، تسعة وعشرون بنسًا فضيًا. سأراك مجددًا بعد عشرين عامًا».

في الصباح الباكر، استعاد صديقنا وعيه وشعر كأنه من الغرقى. قال: "يا له من حلم!" ثم استيقظ فرأى التسعة والعشرين بنسا فضية، وشمّ رائحة كبريت خفيفة.

فجلس على كرسيه هناك، وتذكر أنه باع روحه للشيطان لمدة عشرين عامًا من شهوة القلب؛ ومهما كانت المخاوف التي قد تكون لديه بشأن ما قد

يحدث في نهاية تلك الأعوام العشرين، فقد وجد العزاء في فكرة أن عشرين عامًا هي فترة جيدة من الزمن، وأنه خلال هذه الفترة يمكنه أن يأكل ويشرب ويمرح ويتدحرج بالذهب ويرتدي الحرير ويكون خاليًا من الهموم، وقلبه مرتاح وشراعه متجهًا إلى الريح.

عاش تسعة عشر عامًا وتسعة أشهر في رخاء، ساعيًا وراء رغبات قلبه في كل شيء؛ ولكن عندما شارفت سنواته العشرين على الانتهاء، لم يكن هناك رجلٌ أشقى من ذلك المسكين في العالم. فتخلى عن منزله ووظيفته وثروته وكل شيء، وانطلق إلى ميناء ليفربول، حيث وقّع عقدًا باسم أ. ب.، على متن سفينة بلاك بول، وهي سفينة شحن شاي، متجهة إلى بحار الصين.

لقد نجحوا في الخروج برحلة رائعة، وعندما لم يتبق لصديقنا سوى ثلاثة أيام، كانوا في المحيط الهندي مستلقين في حالة من الكسل والهدوء.

والآن كانت عجلته في ذلك الصباح، وكانت ميتة[270] كان هادئًا، كل ما كان عليه فعله هو مجرد التفكير في الأشياء؛ بالطبع لم يكن للسفينة أي طريق إليها.

لقد وقف هناك متمسكًا بالأسلاك، يتأوه ويبكي حتى، قبل حوالي عشرين دقيقة من دقات الأجراس الثمانية، جاء القبطان ليأخذ دوره على سطح السفينة.

ذهب إلى الخلف، بالطبع، ونظر عاليًا، فرأى صديقنا يبكي خلف عجلة القيادة. قال: "مرحبًا يا صديقي، لماذا، ما كل هذا؟ هل أنت بخير؟ من الأفضل أن تبقى في الخلف لتناول جرعة من الملح في الرابعة مساءً الليلة."

"لا يا كابتن"، قال الرجل، "لا يوجد أملاح يمكنها أن تشفي مرضي أبدًا".

"ما كل هذا؟" قال الرجل العجوز. "لا بد أنك مريض إن كان الأمر بهذا السوء. لكن هيا، خدك غائر، وتبدو وكأنك لم تنم جيدًا. ما الذي يزعجك على أي حال؟ هل لديك أي شيء؟"

"يا كابتن،" يجيب بجدية شديدة، "لقد بعت روحي للشيطان."

قال الرجل العجوز: "يا إلهي، هذا سيء للغاية. سيء للغاية. لم أتخيل قط أن مثل هذه الأمور قد تحدث خارج إطار الكتاب."

قال صديقنا: «لكن هذا ليس أسوأ ما في الأمر يا كابتن. بعد ثلاثة أيام، سيأخذني الشيطان إلى المنزل».

يا إلهي! تأوه الرجل العجوز. "يا إلهي، هناك احتفالٌ رائعٌ على متن سفينتي. لكن هيا،" تابع، "ألم يمنحك الشيطان أي فرصة - لا يوجد أي شرط نجاة؟ فقط فكّر بهدوء للحظة."

"نعم يا كابتن"، قال صديقنا، "عندما قمت بذلك" بعد إتمام الصفقة، همستُ في أذني. قال بهدوء شديد كي لا يسمعني رفيقي: "إذا استطعتُ أن أُكلِّف الشيطان بثلاث مهام لا يستطيع القيام بها، فلماذا إذن يا قبطان؟" قال: "لقد نجوتُ، وأُلغيت هذه الصكّية."

حسنًا، عند هذا ابتسم الرجل العجوز وقال: "دع الأمور لي يا بني. سأتولى أمرك. بعد ذلك، قف، وخذ عجلة القيادة. الآن اركض للأمام، وراقب الوضع جيدًا في الأسفل، وكن مطمئنًا، فسأتولى أمرك. استرح وكن مطمئنًا."

وهكذا يمر ذلك اليوم، واليوم الذي يليه، واليوم الذي يليه كان اليوم الذي كان من المفترض أن يأتي فيه الشيطان.

بمجرد أن تم قرع الأجراس الثمانية في حراسة الصباح، نادى الرجل العجوز جميع الأيدي في الخلف.

"قال، أيها الرجال، لدي مهمة عمل شاملة لكم في هذا الصباح."

"سيدي،" صرخ، "ضعوا كل الأيدي على الجزء العلوي من الشراع الرئيسي وارفعوا مقدمة الشراع لأعلى ولأسفل."

لذا مروا عبر الممرات، وأخذوا المنعطفات، وعزف جون تشانتيمان العجوز هناك ماكينة قص الشعر Black Ball

قادمة إلى أسفل النهر.

وانطلق الفناء بعيدًا إلى رأس الصاري حتى علقت رافعات السفينة في البكرة.

"حسنًا،" قال الرجل العجوز. "الآن، أنزل قاربي الصغير من نصف سطح السفينة ودعها تجرّ بجانبي."
ففعلوا ذلك أيضًا.
"حسنًا،" قال الرجل العجوز. "الآن إلى اللقاء معك، إلى خزانة السلسلة، واستخرج كل بوصة من السلسلة التي تجدها هناك.
وهكذا ذهبوا إلى الأمام، وأضاءت السلسلة وتقشرت على طول سطح السفينة، مما جعلها جاهزة للتشغيل.
"الآن، تشيبس،" يقول الرجل العجوز للنجار، "فقط قم بثني المرساة الاحتياطية إلى نهاية تلك السلسلة، وقم بإزالة قضبان المقدمة استعدادًا لوقت تركها."
ففعلوا هذا أيضًا.
قال الرجل العجوز: "والآن، أحضروا أحواض الثلج من المطبخ. مرروا الثلج إلى هناك يا دكتور. حسنًا. والآن، هيا جميعًا، وامسحوا كل حلقة من تلك السلسلة بطبقة من الشحم بسمك بوصة واحدة."
ففعلوا ذلك أيضًا، وتساءلوا عما يعنيه الرجل العجوز.
"حسنًا،" صرخ الرجل العجوز. "الآن، انزلوا جميعًا! تشيبس، إلى رأس الطائر واستعدوا! سأحتفظ بالورقة يا سيدي! حسنًا."
وهكذا سقطت كل الأيدي في الأسفل؛ أخذ تشيبس كمية من الحشيش إلى الجانب المواجه للرافعة، وسار الرجل العجوز على طول مسار الطقس باحثًا عن علامة على نار الجحيم.
كان لا يزال هادئًا تمامًا - ولكن بعد قليل، نحو ستة أجراس، رفع سحابة سوداء بعيدًا إلى الجانب المواجه للريح، ورأى وميض البرق فيها؛ فقط كانت الومضات حمراء للغاية، وجاءت بسرعة كبيرة.
"الآن،" يقول لنفسه، "قف بجانب."
وبعد قليل تحركت تلك السحابة السوداء باتجاه الريح، بجوار السفينة مباشرة، وجاء وميض أحمر، ورائحة كبريتية قوية، ثم دوى صوت رعد عالٍ عندما صعد الشيطان على متن السفينة.

"صباح الخير يا كابتن" قال.

"صباح الخير يا سيد الشيطان"، يقول الرجل العجوز، "وما الذي تريده على متن سفينتي ؟"

"حسنًا، يا كابتن،" قال الشيطان، "لقد أتيت من أجل روح أحد يديك وفقًا للاتفاقية الموقعة: وبما أن وقتي ممتلئ إلى حد كبير في هذه الأيام الشريرة، آمل ألا تجعلني أنتظره لفترة أطول مما ينبغي."

حسنًا يا سيد شيطان، قال الرجل العجوز، الرجل الذي أتيتَ من أجله نائمٌ في الأسفل في هذه اللحظة. من المؤسف حقًا أن أتصل به حتى يحين الوقت المناسب. لنفترض إذن أنني كلّفتك بثلاث مهام. كيف سيكون ذلك؟ هل لديك أي اعتراض؟

"لا،" قال الشيطان، "أطلق النار في أي وقت تريده.

قال الرجل العجوز: "سيد الشيطان، هل ترى ساحة السطح الرئيسية؟ لنفترض أنك استلقيت عليها وفحصت ثلاثة شعاب مرجانية بمفردك."

"آه، آه، سيدي،" قال الشيطان، وركض على خطوط الفئران، إلى الأعلى، إلى أعلى الصاري وعلى طول الفناء.

حسنًا، عندما وجد الشراع متيبسًا لأعلى ولأسفل، نادى على سطح السفينة:

"هناك في الأسفل! على السطح هناك! أنزلوا يا أحباب!"

"لن أفعل ذلك،" قال الرجل العجوز، "أي أقل من ذلك."

"ارفعوا أشرعتكم إذن،" صرخ الشيطان. "هذا الشراع الرئيسي متيبسٌ من الأعلى إلى الأسفل. كيف لي أن أستوعب ثلاثة شعاب مرجانية والشراع متيبسٌ من الأعلى إلى الأسفل؟"

قال الرجل العجوز: " لا يمكنك فعل ذلك . انزل من هنا! انزل من فوق يا ابن الحافر. هذا واحد بالنسبة لي."”

"نعم،" قال الشيطان، عندما صعد إلى سطح السفينة مرة أخرى، "لا أنكر ذلك يا كابتن. هذا لك."

قال الرجل العجوز وهو يتجه نحو السور: «حسنًا، يا سيد الشيطان، لنفترض أنك ستصعد إلى ذلك القارب الصغير المجاور. هلا تفضلت؟»

"آه، آه، سيدي،" قال، وانزلق إلى أسفل الشلال الأمامي، ودخل في مؤخرة السفينة، وجلس.

"الآن، يا سيد الشيطان،" قال القبطان، وهو يأخذ ملعقة صغيرة من الملح من جيب سترته، "لنفترض أنك قمت بنقل كل الماء من هذا الجانب من القارب إلى هذا الجانب من القارب، باستخدام هذه الملعقة كمغرفة."

حسنًا! - لقد نظر إليه الشيطان فقط.

"قل!" قال أخيرًا، "من أي ولايات نيو إنجلاند تنتمي على أي حال؟"

"ليس جيرسي على أي حال،" قال الرجل العجوز. "هذا أعلى بفارق نقطتين، أليس كذلك يا بني؟"

"نعم،" زمجر الشيطان وهو يصعد على متن السفينة. "هذان اثنان. اثنان لك وواحد للعب. والآن، ما هي أجهزتك التالية؟"

قال الرجل العجوز، وقد بدا عليه البراءة: "سيد الشيطان، كما ترى، لقد جهزتُ سلسلتي لإطلاق المرساة. تشيبس الآن في الخارج، وعندما أُعلن عن الأمر، سيُطلق المرساة. لنفترض أنك أوقفت السلسلة بيديك الكبيرتين ومنعتها من الانسياب. هلا فعلتَ من فضلك؟"

لذلك يخلع الشيطان معطفه ويفرك يديه معًا، ويبتعد شيئًا فشيئًا، ويقف بجانبه.

"كل شيء جاهز، يا كابتن"، كما يقول.

"هل كل شيء جاهز يا تشيبس؟" سأل الرجل العجوز.

"كل شيء جاهز يا سيدي"، يجيب تشيبس.

"إذن، استعد - أطلق المرساة "، وصوت رنين، رنين، رنين، يُسقط تشيبس العجوز الدبوس، فتذهب المرساة الاحتياطية والسلسلة المدهونة إلى عمق خمسة أميال في بحر الله. كما قلت، كانوا في المحيط الهندي.

حسنًا - كان هناك الشيطان، يصنع قبضة هنا وقبضة هناك، والسلسلة الموحلة تنزلق من خلال مخالبه، وفي بعض الأحيان تنطلق سلسلة من الخيوط وتضربه في عينه.
وأخيراً، كان الكابل قد انقطع تقريباً، وركض الشيطان إلى آخر رابط كبير (كان عالقاً في كعب الصاري الأمامي)، ومرر ذراعيه من خلاله، وتمسك به مثل الموت المرعب.
لكن السلسلة ارتعشت بشدة عندما وصلت، حتى انجرفت الحلقة الكبيرة، ويا إلهي، انطلقت من خلال ثقب الحبل، في وابل من الشرر الساطع، حاملةً الشيطان معها. لم يعد هناك شيطان. لقد مات الشيطان.
أما الرجل العجوز، فقد نظر من فوق الأقواس يراقب الفقاعات وهي تنفجر، لكن الشيطان لم ينهض قط. ثم ذهب إلى المغرفة الأمامية وقرع عليها بعنف. مسمار اليد.
"أخرجوا يا حراس الميناء!" نادى، "وأدخلوا قاربي الصغير إلى الداخل.]"

21- الشيطان في دير الراهبات

بقلم فرانسيس أوسكار

وفقًا لأسطورة ألمانية، فإن الشيطان هو سيد جميع الفنون، وبالتأكيد قدم دليلاً كافيًا على موهبته الموسيقية. وقد نسب بعض آباء الكنيسة، وليس من دون سبب وجيه، أصل الموسيقى إلى الشيطان. يقول السيد هونيكر في قصته الشيطانية "الخطيئة العظمى" (1920): "الشيطان هو أعظم الموسيقيين على الإطلاق"، واعترف رولاند هيل منذ زمن بعيد بحقيقة أن الشيطان لديه كل الألحان الجيدة. ولعل أعظم مؤلفاته هي سوناتا ديل ديفولو ، التي كتبها تارتيني عام 1713. هذه التحفة الشيطانية هي موضوع قصة جيرارد دي نيرفال سوناتا دو ديابل (1830). وبينما يعزف الشيطان على جميع الآلات الموسيقية على قدم المساواة، يبدو أنه يفضل الكمان. يظهر الشيطان كعازف كمان في قصيدة " Der Teufel mit der Geige"، التي نُسبت إلى بامفيلوس جينجنباخ السويسري المناهض للبابوية في القرن السادس عشر. في فاوست ليانو (1836) يأخذ مفيستوفيليس الكمان من يدي أحد الموسيقيين في حفل زفاف فلاحي ويعزف قيصرًا شيطانيًا ، يملأ قلوب كل من يسمعه بالشهوانية. عُرضت أوبرا كمان الشيطان في باريس عام 1849. كما عُرضت كمان الشيطان ، وهي عرض شعري رائع من تأليف بنيامين ويبستر، في نفس العام في لندن. في قصته "المخاوف أو إيروس، بلوتوس والمجد "، يقدم بودلير شيطان الحب وهو يحمل كمانًا في يده اليسرى "الذي خدم بلا شك في غناء ملذاته وآلامه". يظهر الشيطان أيضًا كعازف كمان أعرج في أسطورة كاليفورنيا، والتي ظهرت تحت عنوان "كمان الشيطان" في مجلة كاليفورنيا عام 1855. الموت، ابن عم الشيطان الأول، إن لم يكن[280] الأنا البديلة ، تجعل الأرواح، في رقصة الموت، تسير إلى الجحيم على لحن مرح على كمانه. يظهر الموت كموسيقي أيضًا في مزمار هاملين. في هذه الأسطورة، المعروفة جيدًا للعالم الإنجليزي من خلال قصيدة براوننج "عازف مزمار

هاملين" (1843) ومسرحية الآنسة بيبودي " عازف المزمار" (1909)، فإن الفئران هي الأرواح البشرية، التي يسحرها الموت بموسيقاه لتتبعه. في العصور الوسطى، غالبًا ما كانت الروح تُصوَّر على أنها تترك الجسد في شكل فأر. تخرج روح الرجل الصالح من فمه كفأر أبيض، بينما عند موت الخاطئ تهرب الروح كفأر أسود، يمسكه الشيطان ويأخذه إلى الجحيم. سيُذكر أن مفيستوفيليس يطلق على نفسه اسم "سيد الفئران والجرذان" (فاوست ، 1، 1516). ورث الشيطان-الموت هذه الآلة الهوائية من بان ذي القدم الماعز.

يقول لنا ج. ك. هويسمانز في روايته " في الطريق" (1895): "إن الشيطان أكثر انشغالاً في الأديرة منه في المدن، لأنه لديه مهمة أصعب بين يديه".

22- بيلفاغور

بقلم نيكولو مكيافيلي

هذه القصة عن الشيطان بيلفاغور، الذي أرسله زعيمه الشيطاني بلوتو إلى الأرض، حيث تزوج من امرأة دنيوية، لكنه تركها في النهاية اشمئزازًا ليعود إلى الجحيم، هي أيضًا قصة من العصور الوسطى. طبعها جيوفاني بريفيو لأول مرة عام ١٥٤٥، وظهرت للمرة الثانية باسم مكيافيلي عام ١٥٤٩، بعد اثنين وعشرين عامًا من وفاة رجل الدولة الشيطاني. لم يستعير المؤلفان من بعضهما البعض، بل كان لديهما مصدر مشترك في مخطوطة لاتينية من العصور الوسطى، يبدو أنها وقعت في أيدي الإيطاليين أولًا، لكنها نُقلت لاحقًا إلى فرنسا حيث فُقدت. ظهرت قصة زواج الشيطان في عدة نسخ إيطالية أخرى خلال القرن السادس عشر. من بين الروائيين الإيطاليين الذين أعادوا سردها لمصلحة أصدقائهم المتزوجين، يمكن ذكر جيوفان فرانسيسكو سترابارولا، وفرانشيسكو سانسوفينو، وغابرييل تشابويس. في إنجلترا، لم تكن هذه القصة أقل شهرة. أدرجها بارناب ريتشي في مجموعته القصصية عام ١٥٨١، ونراها مجددًا لاحقًا في المسرحيات التالية: "جريم، عامل منجم كرويدون "، المنسوبة إلى أولبيان فولويل (١٥٩٩)؛ "الشيطان وسيدته" بقلم ب. م. هوتون (١٦٠٠)؛ "ماكيافيل والشيطان" بقلم دابورن وهينسلو (١٦١٣)؛ "الشيطان حمار" بقلم بن جونسون (١٦١٦)؛ و "بيلفاغور، أو زواج الشيطان" (١٦٩٠). في فرنسا، عالج لافونتين القصة شعرًا (١٦٩٤)، وفي ألمانيا، استُخدمت كموضوع لمهزلة للشاعر النورمبرغي هانز ساكس (١٥٥٧).

الموسوعة البريطانية هي المرجع الرسمي لهذا البيان[282] أن حياة مكيافيلي الزوجية لم يكن لها أي علاقة بمؤامرة قصته.

فكرة هذه القصة بارعة، وكان من الممكن أن تُحوّل إلى واقعة مسلية لو أن علاقاته الزوجية قادته من جريمة إلى أخرى. لكن بيلفاغور تعيس الحظ فحسب، وليس مذنبًا بأي شكل من الأشكال؛ ولم يحدث خلال إقامته على

الأرض ما يدل على قدرة المرأة على قيادتنا إلى الإدانة النهائية. قصة الفلاح وامتلاك الأميرات لا علاقة لها بالفكرة الأصلية التي تبدأ بها الحكاية، ولا علاقة لها بهدف إقامة النائب الجهنمي على الأرض. (ج. س. دنلوب، تاريخ الخيال). ردّ السيد توماس روسكو على هذا النقد قائلاً: "يبدو أن جزءًا من فكاهة القصة يكمن في أن حياة بيلفاغور الدنيوية قد انقطعت قبل أن يُكمل فترة تدريبه. ولكن من الحماقات والإسراف الذي انغمس فيه بالفعل، يُخوّل لنا الآن الاعتقاد بأنه حتى لو كان قادرًا على تحمل قسوة مزاج السيدة لفترة أطول، فلا بد أنه، بسبب المسار الذي كان يتبعه، قد انجرف من جريمة إلى جريمة، أو على الأقل من حماقة إلى حماقة، إلى درجة أنه كان سيُدان بلا شك" (ت. روسكو، الروائيون الإيطاليون).

لا يُظهر شيطان مكيافيلي أي سمات نفسية عميقة، لكنه يتميز عن شياطين عصره بأسلوبه الأنيق. كخالق، ككائن.

إن بيلفاغور، إله الموآبيين، مثل جميع الآلهة الوثنية الأخرى، انضم إلى القوات الجهنمية للشيطان عندما طرده المنتصر الكنسي من الأرض.

برلمان الشياطين، الذي نجده في هذه القصة، مأخوذ من مسرحيات الغموض حيث يُصوَّر حاكم الجحيم وهو يُقيم حفلات استقبال عرضية عندما يستمع إلى تقارير إنجازاتهم الأخيرة نيابةً عنه، ويستشيرهم في شؤون الدولة. الشيطان، الذي لطالما...[283] أراد أن ينافس الله، فأسس المجلس الجهنمي تقليدًا للمجلس السماوي الموصوف في سفر أيوب. المصدر لبرلمان الشياطين هو كتاب إنجيل نيكوديمي المنحول. طُبع منشور موزون مبكر تحت عنوان برلمان الشياطين مرتين أو ثلاث مرات في لندن حوالي عام 1520. كما عُثر على "بانديمونيوم" في تاسو وميلتون وشاتوبريان. إن برلمان فولز (القرن الرابع عشر) ليس سوى تعديل لبرلمان الشياطين ، لأن الشيطان والأحمق كانا متطابقين في الأصل ويمكن إرجاعهما إلى المهرج الشيطاني للعبادة الوثنية القديمة (راجع كتاب الكاتب الحالي، أصل الكوميديا الكرنفالية الألمانية ، ص 37). صدى بعيد هو قصيدة توماس تشاترتون برلمان العفاريت .

تذكرنا هذه القصة بالمثل الذي يقول أن قلب المرأة الجميلة هو المكان المحبوب الذي يختبئ فيه سبعة شياطين على الأقل.

23- الشيطان وتوم ووكر

بقلم واشنطن إيرفينغ

من خلال اهتمامه بالأساطير الشعبية، يُظهر أول الكتاب الأمريكيين العظماء تعاطفه مع الحركة الرومانسية التي سادت في عصره في جميع دول أوروبا. ومع ذلك، لم يتم استيراد شيطانه من الأراضي الواقعة عبر المحيط الأطلسي، ولكنه جزء من خرافات العالم الجديد. لم يؤمن المؤلف نفسه بـ "أولد سكراتش". كان الشياطين الحقيقيون بالنسبة له هم تجار الرقيق وصائدو الساحرات من شهرة سالم. من المثير للاهتمام الآن قراءة ناقد معاصر لقصة شيطان واشنطن إيرفينغ: "إذا كان السيد إيرفينغ يؤمن بوجود سيد توم ووكر، فلا يمكننا أن نتصور كيف يمكنه أن يمزح عنه بهذه الجدية؛ على أي حال، ننصحه بالحذر خشية أن تثبت تعاويذه أنها قاتلة له" (مراجعة انتقائية ، 1825). كان لدى قلة من الناس في تلك الأيام الشجاعة لأخذ أولد نيك بحسن نية. "حتى السيدة دي ستايل الذكية،" قال جوته، "شعرت بالفضيحة الشديدة لأنني أبقيت الشيطان في مزاج جيد للغاية."

يظهر الشيطان بألوان متعددة، أبرزها الأسود والأحمر. ومن المعتقدات الشائعة في اسكتلندا أن الشيطان رجل أسود، كما يتضح في قصة روبرت لويس ستيفنسون "ثرون جانيت". لا يوجد في التراث التوراتي ما يبرر وجود شيطان أسود. مع ذلك، ظهر الشيطان كإثيوبي منذ زمن آباء الكنيسة. ويُفترض أن اللون الأسود يُشير إلى مسكنه، بينما يُشير اللون الأحمر إلى نيران الجحيم المُحرقة. وكان الشيطان يُعتبر نوعًا من السمندل الأبدي. في...[285] في العهد الجديد، وُصف بأنه شيطان ناري. اعتبرت الأمم الشرقية اللون الأحمر لونًا شيطانيًا. في مصر، كان الشعر الأحمر والحيوانات الحمراء من جميع الأنواع تُعتبر جهنمية. كان أبيس أيضًا أحمر اللون. تُذكرنا لحية الشيطان الحمراء بالإله الإسكندنافي دونار أو ثور، وهو من أصل فينيقي. لطالما رُسم يهوذا في مسرحيات الغموض في العصور

الوسطى بلحية حمراء؛ وحتى يومنا هذا، يُعد الشعر الأحمر علامة على الشخصية المريبة. يظهر الشيطان أيضًا باللون الأصفر، وحتى الأزرق، ولكنه ليس أبيض أو أخضر أبدًا. الشيطان الأصفر أقل سطوعًا بدرجة واحدة من أخيه الناري. الشيطان الأزرق فرد ذو بنية كبريتية. إنه شيطان الكآبة، ويملأنا بـ"الكآبة". بصفته روح الظلام والموت، لا يمكن للشيطان أن يتخذ ألوان الأبيض أو الأخضر، التي هي رموز النور والحياة. إن ذيل التنين الشيطاني، وفقًا للسير والتر سكوت، هو من التقاليد الكتابية، ويأتي من تفسير حرفي لتعبير مجازي.

ستجد بعض الملاحظات المثيرة للاهتمام حول التعبير "الشيطان وتوم ووكر" السائد في بعض أجزاء من هذا البلد كتحذير للمرابين في مقال الدكتور بلوندهايم "الشيطان والدكتور فوستر" في ملاحظات اللغة الحديثة لعام 1918.

24- من مذكرات الشيطان

بقلم فيلهلم هوف

ويحتل فيلهلم هاوف، مؤلف هذا الكتاب، مرتبة مشرفة بين أعضاء المدرسة الرومانسية في ألمانيا. وباعتباره عمل رجل يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا فقط، وقد تخرج للتو من الجامعة، فإن الكتاب يُعد بمثابة فضل لمؤلفه. ومع ذلك، يجب الاعتراف بأنه لم يكن أصليًا تمامًا معه. فقد أُخذت الفكرة من إي. تي. إيه. هوفمان، - ديفيل-هوفمان، كما أطلق عليه معاصروه، - الذي في قصته القصيرة "Der Teufel in Berlin" يسافر الشيطان متخفيًا في ألمانيا أيضًا؛ وتم استعارة العنوان من جان بول ريختر، الذي ادعى أيضًا أنه حرر مختارات من أوراق الشيطان (Auswahl aus des Teufels Papieren، 1789). وكان هناك آخرون أيضًا زعموا أنهم قد شرفهم جلالته الشيطانية بتحرير "مذكراته". نشر جيه. آر. بيرد، وهو قس توحيدي، في عام 1872 سيرة ذاتية للشيطان . يُقال إنه عُثر على سيرة ذاتية أخرى للشيطان بين أعمال ليونيد أندرييف، مؤلف العمل الشيطاني الأصلي "لعنة"، وهي مأساة (ترجمة إنجليزية عام 1910). وقد ظهر هذا الكتاب مؤخرًا باللغة الإنجليزية تحت عنوان " مذكرات الشيطان" . أما كتاب "مذكرات الشيطان" لفريدريك سولييه (8/1837) فيتكون من مذكرات لا تتعلق بالشيطان نفسه، بل بأشخاص آخرين، وهو ما يتوق الكونت دي لويزي، الشريك البشري في العهد الشيطاني، إلى معرفته بشدة. يتكون كتاب هوف من سلسلة من الأوراق، وهي مترابطة بشكل فضفاض. في بعض المقاطع لا نسمع شيئًا عن كاتب السيرة الذاتية. يبدو أن كاتب السوافيان لم يستطع استيعاب الشيطان إلا بجرعات مثلية. علاوة على ذلك، فإن شيطانه هو[287] شيطانٌ شابٌّ جدًا ومسالمٌ تمامًا. ليس سوى صدىً مُجسَّدًا لأيام دراسة الكاتب. ولعلّ كتاب هوف هو أشهر تجسيدٍ للشيطان في الأدب الألماني.

يُظهر المقطع المُقدَّم هنا الجانبَ الخياليَّ للكتاب في أبهى صوره. سيُعطي الملخصُ التمهيديُّ القصيرُ لمحةً عن جانبه الساخر. كاد الجانبُ الفكاهيُّ أن يختفي في الترجمة. وقد قال البروفيسور براندر ماثيوز ببراعة: "الفكاهةُ الألمانيةُ كالنبيذِ الإيطاليِّ البسيطِ - لا تُقاوَمُ التصدير".

من بين جميع الشعوب، يبدو أن الألمان كانوا يكنّون أطيب المشاعر للشيطان، لأنهم كانوا يعرفونه أكثر. وبالنظر إلى الجسور والكاتدرائيات العديدة التي بناها الشيطان، وفقًا للأساطير، في ألمانيا، لا بد أنه كان زائرًا متكررًا لذلك البلد. في فرانكفورت، حيث استلم مؤلفنا مذكراته بيديه، يوجد ديك مذهّب فوق الجسر تخليدًا للصفقة التي عقدها باني الجسر مع الشيطان لمنحه أول كائن حي يعبر النهر. في يوم الانتهاء من بناء الجسر، رفرف ديك من سلة تسوق امرأة وركض فوق الجسر. امتدت يد تشبه المخلب إلى أسفل وأخذت الجائزة.

الشخصية المرموقة، التي تُشكّل مغامراتها موضوع هذا الكتاب، لا تظهر فيه باسمه الحقيقي، ولا يظهر هنا بزيّ الاحتفال ذي الذيل والقرون والقدم المشقوقة الذي يُزيّن به احتفالات بلوكسبرغ. يستعير بين الحين والآخر شخصيةً نبيلةً طويلة القامة، ذات ملامح رقيقة، يرتدي ملابس أنيقة، ويُبدي اهتمامًا بالغًا بخاتمه وملابسه الكتانية، ويسافر عبر البريد وينزل في أفضل الفنادق. يبدأ حياته العملية بالدراسة في جامعة —— الشهيرة. ولأنه يفخر بثروته الوفيرة وملابسه الأنيقة واسم السيد فون باربي، فلا عجب أن يُستقبل بأدب في أول ليلة، وأن يكون له صديقٌ حميم في صباح اليوم التالي، وأن يُعانق في المساء الثاني "إخوةً حتى الموت". يُصاب بالحيرة الشديدة.

من سلوكيات الطلاب الاستثنائية، ومن لغتهم التي تختلف اختلافًا كبيرًا عن لغة كل ألماني عقلاني. يُلاحظ: "كثيرًا ما كانوا يغوصون، وهم يحتسون كأسًا من البيرة، في تساؤلاتٍ مُتعاليةٍ بشكلٍ فريد، لم أفهم منها إلا القليل أو لا شيء. مع ذلك، كنت أُلاحظ الكلمات الرئيسية، وعندما أُشرك في محادثة، أجبتُ بنبرةٍ جادّة: "الحرية، الوطن، الجنسية". يحضر محاضرات

أستاذٍ مشهور، كان عمقُ فكره وأسلوبه مُذهلًا، لدرجة أن العالم الألماني اعتبره مُهووسًا؛ إلا أن الطالب الناقد يختلف نوعًا ما عن هذا الاستنتاج، مُلاحظًا:

لقد تحملتُ الكثير في هذا العالم. حتى أنني دخلتُ في شرك الخنازير، (قال لوثر: "الشيطان يعرف الكتاب المقدس جيدًا ويستخدمه في الجدل")، ولكن في شرك مثل هذا الفيلسوف؟ كلا، بالطبع! أفضل أن أُعفى من العقاب.

وقعت الحادثة المُعاد نشرها هنا في فندق بمدينة فرانكفورت، حيث يُعرف شخصنا المتخفي باسم السيد فون ناتاس (وهو اسمه الأكثر شيوعًا، كما سيُلاحظ، مقروءًا بالعكس). مهاراته الرائعة في الحديث، ولباقته البارعة، وشجاعته المهذبة، وخياله الأنيق، وإن كان متقلبًا، سرعان ما جعلته محط أنظار جميع الضيوف . وقد انبهر جميع الضيوف، بمن فيهم مؤلفنا، بالغريب الغامض. لكننا سنترك المؤلف يروي قصته بنفسه.

25- عشية القديس يوحنا

بقلم نيكولاي فاسيليفيتش جوجول

هذه القصة، المأخوذة من كتاب "أمسيات في مزرعة قرب ديكانكا" ، وهو سلسلة من الرسومات لحياة الفلاحين الأوكرانيين، تُقدم مثالاً رائعاً على فن الكاتب، الذي جمع بين الرومانسية والواقعية. في هذه الصفحات، رغب غوغول في تسجيل الأساطير والخرافات التي لا تزال سائدة بين عامة الناس في أوكرانيا الحبيبة. ومن الطبيعي أن يتسلل الشيطان من بين صفحات هذا الكتاب. شيطان غوغول هو نتاج التربة الروسية، "روح الشقاوة والمكر، التي يسعى الأدب الروسي دومًا للتغلب عليها والتغلب عليها" (السيدة يارينتزو، الشعراء والقصائد الروسية).

وفقًا للخرافات الأوروبية، فإن ليلة القديس يوحنا هي الأمسية الوحيدة في السنة التي يظهر فيها جلالته الشيطانية بصورته الحقيقية أمام أعين البشر. إذا رغبت في رؤية جلالته وجهًا لوجه، فقف في ليلة القديس يوحنا عند منتصف الليل بالقرب من نبتة خردل. ويشير السير جيمس فريزر في كتابه " الغصن الذهبي" إلى أنه في هواء العالم العلوي البارد، قد ينجذب هذا الأمير القادم من مناخ أكثر دفئًا إلى دفء الخردل.

يُعتقد في أنحاء كثيرة من أوروبا أنه يمكن العثور على الكنوز في ليلة القديس يوحنا عن طريق بذور السرخس. وحتى بدون استخدام هذا النبات، يُقال أحيانًا إن الكنوز تزدهر أو تحترق في الأرض، أو تكشف عن وجودها بلهب أزرق في ليلة منتصف الصيف. وبصفته حارسًا للكنوز، فإن الشيطان هو خليفة القزم.

26- رهان الشيطان

بقلم ويليام ميكبيس ثاكري

رهان الشيطان هو أقدم محاولة لثاكري في كتابة القصة، وقد ساهم في صحيفة أدبية أسبوعية تحمل العنوان المهيب المعيار الوطني، ومجلة الأدب والعلوم والموسيقى والمسرحيات والفنون الجميلة ، والتي كان مالكها ومحررها، وأعيد طبعها في باريس سكيتش بوك (1840). انتهت القصة في البداية بلمسة ثاكري للغاية: "سيتم تقديم العبرة من هذه القصة في عدة أعداد متتالية". في باريس سكيتش بوك، تم تغيير الكلمات الثلاث الأخيرة إلى "الطبعة الثانية". تم توضيح هذه القصة المضحكة من خلال نقش خشبي ممتاز، يمثل الشيطان وهو يبحر في الهواء، ويسحب خلفه السير روجر دي رولو السمين عن طريق ذيله، الملفوف حول رقبة السير روجر.

في "إعلان الطبعة الأولى" من كتابه "باريس سكيتش دفتر الرسم " ، يعترف ثاكري بالأصل الفرنسي لهذه القصة، وكذلك قصته الشيطانية الأخرى " صفقة الرسام" ، الموجودة في نفس المجلد. كان من حسن حظ ثاكري أن يعيش في باريس خلال أعنف وألمع سنوات الرومانسية؛ وبينما لم يكن موقفه تجاه هذه الحركة وقادتها، كما هو موضح في كتاب باريس سكيتش دفتر الرسم ، متعاطفًا تمامًا، إلا أنه مدين لها باهتمامه بالموضوعات الخارقة للطبيعة. وقد تم رفض رومانسية ثاكري بعناد كبير وشغف تقريبًا، لأنه مثل هاينريش هاينه، رئيس الساخرين الرومانسيين الألمان، سخر من هذه الحركة. ولكن "أن تضحك على ما تحب"، كما أشار السيد جورج سانتسبري في كتابه " تاريخ[291] الرواية الفرنسية ، «ليست مسموحة فحسب، بل هي علامة على الحب نفسه».

يُجري ميركوريوس تلاعبًا لفظيًا على الاقتباس المألوف "rara avis" من هوراس (السبت ٢، ٢: ٢٦)، حيث يعني طائرًا نادرًا. يُطلق هذا التعبير عادةً على شخص واحد. كما ورد في هجاءات جوفينال (السادس، ١٦٥).

27- صفقة الرسام

بقلم ويليام ميكبيس ثاكري

يعود الاعتقاد بالاتفاقات مع الشيطان إلى عصور قديمة. يُفترض أن الشيطان، في صراعه مع الله على امتلاك الجنس البشري، قد نما لديه شغفٌ بصيد الأرواح. عند وفاة كل إنسان، يدور صراعٌ حقيقي على روحه بين ملاكٍ يرغب في قيادتها إلى الجنة، وشيطانٍ يحاول جرّها إلى الجحيم (يهوذا 9). ولضمان الروح لنفسه مُسبقًا، يحاول الشيطان شراءها من صاحبها وهو لا يزال على قيد الحياة - vivente corpore ، كما يروي صاحب المطعم في قصة بو. بصفته أمير هذا العالم، يمكنه بسهولة تحقيق حتى أكثر رغبات الإنسان إسرافًا في مقابل روحه. المنصب والثروة والمتعة هي في المقام الأول الأهداف التي يدخل الإنسان من أجلها في اتفاق مع الشيطان. يبيع الكونت دي لويزي في رواية " ذكريات الشيطان" لفريدريك سولييه روحه للشيطان مقابل مبلغٍ غير عادي. ليس الثروة أو المتعة ما يغريه. ما يريده مقابل روحه هو معرفة حياة رفاقه السابقة، "أمرٌ"، كما يُشير السيد سانتسبري ببراعة، "يُقدّر أي شخصٍ عاقلٍ وذو ذوقٍ أن يفعل أي شيءٍ إلا أن يبيع نفسه للشيطان، دون أن يعرفه". يُلبّي الشيطان جميع رغبات مُتعاقده لفترةٍ زمنيةٍ مُحددة، وبعد انقضائها تُصبح الروح ملكًا له. أقرّ البابا إنوسنت الثامن رسميًا، في مرسومه المُشئوم "Summis desiderantes" لعام ١٤٨٤، بإمكانية عقد ميثاقٍ مع الشيطان. كما يؤكد إنكريش ماثر، واعظ نيو إنجلاند، أن العديد من الرجال قد عقدوا "عهودًا ملعونة مع أمير الظلام".”

كان القديس ثيوفيلوس القيليقي، في القرن السادس، أول من اكتشف إمكانية إبرام عقد من هذا النوع. وكان الثمن الذي حدده لروحه هو أسقفية. وقد حلت محل هذه القصة خلال عصر النهضة أسطورة مماثلة تتعلق بالدكتور الألماني فاوستوس. ومن الشخصيات الشهيرة الأخرى التي يُشاع أنها باعت أرواحها للشيطان بدافعٍ أو بآخر دون جوان في إسبانيا،

وتواردوفسكي في بولندا، وميرلين في إنجلترا، وروبرت ديابل في فرنسا. ويُقال أيضًا إن سقراط وأبوليوس وسكاليجر وكاغليوسترو قد أبرموا معه عقودًا.

في عقود الشيطان، يُصرّ الشيطان على أن يُوقّع مُفاوضه البشريّ على الصكّ بدمه، بينما لا يُطالب الإنسان الشيطانَ أبدًا بالتوقيع عليه حتى بالحبر. لطالما كان الطرف البشريّ في الصفقة واثقًا تمامًا بكلمة الشيطان. هناك اعتقادٌ سائدٌ بأنّ الشيطان يُفي بالتزامه دائمًا. لم يُحاول الشيطان، في أيّ من الحكايات الشعبية، التهرّب من الوفاء بنصيبه في الاتفاقية. لكنّ الإنسان، مُخالفًا العقد المكتوب، كثيرًا ما خدع الشيطان وحرمه من حقّه القانونيّ من خلال مُراوغاتٍ فنيّة. يقول غوستاف فرايتاغ: "من الغريب في التقاليد الألمانية أن الشيطان يسعى جاهدًا للوفاء بنصيبه من العقد بحماسٍ وصدق؛ المُخادع هو الإنسان". وفيما يتعلق بالإخلاص لكلمته، لطالما ضرب أبو الكذب قدوةً لضحاياه. قال الشيطان: "أنتم أيها الرجال مخادعون؛ تقطعون شتى أنواع الوعود ما دمتم بحاجة إليّ، وتتركونني في مأزق ما إن تحصلوا على ما تريدون". لم يكن لدى إنسان العصور الوسطى أي رادع بشأن خرقه لعقده مع الشيطان. لطالما اعتبر الوثيقة القانونية الموقعة بدمه "قصاصة ورق". "لكن يبقى العهد مع العدو؛ فالرجل غير ملزم بما يتجاوز الحرف، ويمكنه النجاة بأي حيلة. إنها لا تزال أخلاقيات الحرب. نحن قريبون جدًا من مبدأ أن الإنسان، بالحيلة أو بالالتزام الدقيق بالحرف، قد ينجو من العقاب الأبدي الذي يفرضه الله بشروط، ويتلذذ به الشيطان".[294](إتش. دي. تايلور، العقل في العصور الوسطى).

نستطيع الآن أن نفهم لماذا يبدو للشيطان في قصة يوجين فيلد "دانيال والشيطان" غرابةً كبيرةً حين يُطلب منه ضمانٌ كتابيٌّ بأنه سيفي بدوره بنصيبه من العقد. يبدو أن هذه كانت المرة الأولى التي يُجري فيها الشيطان أي معاملات مع رجل أعمال أمريكي، لا يثق حتى في "نيك العجوز".

في هذه القصة، يشير الشيطان نفسه إلى المثل الشائع القائل بأن الشيطان ليس أسود اللون كما يُصوَّر. حتى جورج هربرت المتدين كتب:

"نحن نرسم الشيطان باللون الأسود، ومع ذلك فهو ......
"فهل فيه خير؟ الكل يتفق على ذلك."

تذكرنا هذه القصة بالمثل القائل: "تحدث عن الشيطان، فيأتي أو يرسل". واشنطن إيرفينج، كما رأينا، يعتقد أنه ليس دائمًا متعاونًا للغاية.

يُقال إن الشيطان، أبو الكذب، هو راعي المحامين. شكّل رجال نقابة المحامين في لندن فرقة "معبد"، التي أُطلق عليها اسم "فرقة الشيطان". أما حانة المحامين في شارع فليت بلندن، فقد أُطلق عليها اسم "الشيطان".

28- بون بون

بقلم إدغار آلان بو

كان لدى هذا الكاتب، الذي كان العالم الداخلي بالنسبة له أكثر واقعية من العالم الخارجي، العديد من الرؤى، وخاصة عن الشيطان. ويبدو أن الاثنين كانا على قدم المساواة. يجب أن نعترف بأن الشيطان ملأ خيال بو حتى لو لم نذهب إلى حد الاتفاق مع منتقديه على أنه استبدل الشيطان بالروح.
سيقول معاصروه، كما هو معروف، عنه: "إنه يمتلك شيطانًا، نعم، سبعة شياطين دخلت فيه". في الواقع، اعتبر منتقدوه هذا الشاعر التعيس تجسيدًا لحاكم الجحيم (راجع مجلة نورث أمريكان ريفيو ، 1856؛ مجلة إدنبرة ريفيو ، 1858؛ مجلة جامعة دبلن ، 1875). لم يكن إلا مؤخرًا أن أعلن كاتب في صحيفة نيويورك تايمز أن بو قد "تعرض لطعنة من قبل الشياطين".

تُقدّم قصة "بون بون" نموذجًا من فكاهة بو القاتمة والغريبة. نُشرت لأول مرة في صحيفة برودواي جورنال في أغسطس ١٨٣٥ .

شيطان هذا الكاتب الأمريكي، الذي يُعتبر الأقل ميلاً إلى أمريكا، ليس وليد خيال العالم الجديد، بل هو جزء من الخيال الأوروبي. وقد وُضعت أحداث القصة بدقة في أرض روبرت لو ديابل.

وصف بو للشيطان، في مجمله، يتوافق تمامًا مع المفهوم السائد لمظهره العادي. حوافره الوحشية وقرونه الوحشية وذيله الوحشي كلها موجودة، مخفية بذكاء تحت ثوب قد يرتديه أي رجل نبيل. الشيطان فخور جدًا بهذا اللقب الذي أطلقه عليه ويليام شكسبير؛ ومن...[296] منذ ذلك الحين، كان طموحه الأكبر أن يكون رجلاً نبيلًا، في مظهره الخارجي على الأقل؛ ويُحسب له أنه نجح في مساعيه للظهور بمظهر الرجل النبيل لدرجة أنه أصبح من الصعب جدًا التمييز بينهما. يُنسب إلى الشيطان في الخيال الشعبي آذان طويلة، وأنف طويل (مُنقلب أحيانًا)، وفم واسع، وأسنان أسد. وبسبب أنيابه، أطلق عليه كُتّاب الكتاب المقدس لقب أسد. ولكن

مع أن أمير الظلام يستطيع أن يتخذ أي شكل في السماء، وفي الأرض، وفي الماء تحت الأرض، إلا أنه لم يظهر قط كأسد. أعتقد أن هذا من باب الاحترام ليهوذا، الذي كان أبوه يُطلق عليه أيضًا اسم أسد. الشعر الكثيف سمة عامة للشيطان. ربما ورث جلده المشعر من الفون والساتير القدماء. يُعتقد أن عيسو كان شيطانًا مشعرًا. "هاري العجوز" هو تحريف لـ "العجوز المشعر". كقاعدة عامة، لا يُصوَّر نيك العجوز أصلعًا، بل رأسه مغطى بخصلات شعر تشبه الثعابين. هذه الخصلات المتعرجة، التي لفّها "الراهب" لويس حول رأس الشيطان، مُستعارة، وفقًا للسير والتر سكوت، من درعِ مينيرفا. أما وجهه، فعادةً ما يكون أصلع. نادرًا ما أُطلقت لحية على الشيطان. من المُرجّح أن لحيته الحمراء على خشبة المسرح في العصور الوسطى جاءت من دونار، الذي غالبًا ما تُمثّله المفاهيم الحديثة عن الشيطان في الخلفية، كما يقول جاكوب غريم. الشياطين ذات اللحى الطويلة ليست أمرًا شائعًا في أي مكان إلا في تصوير الكنيسة الشرقية لملك الجحيم كنظير لملك السماء. الشيطان عديم العينين مُبتكر لدى كاتبنا. يُقدّم تلميذه بودلير في قصته " المُغامرات أو إيروس، بلوتوس والمجد" ثاني هؤلاء المُغوين الثلاثة كوحش عديم العينين. كان لشيطان العصور الوسطى عيونٌ واسعة. ووفقًا لأسطورة روسية، فإن روح الشر التي ترى كل شيء مُغطاة بالعيون. الجانب الجثوي للشيطان تقليدي. باستثناء واحد ملحوظ (تيفون المصري)، تُمثَّل الشياطين دائمًا بشكل نحيف. قال قيصريوس: "شيطان".[297] يقول هيسترباخ من القرن الثالث عشر: "عادةً ما يكون نحيفًا لدرجة أنه لا يُلقي ظلًا" (حوار المعجزات ، الجزء الثالث). هذه السمة موروثة من شيطان الجوع القديم، الذي هو نفسه ظل، لا يُلقي ظلًا. ومع مرور القرون، اكتسب الشيطان جسدًا. تُذكرنا بدلته السوداء الباهتة بشيطان العصور الوسطى الذي ظهر "في أغلاله ممزقًا وممزقًا".

ليس من المستبعد تمامًا أن يكون ظهور الشيطان الكنسي في هذه القصة غير مقصود تمامًا، كما يعتقد المؤلف. وبينما لا يمكن القول إن الشيطان

"من الذين يتجهون غالبًا إلى الخدمة الدينية"، إلا أنه غالبًا ما يلجأ إلى ارتداء ثياب الكهنوت. في رواية "إغراء يسوع" للوكاس فان لايدن، يظهر الشيطان راهبًا يرتدي قلنسوة مدببة.

في مقارنة الروح بالظل، تُذكرنا رواية أدالبرت فون شاميسو، التي باع فيها بيتر شليميل (١٨١٤) ظله للشيطان. وفي قصته "الصياد وروحه"، يعتبر أوسكار وايلد ظل الجسد جسد الروح.

إن كون الشياطين في الجحيم يأكلون الملعونين المحكوم عليهم بالعقاب يتوافق أيضًا مع تقاليد العصور الوسطى. ولعل هذه الفكرة ذات أصل شرقي. فالأرواح الشريرة السبعة الآشورية تميل إلى لحم البشر ودمهم. وينتمي الغيلان ومصاصو الدماء إلى هذه الفئة من الشياطين.

مذراة الشيطان ليست صولجان بلوتو المتشعب المُضاف إليه شوكة أخرى، كما يُعتقد عادةً. إنها رمز الخصوبة القديم، الذي لا يزال يُستخدم كتعويذة للخصوبة من قِبل الهندوس في الهند، وهنود الزوني والأزتك في أمريكا الشمالية والمكسيك. ومن الرموز ذات الصلة رمح بوسيدون أو نبتون الثلاثي. وقد رُفع هذا الرمز مؤخرًا في مسيرة للأطفال بمناسبة عيد العمال في سنترال بارك في نيويورك.

29- شيطان الطابعة

يُفسَّر مصطلح "شيطان المطبعة" عادةً بكون ألدوس مانوتيوس، الطابع الفينيسي العظيم، قد وظّف في مطبعته (حوالي عام ١٤٨٥) عبدًا أسود، كان يُعتقد على نطاق واسع أنه شيطان. قد يكون لهذا التعبير دلالة أعمق. ربما يعود أصله إلى الاعتقاد السائد بأن فوست، مخترع المطبعة، على صلة بالشيطان. يُذكر أنه خلال العصور الوسطى، وفي الدول الكاثوليكية، وحتى بعد ذلك بوقت طويل، كان يُعتقد أن كل اكتشاف علمي، وكل اختراع ذي منفعة مادية للإنسان، كان نتيجة تحالف مع الشيطان. اعتبر أسلافنا أن العقل البشري عاجز، دون مساعدة الشيطان، عن إنتاج أي شيء يتجاوز إدراكه. فُسِّرت الحروف الحمراء التي استخدمها فوست في ختام أقدم مجلداته المطبوعة لذكر اسمه، مع مكان وتاريخ النشر، في باريس على أنها دلائل على الأصل الشيطاني للأعمال التي أنتجها بسهولة. (م. د. كونواي، علم الشياطين وتقاليد الشياطين). الأيام المقدسة، كما هو معروف، مطبوعة في التقويم الكاثوليكي بأحرف حمراء، وقد استخدمها الشيطان أيضًا في كتب السحر. وهذا مثال آخر على تقليد "قرد الله" لقدسية الكنيسة.

في ظل النظام الاقتصادي الجهنمي، حيث يسود تقسيم صارم للعمل، يكون شيطان الطابع أمين مكتبة الجحيم. فالكتب التي يتولى طباعتها لا بد أن تكون كثيرة كرمل البحر. فكل كتاب كُتب دون أمر كهنوتي كان يُربط في الماضي بالشيطان. ويبدو أن القول بأن الشيطان يكره الكتابة أو حبر الطابعات هو افتراء كبير. بل إنه اتُهم في كثير من الأحيان بسرقة المخطوطات من أجل...[299] منع نشرها. بطبيعته، يتجنب أمير الظلام التحقيق بدلاً من محاكمته. في إحدى المرات، اشتكى جوزيف غوريس، المدافع عن الكاثوليكية، من أن الشيطان، بدافع تدخله في شؤون الشيطان (وهو مؤلف كتاب " الصوفي المسيحي" ، وهو مصدر غني بالمعلومات عن الشيطانية، والمس الشيطاني، وطرد الأرواح الشريرة)، قد سرق إحدى

مخطوطاته؛ ومع ذلك، عُثر عليها بعد فترة في مكتبته، وبُرِّئ الشيطان تمامًا.

الفقرة الختامية لهذه القصة مثيرة للاهتمام بشكل خاص في ضوء التحريض الحالي على الكتب غير المجلدة والإشادة بمكتبة فرانكلين سكوير القديمة.

30- حماة الشيطان

بقلم فرنان كاباليرو

فرنان كاباليرو هو الاسم المستعار للسيدة سيسيليا بول فون فابر، ماركيزة دي أركو هيرموسو، التي كانت سويسرية المولد، ابنة المؤرخ الأدبي يوهان بول فون فابر، يوهانس كامبي روبنسون (1779). بدأ والدها في وقت مبكر في الأدب الإسباني، الذي فسره لها بروح الحركة الرومانسية في تلك الأيام الأولى. زاد الاهتمام بالتقاليد في العصور الوسطى، الذي تدين به لهذا التدريب المبكر، عندما ذهبت لاحقًا إلى إسبانيا الكاثوليكية. يتمثل سحر حكاياتها الأندلسية الشعبية في حقيقة أنها تشارك تمامًا مع الفلاحين الكاثوليك في تلك المقاطعة إيمانًا ضمنيًا بصحة هذه الأساطير التي تعود إلى العصور الوسطى. نجد في قصصها ربما أنقى تعبير عن العصور الوسطى في العصر الحديث. انحرفت فرنان كاباليرو تدريجيًا إلى أقصى اليمين في جميع مسائل الدين والفن والحياة. كرهت أي تعبير ليبرالي في مسائل الإيمان أو الفن بتعصب توركيمادا. لم تكن هذه الكاتبة تشترك في وجهة النظر الكاثوليكية العامة إلى حد ما بأن جميع البروتستانت ملعونون إلى الأبد فحسب، بل كانت تعتقد بسذاجة أن كل ابن لإسرائيل لديه ذيل (جوليان شميت).

إن قصة انتصار المرأة على الشيطان تعتبر من السمات المميزة لأرض السيدة العذراء مريم، كما يطلق على الأندلس عادة.

توجد أسطورة الشيطان المسجون في قارورة أيضًا في عمل الإسباني لويس فيليز دي جيفارا المسمى El Diablo cojuelo (1641)، والذي استعار منه آلان لو ساج العنوان والحبكة لروايته Le Diable boiteux (1707)).[301] أُسموديوس، بعد أن تحرر من قارورة حبسه فيها ساحر، يُسلي مُنقذه بمشاهد سرية لمدينة كبيرة عند منتصف الليل، وذلك بكشف أسقف منازل العاصمة الإسبانية وإظهار الحياة التي كانت تجري

فيها. دخلت هذه الأسطورة إسبانيا من الشرق عن طريق المغاربة، واستقرت في النهاية لتجد لها مكانًا في التقاليد المحلية. ومن هناك انتشرت في جميع أنحاء أوروبا. كان الآسيويون يعتقدون أنه بالامتناع عن الطعام والصلوات الخاصة يمكن إخضاع الأرواح الشريرة وحبسها في قوارير سوداء. تُشكل هذه الأسطورة جزءًا من التراث السليماني، وتُروى كثيرًا في الأعمال الباطنية. في كتاب القبالة Vinculum Spirituum ، وهو من أصل شرقي، يقال أن سليمان اكتشف، عن طريق كتاب معين متعلم، السر القيم المتمثل في حبس ثلاثة ملايين من الأرواح الجهنمية في قارورة من الزجاج الأسود، مع اثنين وسبعين من ملوكهم، وكان منهم بيليه رئيسًا، وبليار (المعروف أيضًا باسم بيليال) الثاني، وأسموديوس الثالث. ألقى سليمان بعد ذلك هذه القارورة في بئر عميق بالقرب من بابل. ولحسن حظ المحتويات، نزل البابليون، على أمل العثور على كنز في البئر، وكسروا القارورة، وحرروا الشياطين (راجع أيضًا المفتاح الصغير للحاخام سليمان، الذي يحتوي على أسماء وأختام وشخصيات الأرواح الاثنين والسبعين الذين أجرى معهم محادثة، وأيضًا Art Almadel للحاخام سليمان، الذي نسخه بعناية "رافائيل"، لندن، 1879). وتوجد هذه الأسطورة أيضًا في حكاية الصياد والجن في ألف ليلة وليلة ، والتي تناولها أيضًا الشاعر الألماني كلوبستوك في قصيدته "Wintermärchen" (1776).

الشيطان، كما ورد في هذه القصة، يكره بشدة صوت الأجراس. ويرى السير جيمس فريزر أن قرع أجراس الكنائس كان لطرد الشياطين والسحرة. وكان الشيطان في قصة بو "الشيطان في برج الجرس" (1839) شجاعًا للغاية في اقتحام برج الجرس.

الجزء الختامي من القصة هو نفسه حكاية ميكافيلي عن بيلفاغور.

ظهرت حكاية حماة الشيطان هذه لأول مرة في كتاب "حكايات وقصائد شعبية أندلسية" (إشبيلية، ١٨٥٩)، الذي ترجمه جيرموند دي لافين إلى الفرنسية في العام نفسه بعنوان " حكايات أندلسية جديدة" . ثم صدرت

ترجمة إنجليزية بعنوان " حكايات خرافية إسبانية" عام ١٨٨١. ثم أُعيدت ترجمة هذه القصة تحديدًا إلى الإنجليزية بعد عامين، وأُدرجت في كتاب "حكايات من اثني عشر لسانًا "، الذي ترجمه أمين مكتبة المتحف البريطاني [ريتشارد غارنيت؟]، لندن، ١٨٨٣.

31- المقامر الكريم

بقلم تشارلز بيير بودلير

شارك هذا المُعبِّد والمُنشِّد للشيطان زميله الأمريكي ولعه بالشيطان. وجد نماذجه في المشاهد الشيطانية لإدغار آلان بو، الذي فسّره للعالم اللاتيني.
قال تيوفيل غوتييه، أستاذه وصديقه: "كان لدى بودلير انجذابٌ غريبٌ للشيطان كمُغوي، رأى فيه تنينًا يُعجِّل به إلى الخطيئة والعار والجريمة والانحراف". بالنسبة لبودلير، مُجرِّد أرواح البشر، كان المُغوي شخصًا حقيقيًا كما كان بالنسبة لأيوب. كان يعتقد أن للشيطان دورًا كبيرًا في توجيه مصائر البشر. "هذا هو الشيطان الذي يُغيِّر أبناءنا الذين نخاف!" البشر مجرد دمى في يد الشيطان. «قد يكون شعار بودلير»، كما أشار السيد جيمس هونيكر، «عكسًا لكلمات براوننج: الشيطان في جنته. كل شيء على ما يرام في العالم».
شيطان بودلير أنيقٌ ورجلٌ جذّابٌ بأجنحة. يُقال إن كلَّ كاتبٍ يخلق الشيطان على صورته.
أعظم نعمةٍ يمكن أن يُقدّمها الشيطان لبودلير هي تحريره من ذلك الوحش الحديث العظيم، الملل ، الذي يصطاد أذكى الطبائع. ملل الحياة - هذا، كما يُقرّ هذا الشاعر التعيس، كان في الواقع مصدر كل علله وكل بؤسه. وصفه بأنه "أسوأ الرذائل" وأمل في الخلاص منه "بالحلم بمغامرة عاطفية فائقة، وبالانغماس في رغبة لا نهائية وغير محددة" (إيرفينغ بابيت). تنتهي مُقدّمته لكتاب " أزهار الشر" ، الذي يُخاطب فيه القارئ، ب[304] البيان التالي فيما يتعلق بطبيعة هذا الحيوان المفترس الحديث: "من بين ابن آوى، والفهود، وكلاب الصيد، والقردة، والعقارب، والنسور، والثعابين - الوحوش الصاخبة، والعاوية، والهادرة، والمتذلّلة التي تُشكّل حديقة حيواناتنا القذرة لرذائلنا - هناك واحد هو الأكثر قذارة، والأكثر شرًا، والأكثر دنسًا على الإطلاق. هذه الرذيلة، على الرغم من أنها لا تستخدم إيماءات مُبالغ فيها ولا تُصدر صرخة عالية، فإنها ستُخرب الأرض طواعيةً، وتبتلع

العالم كله في تثاؤب. هذا هو الملل! الذي، بعينه المُبللة بدمعة لا إرادية، يحلم بالسقالات وهو يُدخن النرجيلة. أنت تعرفه، هذا الوحش الرقيق، القارئ المُنافق، مثلي، أخي!"

في قصة غوركي "الشيطان" يعاني الشيطان نفسه من الملل .

لكن بودلير اعتقد أن لديه سببًا وجيهًا للشك في كلام الشيطان، ولذلك دعا الرب أن يُلزم الشيطان بالوفاء بوعده له. لم يكن لديه إيمان يُذكر بأبي الكذب. في كتابه " الفردوس الاصطناعي" (1860)، عبّر بودلير عن فكرة أن الشيطان سيقول لآكلي الحشيش ومدخني الأفيون، كما فعل في العصور القديمة لآبائنا الأوائل: "إذا تذوقتم الثمرة، فستكونون كالآلهة"، وأن الشيطان لم يُوفِ بوعده لهم أكثر مما فعل مع آدم وحواء، ففي اليوم التالي، استسلم الإله، وقد أُغري، وأُضعف، وهُزِم، وهبط إلى مستوى أدنى من الوحش.

يعود تصوير الشيطان على شكل تيس إلى عصور قديمة. وُجدت آلهة على شكل تيس وأرواح الغابات في ديانات الهند وآشور واليونان ومصر. وكثيرًا ما ارتبط الإله الآشوري بالتيس، الذي كان يُعتقد أنه يمتلك الصفات التي يُعبد من أجلها. وكان التيس أيضًا الوحش المقدس لدونار أو ثور، الذي جلبه الفينيقيون إلى الدول الإسكندنافية. (للاطلاع على علاقة الساتير بالتيس، انظر أيضًا جيمس ج. فريزر، الغصن الذهبي ، المجلد الثامن، ص. 1 وما يليه) .[305] يحتفل على Blocksberg الشيطان يظهر دائما في شكل الغزلان السوداء.

"الشيطان اللطيف" ، وهي عبارة شائعة في فرنسا، تشير إلى بساطة فكره لا إلى كرم روحه. وتعبّر هذه العبارة عمومًا عن الشفقة شبه الازدرائية التي كان يُنظر بها إلى العمالقة، هؤلاء المخلوقات الضخمة ضعيفة العقول.

فكرة أن الشيطان يقامر على روح بشرية تعود إلى العصور الوسطى، وربما يكون بودلير قد استلهمها من جيرار دي نيرفال، الذي في مسرحيته البوليسية "أمير المساكين" (1830)، نرى الشيطان يلعب النرد مع ملاك، مراهنًا على أرواح البشر. في لعب النرد، يشبه الشيطان ووتان. في رواية

"النار الخالدة" (1919)، نرى السيد هـ. ج. ويلز يلعب الشطرنج مع الإله في الجنة.

يعود الشيطان في هذه القصة إلى التحدث بالعبرية عندما تعود به أيام مجده السماوي القديم إلى ذهنه. في رواية "الشيطان في المقهى" للويس مينارد ، يصف الشيطان العبرية بأنها لغة ميتة، ويفضل، كشخص معاصر، أن يُنادى بالاسم الفرنسي المقابل لاسمه العبري الأصلي. في العصور الوسطى، كانت اللاتينية هي لغة الشيطان المفضلة. يتحدث مفيستوفيليس في مسرحية مارلو هذه اللغة أيضًا. يُعرف الشيطان ببراعته اللغوية. قال بن جونسون: "إنه الشيطان بكل لغاته".

بحسب الاعتقاد السائد، الشيطان عالمٌ متعلم ومفكرٌ عميق. لديه كل العلوم والفلسفة واللاهوت في حيرة من أمره.

على النقيض من الشيطان البودليري، يشكو الشيطان الشافي بشدة من قلة تقديره على الأرض. شيطان والتر سكوت (في "حكاية ويلي المتجول"، ١٨٢٤) يشكو أيضًا من أنه "أخطأ في الدنيا".

الواعظ الذي يشير إليه كاتبنا هو اليسوعي رافينيان، الذي أعلن أن عدم الإيمان بالشيطان كان من أكثر حيل العدو الأكبر مكرًا. (أعظم قوة للشيطان هي أن يكون محدثًا إذا فعل ذلك).[306] يُعبّر تلميذ بودلير، ج. ك. هويسمانز، بالمثل في روايته "الباس" (1891) عن وجهة النظر القائلة بأن "أعظم قوة للشيطان تكمن في قدرته على إنكاره". (راجع مقال الكاتب الحالي "شيطانية هويسمانز" في مجلة "المحكمة المفتوحة" لشهر أبريل 1920). يسخر الشيطان من هذه المقولة اللاهوتية في قصة بيير فيبر "الرجل الذي يبيع نفسه للشيطان" (1918). وفي قصة بيركنز "ألغاز الشيطان"، يُعرب الشيطان عن رضاه بنجاحه في هذا الصدد.

نُشرت قصة "المقامر الكريم" لأول مرة في صحيفة فيجارو في فبراير ١٨٦٤، وأُعيد نشرها بعنوان "الشيطان" في مجلة "ريفو دو ديكس-نوفيم سيكل" في يونيو ١٨٦٦، ثم أُدرجت أخيرًا في كتاب "قصائد في النثر" . كما تُرجمت هذه القصة إلى الإنجليزية بواسطة جوزيف ت. شيبلي.

32- الكتل الثلاث المنخفضة

قصة عيد الميلاد

بقلم ألفونس دوديه

يُقدّم دوديه وموباسان خير دليل على ما ورد في مقدمة هذا الكتاب من أن حتى علماء الطبيعة، الذين كانوا، في العادة، يحتقرون مؤامرات الرومانسيين الخيالية، والذين كانت خيالاتهم مُقيدة بشدة بالأرض، كانوا مع ذلك يشعرون بانجذاب نحو تقاليد الشيطان. مع أن معظم مواضيع دوديه مُختارة من الحياة الفرنسية المعاصرة، إلا أن هذه القصة القصيرة تتناول أسطورة شيطانية من القرن السابع عشر. من الواضح أن قصتي "بغل البابا" و"إكسير الأب غوشيه" لا تهدفان إلا إلى السخرية من الكنيسة الكاثوليكية. تنتمي هذه القصة إلى النوع الأدبي المعروف باسم "الخارق للطبيعة الساخر".

هذه القصة من سمات فن دوديه، إذ تحمل في طياتها كل رقة ولطف مشاعره وسخريته وفكاهته. وقد ظهرت أصلًا في مجموعة القصص الرائعة "رسائل مولان" (١٨٦٩).

تظهر قرون وذيل جلالته الشيطانية بوضوح في هذا الكتاب مثل الشياطين المقنعة في أسطورة الشمال التي ألفها إنجولدسبي .

مع أن الشيطان يكره جميع البشر، إلا أنه يكنّ كراهية خاصة للكهنة، ويتلذذ بإسقاطهم. يبغضهم، لأنهم، كما يقول أناتول فرانس، يُعلّمون أن "الله يُسرّ برؤية خلائقه تذبل في التوبة وتمتنع عن أثمن عطاياه" (Les Dieux ont soif ، ص ٢٧٨).

يتضح من هذه القصة أن الاعتقاد السائد بأن الشيطان يتجنب المباني المقدسة لا يستند إلى حقائق. هنا، لا يدخل الشيطان الكنيسة فحسب، بل يؤدي أيضًا واجبات خادم الكنيسة عند سفح المذبح. ووفقًا للتقاليد القروسطية، فإن للشيطان وكلاءه حتى في الكنائس. في إدارة الجحيم، حيث تُوزع المهام بعناية بين آلاف الشياطين، أُسندت مهمة الكنيسة إلى

الشيطان المعروف باسم توتيفيلوس. من واجبه حضور جميع الخدمات للاستماع إلى النميمة وتدوين كل كلمة تقولها. بعد الموت، تُسلى هؤلاء النساء في الجحيم بخطبهن الخاصة، التي دوّنها كاتب الكنيسة الشيطاني هذا بعناية. تقول الأسطورة إنه في أحد أيام الأحد الجميلة، كان هذا الشيطان جالسًا في كنيسة على عارضة خشبية، حيث ثبت نفسه من قدميه وذيله، فوق اثنين من النميمة في القرية، الذين كانوا يثرثرون كثيرًا أثناء القداس المبارك حتى أنه سرعان ما ملأ كل زاوية من الرق من كلا الجانبين. اجتهد توتيفيلوس المسكين حتى سال العرق بغزارة على جبينه، وكاد يغرق من الإرهاق. لكن النمامين لم يكفوا عن الإثم بألسنتهم، ولم يبقَ لديه رقٌ أنيقٌ ليدوّن عليه كلامهم البذيء. فبعد أن فكّر قليلاً، أمسك أحد طرفي اللفافة بأسنانه، وأمسك الطرف الآخر بمخالبه، وسحبها بقوة حتى مدّ الرق. شدّها وشدّها بكل قوته، رافعًا رأسه إلى الخلف بقوة مع كل شدّ، وفي النهاية هزّها هزةً عنيفةً أفقدته توازنه فجأةً وسقط من العارضة إلى أرضية الكنيسة. (من "رؤيا القديس سيمون من بلوبيري" في مجموعة حكايات العصور الوسطى لف. أو. مان).

33- ألغاز الشيطان

بقلم فريدريك بيتشر بيركنز

من خلال أسموديوس، ارتبط الشيطان بالفكاهة والشجاعة. شحذ أسموديوس ذكاءه في حواراته مع أحكم الملوك. يُذكر أن هذا الشيطان كان روح سليمان المألوفة، الذي اعتلى عرشه، وفقًا للأسطورة اليهودية، لثلاث سنوات. ربما لم يكن سليمان في النهاية، بل هذا المغتصب الشيطاني الذي جمع حوله ألف زوجة. يُقال إن أسموديوس خطير على النساء كخطورة ليليث على الرجال. إنه يعشق خداع الفتيات الصغيرات في هيئة شاب وسيم. حبه لسارة الجميلة معروفٌ للجميع، فلا يحتاج إلى أي تعليق. إنه شيطان دقيق، ولن يقبل أن تخضع شغفه لعناق أي بشري أو خالد آخر.

يشير المؤلف إلى ملخص ألبرت ريفيل لكتاب جورج روسكوف " تاريخ الشيطان" (لايبزيغ، ١٨٦٩)، وهو عمل مرجعي في تاريخ الشيطان. نُشرت مراجعة هذا البروتستانتي الفرنسي لأول مرة في مجلة "ريفو دي دو موند" عام ١٨٧٠، وتُرجمت إلى الإنجليزية في العام التالي. وصدرت طبعة ثانية بعد ست سنوات. أما كتاب روسكوف، فلم يُترجم قط.

ليس من السهل فهم الخفايا المدرسية لطلاب العصور الوسطى. تقترح الدكتورة إثيل بروستر التفسيرات التالية: "كيموبرا بومبينانس إن فاكو ديفورات سيكونداس نياتيس" . هل يلتهم شيطانٌ يطن في الهواء نوايانا الحسنة؟ هذا يتوافق مع قولنا بأن الجحيم مفروش بالنوايا الحسنة. "أفيريا كاروكاي كابتا" في...[310] هل ينبغي معاقبة حاملي عربة [الأسقف] التي تُضبط في منطقة محظورة؟ يمكننا أن نفهم جيدًا كيف يمكن حتى للشيطان أن يُحيّر من مثل هذه الأسئلة.

يصف البروفيسور براندر ماثيوز هذه القصة بأنها "فلسفية شيطانية".

34- جولة الشيطان

حكاية الجولف الفلمنكي

بقلم تشارلز ديولين

الشيطان المعاصر رجلٌ نبيلٌ بارع. إنه الكائن الأكثر شمولاً في الخليقة. مينهير فان بيلزيبوث، كما يُدعى في هذه القصة، هو بالفعل أعظم مقامرٍ على الأرض وتحتها. في ملعب الجولف، كما على طاولة الروليت، يصعب هزيمته. كان الشيطان هو من اخترع البطاقات، ولذلك تُسمى "إنجيل الشيطان"، وهو أيضًا من علّم الجنود الرومان كيفية القرعة على ثياب المسيح (يوحنا 19: 24). ويُسمى النرد أيضًا "عظام الشيطان".

يحمل الشيطان الأرواح في كيس على ظهره، كما هو الحال في أسطورة القديس ميدارد. يُحكى أن هذا القديس، بينما كان يتنزه ذات يوم على شاطئ البحر الأحمر في مصر، رأى الشيطان يحمل كيسًا مليئًا بالأرواح الملعونة على ظهره. امتلأ قلب هذا القديس بالرحمة على الأرواح المسكينة، فشقّ كيس الشيطان بسرعة، فسارعت الأرواح إلى الحرية.

"ذهب الكويكر بعيدًا - ذهب الخباز بعيدًا،
لقد ذهب الراهب بعيدًا - ذلك الشبح السمين الجميل،
الذي كان نيك العجوز ينوي أن يلتقط نخاعه
مُزيّن مثل طائر الدراج، ويُقدّم على الخبز المحمص!
"لقد ذهبت ابنة أخت الكاردينال الصغيرة اللطيفة
والغريسيتات الجميلات، والدون من إسبانيا،
وطاقم القراصنة، واليهودي الذي يقطع العملات المعدنية،
"وركضوا، مثل حاملي المصابيح، عبر السهل!"

سبت الساحرات هو الاجتماع السنوي للشيطان[312] وعباده على الأرض. تتدفق الساحرات، راكبات الماعز والمكانس، إلى المروج والتلال القاحلة ليحتفلن مع شيطانهن.

يُقسم بعلزبول في هذه القصة بقرون جده. مع أن الشيطان معروف بجدته، إلا أنه لم يُعثر على أي أثر لجده. يُرجّح أن جدة جريندل، الشيطان الأنجلو ساكسوني الشرير، قد تبنت الشيطان. ورث الشيطان القرون من ديونيسوس. كان لهذا الإله اليوناني أقدام ثور وقرون ثور.

يمكن للقارئ المهتم بمعرفة أصل عادات الكرنفال الأوروبي (ثلاثاء المرافع) أن يراجع دراسة المحرر " أصل الكوميديا الكرنفالية الألمانية" (نيويورك: جي إي ستيشرت وشركاه، 1920).

35- أسطورة جبل سان ميشيل

بقلم جاي دي موباسان

لا دليل أعظم على استمرارية الشيطان كشخصية في الأدب من أن هذا الكاتب، الذي نجد فيه أنقى تعبير عن الطبيعية، والذي كان العالم المرئي بالنسبة له كل ما هو موجود، قد انجذب إلى أسطورة شيطانية. ولكن في هذه النقطة، كان لديه مثال جيد في عرابه ومعلمه غوستاف فلوبير، الذي، على الرغم من كونه واقعيًا من الواقعيين، أبدى اهتمامًا عميقًا بمُغوي القديس أنطونيوس.

هذه الأسطورة عن صفقة احتيالية بين عفريت ومزارع بشأن التناوب بين المحاصيل العلوية والسفلية، والتي ترتبط بها هنا "الرؤية العظيمة للجبل المحروس"، هي من أصل شمالي، لكنها سافرت جنوبًا حتى شبه الجزيرة العربية. ستجدها في حكايات جريم الخيالية (رقم 189)؛ وأساطير ثيل الدنماركية (رقم 122)، ولهجة نورثامبشاير وتقاليدها الشعبية لت. ستيرنبرغ (ص 140). استخدمها رابليه كأسطورة فرنسية، وفي شكلها الشرقي كانت موضوعًا لقصيدة للألماني فريدريش روكرت (" Der betrogene Teufel"). في جميع هذه الروايات، يتم إبرام الاتفاق بين الشيطان (في شكل نورثامبشاير هو عربة أو أي روح حقل أخرى) وفلاح. وقد احتفظ موباسان بهذه الاتفاقية لجعل القديس ميخائيل يتغلب على الشيطان على الأرض كما في السماء.

وفقًا لهذه الأسطورة، كسر الشيطان ساقه عندما قفز من سطح القلعة التي استدرجه إليها القديس ميخائيل أثناء هروبه. التفسير التقليدي لكسر ساق الشيطان هو سقوطه من السماء.[314] "رأيتُ الشيطان ساقطًا كالبرق من السماء" (لوقا ١٠، ١٨). جميع الآلهة المتمردة، التي ساد الاعتقاد بأنها سقطت من السماء، لها سيقان ملتوية أو مشلولة. كلٌّ من هيفايستوس وفولكان ولوكي وفيلاند مصاب بكسر في الساق. يُرجَّح أن هذه الفكرة استُمدت من ومضات البرق الملتوية. تمشي والدة الشيطان في مسرحيات

الغموض الألمانية في العصور الوسطى على عكازات. كان أسموديوس، الشيطان الفارسي أيشما ديفا، أعرج القدم أيضًا. في كتاب "الشيطان العاري" للحكيم، يظهر أسموديوس كرجل أعرج، يستخدم عكازتين كعكازات. ووفقًا للتقاليد الحاخامية، كسر هذا الشيطان ساقه عندما سارع للقاء الملك سليمان. بالإضافة إلى ساقه المكسورة، ورث الشيطان قدم الماعز من بان، وقدم الثور من ديونيسيوس، وقدم الحصان من لوكي. القدم اليمنى للشيطان الإثيوبي هي مخلب، واليسرى هي حافر.

يُصوَّر الشيطان في هذه القصة، خطأً، على أنه كسولٌ جدًا. ويُقال إن الاجتهاد فضيلة شيطانية عظيمة. قالت عجوز اسكتلندية لوزيرها: "لو كنا جميعًا مجتهدين وواعين كالشيطان، لكان ذلك أفضل لنا بكثير".

تُكرّس أعلى قمة جبلية دائمًا للقديس ميخائيل. لعب جبل القديس ميخائيل على الساحل النورماندي دورًا بارزًا في حروب أبناء ويليام الفاتح. استخدمه موباسان كخلفية للعديد من فصول روايته "قلبنا" (1890). كما ظهر الجبل في قصته "الهورلا" (1886).

36- البابا الشيطاني

بقلم ريتشارد جارنيت

تم أخذ القصتين التاليتين لريتشارد جارنيت من كتابه شفق الآلهة ، الذي نُشر لأول مرة بشكل مجهول في عام 1888، وفي "طبعة جديدة وموسعة"، باسم المؤلف، في عام 1902. يذكرنا العنوان بأوبرا ريتشارد فاجنر Götterdämmerung ، ولكن ربما تم اقتراحه بشكل مباشر من قبل إليمير بورجيه، الذي ظهرت روايته Le Crépuscule des dieux قبل أربع سنوات من مجموعة قصص جارنيت. في كتابه، يلعب ريتشارد جارنيت بالفوضى مع جميع الأديان. وبطبيعة الحال، فإن الشياطين أسوأ حالاً على يديه من الآلهة. إن شفق الآلهة هو بانوراما للحماقة البشرية والمهزلة. قال فرانز كومونت أن الحماقة البشرية هي دراسة أكثر إثارة للاهتمام من الحكمة القديمة. يجد المؤلف متعة كبيرة في الإشارة إلى جميع أنسجة العنكبوت الغامضة التي تراكمت على سقف دماغ الإنسان على مر العصور. يصف السيد آرثر سيمونز هذا الكتاب بحق بأنه "عرض كوميدي للحضارة مثل عرض بانش وجودي".

قصة "البابا الشيطان" مبنية على أسطورة اتفاق بين بابا والشيطان. يُعتقد أن جيربرت، الذي أصبح لاحقًا البابا سيلفستر الثاني، باع روحه للشيطان ليكتسب معرفةً بالفيزياء والحساب والموسيقى. تجدون الرواية الكاملة لهذه الأسطورة في كتاب ج. ج. دولينجر " خرافات عن باباوات العصور الوسطى" (الترجمة الإنجليزية، ١٨٧١). يحتوي كتاب "تاريخ الشيطان وفكرة الشر" لبول كاروس (١٩٠٠) على المقاطع التالية حول هذه الأسطورة:[316]

يقول الراهب البينديكتي الإنجليزي ويليام من مالمزبري عن البابا سيلفستر الثاني، المولود في فرنسا، واسمه العلماني جيربرت، إنه دخل الدير وهو لا يزال صبيًا. مدفوعًا بالطموح، طار إلى إسبانيا حيث درس التنجيم والسحر بين المسلمين. هناك سرق كتابًا في السحر من فيلسوف مسلم، وعاد

مسرعًا إلى فرنسا. هناك افتتح مدرسة ونال شهرة واسعة، حتى أن الملك نفسه أصبح أحد تلاميذه. ثم أصبح أسقف ريمس، حيث صنع ساعة رائعة وأورغنًا. بعد أن اكتشف كنز الإمبراطور أوكتافيوس الذي كان مخبأً في قبو تحت الأرض في روما، أصبح بابا. وبصفته بابا، صنع رأسًا سحريًا يجيب على جميع أسئلته. أخبره هذا الرأس أنه لن يموت حتى يقرأ القداس في القدس. لذلك قرر البابا عدم زيارة الأرض المقدسة أبدًا. ولكن ذات مرة مرض، وسأل رأسه السحري، فأُبلغ أن اسم الكنيسة التي قرأ بها القداس قبل أيام هو "الصليب المقدس". أدرك البابا على الفور أنه لا بد أن يموت. جمع الكرادلة حول فراشه، واعترف بجريمته، وكفارة، أمر بتقطيع جثته حيًا، ورمي أجزائها خارج الكنيسة باعتبارها نجسة.

يروي سيغابرت قصة وفاة البابا بطريقة مختلفة. لم يُقدّم البابا أي كفارة، بل أخذ الشيطان روحه إلى الجحيم. ويروي آخرون أن الشيطان كان يرافق البابا باستمرار على هيئة كلب أسود، وهذا الكلب أعطاه النبوءة الغامضة.

الحقيقة التاريخية للقصة هي أن جيربرت كان موهوبًا ومتعلمًا تعليمًا عاليًا على نحوٍ استثنائي. كان مُلِمًّا بحكمة المسلمين، إذ حمله بوريل، دوق إسبانيا، شابًا إلى بلاده حيث درس الرياضيات والفلك. تواصل مبكرًا مع أكثر رجال عصره نفوذًا، وأصبح بابا عام 999. كان كريمًا بما يكفي لإدانة بعض أسلافه غير الجديرين بوصفهم "وحوشًا تتجاوز آثام البشر"، و"المسيح الدجال، الجالس في هيكل الله ويمثل دور الشيطان" (يُقرأ النص سهوًا: ويمثل دور الله)؛ لكنه في الوقت نفسه اتبع سياسة بابوية مستقلة وحازمة، مُنبئًا في أهدافه بمزاعم غريغوريوس الكبير والحروب الصليبية.

37- السيدة لوسيفر

بقلم ريتشارد جارنيت

لعلّ أكثر الشخصيات جاذبيةً وخطورةً في عالم الجحيم هي ماتر تينبراروم (سيدة الظلام). يقول دانيال ديفو: "إنّ الشيطانة، كما يُقال، أخطر مخلوق يُمكن أن يُصادفه المرء". عندما يفشل لوسيفر في إيقاع رجلٍ في الهاوية، يُسلّم القضية إلى شريكته، ويُقال إنّه لم ينجو رجلٌ قطّ من إغراءات هذه السيدة الشيطانية. نُشرت قصيدة بعنوان "سيدة الشيطان، أو عود ثقاب في الجحيم " في لندن عام ١٧٧٧.

وفقًا للأساطير التوتونية، فإن هذه السيدة العذراء الشيطانية هي أم أو جدة الشيطان. أصبحت والدة أو جدة جريندل، الشيطان الأنجلو ساكسوني الشرير، أمًا أو جدة للشيطان بالتبني. كانت الأم جزءًا ضروريًا من معدات الشيطان. بعد أن عزم الشيطان على مساواة المسيح في كل تفاصيل حياته، كان عليه أن يحصل على أم بطريقة ما. في قصته "رؤية ماليفيك" (1920)، يروي السيد هونيكر ظهور هذه السيدة العذراء المزيفة عشية عيد الميلاد لعازف أورغن في كنيسة كاثوليكية رومانية في نيويورك. جزئيًا بسبب إخلاصه لها وجزئيًا أيضًا لأنه لم يستطع الحصول على البركة المقدسة للكنيسة، اضطر الشيطان إلى البقاء أعزبًا. في قصة "ألغاز الشيطان" لفريد ب. بيركنز، يظهر الشيطان أبوليون كرجل عجوز أعزب. يقول للسيدة هيكوك الساحرة: "لدي أم، ولكن ليس لدي زوجة". كان الكنيس أكثر تساهلاً مع الشيطان. لم يتردد الحاخامون في إقامة مراسم زواج الشيطانين. ووفقًا للتقاليد اليهودية، فإن رئيس الملائكة الساقطين[318] تزوجت ليليث، زوجة آدم الأولى. يُقال إنها كانت في شبابها امرأةً فاتنة الجمال، لكن قلبها كالجليد. أما الآن، فهي، بالطبع، ساحرةٌ جهنمية. وإذا وثقنا بروزيتي، الذي رسم صورة جلالتها، فهي لا تزال مثالاً للجمال الذي سحره مميت. خلق الرب هذه المرأة لتكون عوناً لآدم، لكن لم يكن لدى الرجل أي انجذاب لهذه المرأة الخارقة. يُقال إنها بدأت

الكفاح من أجل تحرر المرأة من الرجل، وعارضت حق آدم في أن يكون رب الأسرة. كانت حياتهما الزوجية قصيرةً للغاية. وكان عدم توافق شخصياتهما كبيراً للغاية. في صباح أحد الأيام الجميلة، وجد آدم أن زوجته الملائكية السابقة قد هجرته وهربت مع لوسيفر، الذي كانت تعرفه سابقاً في الجنة.

يبدو أن الملك الشيطان نجح دائمًا، بطريقة أو بأخرى، في كسر القيود التي رُبط بها مرارًا وتكرارًا، وفقًا للأسطورة، في أعماق الجحيم. منذ ما قبل الطوفان، يبدو أن الشياطين قد انجذبت إلى بنات البشر، وصعدت إلى الأرض مرارًا وتكرارًا لتودد إليهن. الشيطان الوحيد الذي يجب أن يبقى في الجحيم دائمًا هو الوقاد، واسمه بريندلي. يجب ألا تُطفأ نيران الجحيم.

يروي بيرتون، ذو البنية التشريحية الكئيبة، قصة شيطان كان مغرمًا بفتاة بشرية. ويروي جاك كازوت قصة بعلزبول كامرأة مغرمة برجل من مواليد الأرض.

38- إبليس

بقلم أناتول فرانس

هذا الكاتب مُتعاطفٌ بشدة مع تقاليد الشياطين، وكثيرٌ من شخصياته تُظهر قسوةَ الظلف. مُحللٌ للأوهام، لديه اهتمامٌ عميقٌ بأعظمها. مُهاجمٌ لكلِّ شكلٍ من أشكال الخرافات، يُكنُّ عاطفةً رقيقةً لأعظمها. مُمثلٌ للروح الراديكالية والساخرة في الأدب الفرنسي، يشعر بانجذابٍ لا يُقاوم إلى المُنكر والمُستهزئ الأبدي.

قصة الرسام الفلورنسي سبينيلو سبينيلي، الذي ظهر له لوسيفر في المنام ليسأله في أي مكان رآه تحت هذا الشكل الوحشي الذي رسمه، حُكي ذلك في كتاب جورجيو فاساري " حياة أنقى النحاتين والنحاتين والمهندسين المعماريين" (1550)، والذي يُعد أساس تاريخ الفن الإيطالي. وقد تناولها باريلي في روايته "صورة الشيطان" (1882؛ ترجمة إنجليزية 1885)، والذي ربما استوحى منه أناتول فرانس فكرة قصته. ولكن هناك أيضًا أسطورة فرنسية من العصور الوسطى عن راهب (Du moine qui contrefyt l'ymage du Diable, qui s'en corouça)، الذي أجبره الشيطان الغاضب على رسمه بطريقة أقل قبحًا.

الشيطان حساس للغاية فيما يتعلق بمظهره. في عدد من المناسبات، أعرب عن استيائه الشديد من جهود فئة معينة من الفنانين لتصويره في صورة بشعة (راجع كتاب إم. دي. كونواي، " علم الشياطين وتقاليد الشيطان "). وقد أشار دانيال ديفو جيدًا إلى أن الشيطان لا يعتقد أن الناس سيشعرون بنصف هذا الرعب إذا ما تحدثوا معه وجهًا لوجه. ويضيف كاتب سيرة الشيطان: "في الواقع، كان كافيًا لإخافة الشيطان نفسه أن يلتقي بنفسه في الظلام، مرتديًا العديد من الشخصيات[320] الذي كوّنه الخيال له في عقول البشر". إنه يجعلنا نتساءل حقًا لماذا كان الشيطان يُصوَّر دائمًا في صورة بشعة ومُروِّعة. إذا ما تصوَّرنا عقلانيًا، فمن حق الشيطان أن يكون أكثر الكائنات جاذبية في الخلق. إحدى وظائفه

الأساسية، وهي الإغراء، تُدمِّر ببشاعته. للقيام بعمل الإغراء، قد يُتوقع من الشيطان أن يقترب من ضحيته المقصودة بأكثر صورة جذابة يستطيع التحكم بها. هذه الحقيقة دليل إضافي على أن الشيطان لم يكن بالنسبة للمسيحيين الأوائل سوى الإله الوثني المنبوذ، الذي أرادوا تصويره بأكبر قدر ممكن من القبح والاشمئزاز.

عُثر على أقدم تصوير معروف للشيطان في صورة بشرية على لوحة ثنائية من العاج تعود إلى عهد شارل الأصلع (القرن التاسع). ومنذ ذلك الحين، رسم العديد من الفنانين صورة جلالته. تنافس شونغاور، ودورر، ومايكل أنجلو، وتيتيان، ورافائيل، وروبنز، وبوسان، وفان دايك، وبروغل، وغيرهم من الفنانين على القماش، ليقدموا لنا صورة حقيقية للشيطان. ومع ذلك، لم يُضاهي أحدٌ منهم قوة غوستاف دوريه في تصوير الشيطان. كان هذا الفنان الفرنسي في أوج عطائه كفنان للجحيم (لوحة "اللعنة الكبرى" لدانتي ولوحة "الشيطان على أبواب الجحيم" لميلتون).

كثيرًا ما يصوّر الفنانون المعاصرون الشيطان كامرأة. ويمكن الاستشهاد بفيليسيان روبس وماكس كلينجر وفرانز ستوك كأمثلة. ويبدو أن الشيطان قد غيّر في العصر الحديث جنسه، وكذلك عاداته وأزيائه. قال فيكتور هوغو:

"Dieu s'est fait homme؛ لذا.

Le diable s'est fait femme."

يروي الأب جيروم كوينارد قصة "لوسيفر"، إلى جانب القصص الأخرى التي تُشكّل مجلد " بئر القديسة كلير "، على حافة بئر سانتا كلارا في سيينا. نُشر الكتاب لأول مرة بشكل متسلسل في صحيفة "إيكو دو باريس" (1895). وقد نُقِلَ مؤخرًا إلى الإسبانية (إل بوزو دي سانتا كلارا).

39- الشيطان

بقلم مكسيم غوركي

تُعيد هذه القصة إلى الأذهان مشهد "الشيطان" للحكيم . يُذكر أن أسموديوس رفع أسقف منازل مدريد وعرض تصميماتها الداخلية على مُحسنه.

كان مصير كاتب روسي، في الواقع، أمرًا محزنًا للغاية. "في جميع أنحاء العالم، تجرّع الكُتّاب مرارة الحياة، وعانوا من قسوتها الحادة، ومزقتهم أشواكها الحادة. كان الفقر المدقع، والإهمال العام، وسوء الصحة نصيب العديد من الكُتّاب في بلدان أخرى غير روسيا. أما في أرض القياصرة، فقد واجه الأدباء مشاكل ومخاطر خاصة بهم، لم تتكرر في أي بلد آخر في العالم... كان كل أديب موضع شك. عاملت حكومة روسيا كل كاتب كعدوٍّ طبيعي لها، وجعلته يشعر مرارًا بثقل قبضتها الثقيلة. حوّل طغاة بلادهم إكليل الغار على جبين كل شاعر تقريبًا إلى إكليل من الأشواك." (من مقال الكاتب الحالي "كآبة ومجد الأدب الروسي" في " المحكمة المفتوحة " لشهر يوليو 1918).

40- الشيطان والرجل العجوز

بقلم جون ماسفيلد

ملحق:

من أجل مصلحة القارئ الكريم، الذي على وشك أن يذرف دمعة أو اثنتين على وفاة الشيطان، أعيد هنا سرد الحلقة التالية من كتاب صديقي أناتول فرانس:

يصطحب بيير نوزيير (أناتول فرانس) طفلته إلى عرض بانش وجودي، الذي تبلغ ذروته دائمًا بمبارزة حتى الموت بين بانش والشيطان. تنتهي المعركة المروعة، بالطبع، بموت الشيطان. يصفق الجمهور لبطولة بانش، لكن بيير نوزيير لم يكن سعيدًا بنتيجة القتال. يعتقد أنه من المؤسف حقًا أن الشيطان قد قُتل. غير مبالٍ بجلوس سوزان بجانبه، يواصل تأمله:

لقد مات الشيطان، وداعًا للخطيئة! ربما يجب على الجمال، حليف الشيطان، أن يرحل أيضًا. ربما لن نرى بعد الآن الزهور التي تسحرنا، والعيون التي نضحي بحياتنا من أجلها. ماذا لو كان الأمر كذلك، فماذا سيحل بنا في الدنيا؟ هل سنظل قادرين على ممارسة الفضيلة؟ أشك في ذلك. لم يضع بانش في اعتباره جيدًا أن الشر هو النظير الضروري للخير، كما أن الظلام هو النور، وأن الفضيلة كلها جهد، وأنه إذا لم يعد هناك شيطان لمحاربته، فسيبقى القديسون عاطلين عن العمل مثل الخطاة. ستكون الحياة مملة للغاية. أقول لكم إنه عندما قتل الشيطان، ارتكب بانش فعلًا من التهور الجسيم.

حسنًا، صعد بولشينيلو وانحنى، وسُدل الستار، وعاد جميع الصبية والفتيات إلى منازلهم؛ لكنني ظللتُ غارقًا في تأملاتي. أدركت مامزيل سوزان، وهي تلاحظ ملامحي المتأملة، أنني في ورطة... أمسكت بيدي بلطف وحنان وسألتني عن سبب تعاستي. أعترف أنني آسف.[323] أن بانش قتل الشيطان. ثم وضعت ذراعيها الصغيرتين حول عنقي، ووضعت

شفتيها على أذني، وهمست: "أقول لك شيئًا ما: بانش، لقد قتل الزنجي، لكنه لم يقتله إلى الأبد."

*** نهاية هذا المشروع كتاب جوتنبرج الإلكتروني قصص الشيطان ***
من تأليف العديد من المؤلفين



Mohy El-Din Ibrahim

An Egyptian writer, journalist, and critic, Mohy El-Din Ibrahim graduated from the Faculty of Engineering, Cairo University, before devoting himself fully to literature and the arts. Since 1989 he has written for the Egyptian stage, specializing in musical drama and political theatre, with acclaimed works such as *El-Nagda Ya Hoh* and *Aalam Kora*. After studying journalism and media in the United States (Pittsburgh, Pennsylvania), he combined critical insight with creative vision, producing documentaries for Nile TV on the legendary actor El-Sayed Bedeir, and for Al Jazeera on the iconic comedy troupe *Tholathy Adwa' El-Masrah*.

He is the recipient of the **Arab Theatre Award in Playwriting (1989)** and the **Third International Prize for Political Song (1996)**. His writings blend philosophy with Sufism, affirming that mystery is never the end of knowledge, but its true beginning.